المحتويات

سلسلة جون فليبس التفسيرية

استكشاف رسالة بولس الرسول

إلى أهل رومية

شروحات تفسيرية

تأليف

جون فيلبس

ترجمة ومراجعة

الدكتور صموئيل عبدالشهيد

والدكتورة لميس معلوف

Kregel Publications

Grand Rapids, MI 49501

2002

المحتويات

المخطط العام لرسالة رومية

المقدمة 5

المخطط العام لرسالة رومية 7

تمهيد 9

الجزء الأول

مبادئ الإنجيل 21

الجزء الثاني

صعوبات الإنجيل 124

الجزء الثالث

ممارسة الإنجيل 156

الخاتمة 246

المقدمة

عندما طُلِب مني لأول مرة أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب كانت ردّة فعلي الفورية، "هل هناك أيّ شيء جديد يمكن أن يقال عن رسالة رومية؟" وتذكّرت بعض المفسّرين الذين انتشرت كتاباتهم وكانت برَكة لي، كمثل غوديت Godet ومول Moule ووستكوت Westcott وأيرونسايد Ironside، وآخرين كثيرين.

ولكنني عندما ابتدأت في قراءة هذا الكتاب لم يأسرْني فقط تفسيرُه الإنجيليّ الصحيح والشامل، ولكن أيضاً ما أورده الكاتب فيه من تطبيقاتٍ عملية عن طريق الإيضاحات الملائمة جداً بحيث يضحي اللاهوت مع ممارسته العملية الضرورية حيَّيْن بشكلٍ رائع.

هذا كتابٌ يجد فيه كلُّ خادمٍ للمسيح مرجعا قيّماً جداً في مكتبته، كما يجد فيه كلُّ طالبٍ للاهوت مجالاً للدراسة ذا قيمة فائقة. وغالباً ما أشير إلى الرسالة إلى أهل رومية أنها تشبه عرضاً للإنجيل الكامل في الكتاب المقدس، وأن هذا السفر هو أكثر أسفار الكتاب عمقاً وشرحاً عملياً له. ففيه ينفتح لنا كلُّ لبِّ موضوع رسالة الخلاص بكل روعة. وليست الفصول 6-8 من سفر رومية مجرّد ساحةِ معارك لاهوتية، وإنما تشتمل على عرض واضح لأسس الحياة المنتصرة كلها، وهي اتحادُنا مع المسيح في موته وقيامته.

لقد تبين لي في هذه الأيام أن العديد منا، نحن المسيحيّين، يرضى بنصف خلاص فحسب! فقد وجدنا أن من السهل علينا نسبياً قبول حقيقة موت المسيح عنا على الصليب وسفك دمه كأساس لغفران جميع خطايانا، وقد ابتهجنا بحقيقة القول أن لا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع (رومية 8:1)؛ إلا أننا، كما يبدو، نجد أن من الصعوبة بمكان الإيمان بأن الصليب لا يوفّر حلاً للماضي ويعطينا رجاءً للمستقبل فحسب؛ بل يعلن لنا أيضا بكل يقين اختبار النجاة اليومي الحاليّ.

فما هي، بعد ذلك كله، قيمة غفران خطايانا إن كنا سنستمرّ في ممارستها؟ فموت المسيح في الجلجثة هو نصف الحقيقة فقط؛ أما النصف الآخر فهو في حياة المسيح المخلّصة، وروحه القدّوس، وتجسيد صفاته، وإنقاذنا من مبدأ الخطية. فلنا في الصليب غفرانٌ لما فعلناه لكي نتوقّف عن فعله! ولنا في حياة المسيح المقام الساكن فينا بروح الله نجاةٌ مما نحن فيه لكي نصبح مثله- وفي هذا بالطبع، كل عبقرية الفداء وخطّته.

وسيجد القارئ هذه الرسالة معلنة بوضوح في هذا المجلّد. وسيجد أيضاً أنه ينبغي التعبير عن الدخول إلى مثل هذا الاختبار بتطبيق الإنجيل على الصعيد الاجتماعيّ. ويتناول الكاتب هذا الأمر في شرحه للفصول الأخيرة من الرسالة بأكثر الطرق جدوى.

أعتقد أن هذا الكتاب الإرشادي لا يمكن أن يضاهيه كتابٌ آخر كدليل عملي للحياة المسيحية اليومية. وإنني واثق أن كلّ من يقرأه سيحصل على بركةٍ عظيمة كما حدث معي. إنه لكتابٌ يستحقّ انتشاراً واسعاً في وقت يسوده الالتباس في ماهية حقيقة المسيحية الأساسية.

ألان ردپاث

مخطّط محتويات رسالة رومية

تمهيد (1:1-18)

1. أهميّة الإنجيل (1:1-14)
2. خادم الإنجيل (1:5-16)
3. ملخّص الإنجيل (1:17-18)

أولا. مبادئ الإنجيل (1:19-39:8)

أ. مسألة الخطيئة (1:19-20:3)

1. ذنب الوثنيّ (1:19-32)
2. ذنب المرائي (2:1-16)
3. ذنب العبرانيّ (2:17-8:3)
4. ذنب البشرية بأسرها (3:9-20)

ب. مسألة الخلاص

1. الخلاص مجّانيّ (3:21-31)
2. الخلاص بالإيمان (4:1-25)
3. الخلاص أبديّ (5:1-21)

ج. مسألة التقديس (6:1-39:8)

1. تفسير سبيل الانتصار (6:1-25:7)

أ. النجاة من سلطة الموت (6:1-11)

ب. النجاة من سلطة الخطية (6:12-23)

ج. النجاة من مطالب الناموس (7:1-25)

2. اختبار سبيل الانتصار (8:1-39)

أ. الناموس الجديد (8:1-14)

ب. السيّد الجديد (8:5-13)

ت. الحياة الجديدة (8:14-39)

ثانيا. صعوبات الإنجيل (9:1-36:11)

أ. معاملات الله السابقة مع إسرائيل (9:1-33)

1. توجّع بولس من أجل الشعب اليهوديّ (9:1-3)
2. تحليل بولس للمشكلة اليهودية (9:4-33)

ب. معاملات الله الحاليّة مع إسرائيل (10:1-21)

1. إعلان المسيح مخلّصاً (10:1-4)
2. قبول المسيح مخلّصاً (10:5-15)
3. رفض المسيح مخلّصاً (10:16-21)

ج. معاملات الله الموعودة مع إسرائيل (11:1-36)

1. عدل معاملات الله (11:1-29)
2. بُعْد نظر معاملات الله (11:11-29)
3. أمانة معاملات الله (11:30-36)

ثالثا. ممارسة الإنجيل (12:1-24:16)

أ. شرائع الحياة المسيحية (12:1-13:7)

1. حياة المسيحيّ الروحية (12:1-13)

أ. المسيحيّ كمؤمن (12:1-2)

ب. المسيحيّ كأخ (12:3-13)

2. حياة المسيحيّ الاجتماعية (12:14-21)

3. حياة المسيحي الدنيوية (13:1-7)

ب.. قوانين المحبة المسيحيّة (13:8-16:24)

1. ضمير المحبة الأخلاقيّ (13:8-14)
2. سلوك المحبة الرحيم (14:1-15:7)
3. القناعات الناضجة للمحبة (15:8-13)
4. اهتمام المحبة الإرساليّ (15:14-33)
5. التواصلات العديدة للمحبة (16:1-16)
6. الانتصارات الجبّارة للمحبة (16:17-20)
7. العشرة المذهلة للمحبة (16:21-24)

خاتمة (16:25-27)

تمهيد

"كل الطرق تؤدي إلى روما". كان ذلك قولاً مأثوراً ومثلاً شائعاً في عصر بولس. فقد امتّدت الشوارع الشراييّنية الواسعة العظيمة ومفارقها عبر العالم من المعلم الذهبيّ في روما. واستطاع بولس بذلك أن يصل إلى العالم؛ لأنه إن كانت كل الطرق تؤدي **إلى** روما، فبالتأكيد، كل الطرق تبدأ **من** روما أيضاً. لذلك كان مُخطِّط الإرساليات المسيحية البارع (بولس الرسول) يكتب اسم "رومية" بالخط العريض في أعلى برنامج رحلاته مرة تلو مرة. وعلى الرغم مما كان يعيقه من عقبات فقد ثابر على مسعاه قائلاً، "ينبغي أن أرى رومية، ينبغي أن أرى رومية."

ثمّ عندما كان بولس في كورنثوس سمع أن فيبي، وهي عضو فعّال في كنيسة كنخريا المجاورة، تخطّط لزيارة مدينة القياصرة، قال لها، "سأكتب إليكِ يا فيبي رسالةَ توصيةٍ للقدّيسين الذين في رومية."

وهذا ما فعله بولس، إلا أنه عندما حان الوقت ليضع قلمه جانباً، كان قد كتَبَ تُحفتَه اللاهوتية وإحدى أهم الوثائق في تاريخ العالم- رسالته إلى أهل رومية. ويُنسَب الفضل إلى تصريحِ المشكّك رينان القائل بأنه عندما أبحرَتْ فيبي بعيداً عن كورنثوس "حملت تحت ثنايا ردائها مستقبل لاهوتَ المسيحيّين بجملته." وقد كان فعلا محقًّا في ذلك.

الرسالة إلى أهل رومية هي **الإنجيل بحسب بولس.** لقد قام أمير الوعّاظ، ألكسندر وايت في مؤلفه العظيم عن شخصيات الكتاب المقدس، بتصوير بولس وهو منطلق إلى العربية بعد معموديته مباشرة عوضاً عن أن يرجع إلى أورشليم. فقد جاء إلى دمشق كأميرٍ، لكنه غادر إلى العربية مثل سائحٍ متسلّح فقط بعصاه، غير آخذ معه إلا مخطوطاته وبعضاً من الحاجات الأساسية للحياة.

بدا بولس في مستهلِّ خدمته مشدوداً إلى صمت العربية وعزلتها مثلما بدا في نهاية خدمته مشدوداً بصورة متزايدة إلى تسارع روما العظيمة وهرجها ومرجها. فقد كانت السنوات الثلاث التي أمضاها في ظلال حوريب مثمرة فعلاً. أخذ معه، حسبما يعبّر وايت ببلاغة، "موسى والأنبياء والمزامير في مزوده، وعاد إلى دمشق يحمل في فمه وقلبه الرسائل إلى أهل رومية وأفسس وكولوسي."

وما من شكّ أن بولس هو الذي فكّر في المضامين اللاهوتية للمسيحية كما فكّر في المعنى الأعمق للعهد القديم على ضوء الجلجثة، وعلى نور اختباره العظيم عندما كان على طريق دمشق، وتقابله وجهاً لوجهٍ مع يسوع الناصريّ، ثم عرفه أخيراً كالربّ المقام الممجّد الذي صعد إلى السماء. وبولس هو الذي صاغ ألفاظ العهد الجديد، وهو الذي أوفى الصليب حقّه الواجب. وبولس هو الذي أسهب في شرح المعنى الحقيقيّ لمجيء المسيح، ومقامه الممجّد الحالي عن يمين الله. وفي رسالتة إلى أهل رومية نرى استيعابه الرائع للإنجيل معروضاً على أكمل وجه. وعلى كل من يسعى أن يكون راعياً أو مبشّراً أو معلّماً أو منخرطاً في عمل شخصيّ أو يتمتع بفهم فطن لعملِ الله في النفس البشرية، أن يتوافر لديه استيعاب جيّد لسفرِ رومية- **الإنجيل بحسب بولس**

مقدمة

18-1:1

أولا. أهميّة الإنجيل (1:1-4)
أ. تفويضه (1:1)
ب. رسالته (1:2-4)
1. يسوع- المعلَن (1:2)
2. يسوع- المالِك (1:3)
3. يسوع- المُقام (1:4)
ثانيا. خادم الإنجيل (1:5-16)
أ. تعليمات بولس لمسيحيّي رومية (1:5-7)
1. رسالته (1:5)
2. دعوتهم (1:6-7)
ب. شفاعة بولس من أجل مسيحيّي رومية (1:8-9)
1. شكره لله من أجلهم (1:8)
2. صلواته من أجلهم (1:9)
ج. اهتمام بولس بمسيحيّي رومية (1:10-12)
1. كان مشتاقاً لأن يراهم (1:10-11 أ)
2. كان مشتاقاً لأن يخدمهم (1:11ب)
3. كان مشتاقاً لأن يثبتهم (1:11ج-12)
د. نوايا بولس من نحو مسيحيّي رومية (1:13-16)
1. كيف أحبطت هذه النوايا (1:13)
2. كيف تشكلت هذه النوايا (1:14-16)
أ. ثقله- "إنني مديون" (1:14)
ب. جرأتُهُ- "إنني مستعد" (1:15)
ج. اعتقاده- "لست أستحي" (1:16)
1. تفوّق الإنجيل
2. كفاية الإنجيل
3. بساطة الإنجيل
ثالثا. ملخّص الإنجيل (1:17-18)
أ. يعلن برّ الله (1:17)
1. إعلانه لنا
2. ثورويته فينا
ب. يعلن غضب الله (1:18)
1. على الفاجرين
2. على الآثمين
3. على غير المؤمنين

عندما كتب بولس هذه الرسالة لم يكنْ قد زار رومية البتة، فكان من الطبيعيّ أن يبدأ بتقديم موجزٍ لنفسه ولوضعه الخاص في الكنيسة. صحيحٌ أن بعض الذين كانوا في رومية هم من أصدقائه وممَنْ تجدّدوا بواسطته، إلا أنه كان غريباً عن معظمهم. وتُعطي مقدَّمتُه صورةً عن نفسه، وعن علاقته بالرب ومعهم، ولمحةً عن موضوعِ رسالته الرئيس- الإنجيل.

أولاً. أهميّة الإنجيل (1:1-4)

يعلن بولس في الآية الأولى عن أن موضوعه هو "الإنجيل" ويجعله المهيمن على الملاحظات الافتتاحية (الآيات 1، 9، 15، 16).

أ. تفويض الإنجيل (1:1)

"بُولُسُ، عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللهِ " (الآية 1). إن الإنجيل يأسرُ الناسَ لله، وبولس نفسه هو مَثَلٌ صارخٌ على ذلك، فهو يصف نفسه بأنه خادمٌ (عبدٌ) ليسوع المسيح (الآية 1). وليس من غير المحتمل أن يكون بولس قد فكّر هنا بالعبد العبرانيّ في القديم، الذي بفضل محبته لسيده اختار حياة العبودية على حرية العمل المستقلّ. ويمكن لبولس أنْ يقول مثلَه، "أُحِبُّ سَيِّدِي... لاَ أَخْرُجُ حُرًّا" (خروج 5:21). ومثلما كانت أُذن ذلك الخادم في العهد القديم تُثقَب رمزاً لتسليمه القطعيّ، هكذا استطاع بولس أن يقول، "لأَنِّي حَامِلٌ فِي جَسَدِي سِمَاتِ [وصمات، "علامات عبد"] الرَّبِّ يَسُوعَ." (غلاطية 17:6).

لم يكن هناك أيُّ إنسان أكثر وعياً لحريته من بولس. ففي عهدٍ كان فيه كثير من الرجال عبيداً، تمتّع بولس بامتيازٍ نادرٍ ومطمح عزيزٍ جداً (لكل واحد) وهو أن يولد مواطناً رومانياً حراً. ومع ذلك فقد اعتبر أنَّ أعظم شرفٍ له هو أنْ يكون عبداً ليسوع المسيح. ولا ريب أن قرّاءَ بولس سيقدرون افتتاحيّتَه هذه، لأنه كانت لديهم الألفة الكافية بسوق الرقيق إذ أن الكثير منهم كانوا من العبيد.

ولم يجعل تفويض الإنجيل بولس العبد الطوعي للمسيح فقط، ولكنه منحه أيضا شرفاً مميّزاً. فقد جعلَهُ رسولاً. والكلمة تعني "الشخص الذي أُرسل". وهي ما يُقصد به بلفظة "المرسل"، ولكن دعوة بولس كرسول تحملُ امتيازاتٍ إضافية، وتضعه في مصاف بطرس ويعقوب ويوحنا (2 كور11:5). وفي إعلان براءة رسوليّته يصبح بولس أعظم رائدٍ للكنيسة والناطقَ الرئيس باسمها. وعندما مات بعد نحو ثلاثين سنة من صلب الجلجثة، كانت قد تأسست كنيسةٌ لعبادة المسيحيّين في كلِّ مدينةٍ رئيسة من الامبراطورية الرومانية الغربية، وذلك غالباً بفضل جهوده. وهكذا أثبت بشكلٍ كامل رسوليَّته (رو 19:15).

وتفويضُ بولس في حمل الإنجيل أحدث فيه شيئاً آخر. لقد أفرزَهُ (الآية 1). فالرجل الذي سيصبح الأكثر فعالية في خدمة الله عليه أن يُحرقَ كل الجسور. بعدما ألقى مغامرو كورتز Cortez الإسبانيّون المراسي على شواطئ المكسيك، أمر ربّانُهم الشديد الشكيمة بإحراقِ سفنِهم على الشاطئ. ومنذ ذلك الحين أصبح الأمر قضية انتصار أو موت. كذلك قطع بولس على نفسه أيّة فرصةٍ للمساومة من جهة المسيح أو الإنجيل.

إن الكلمة اليونانية المستخدمة لـ "مُفرَز" في هذا النص تنطوي على فكرة "الأفق." لقد هيمن المسيح على مجمل أفق بولس ، وحدّدَ كلَّ تخوم حياته. كان بولس مُفرَزاً من الله **قبل** تجديده (غل 15:1)، ومن المسيح **عند** تجديده (أع 15:9)، ومن الروح القدس **بعد** تجديده (أع 2:13). فهو "الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللهِ ".

ب. رسالة الإنجيل (1: 2-4)

يتجلّى المسيح في صميم رسالة الإنجيل. ويسلّط بولس الرسول الأضواء أمامنا في الآيات الثلاث التالية ضمن أوجهٍ ثلاثة. فهو (1) المعلن عنه، "الموعود به من قبل" (الآية 2) لأنّ "إنجيل الله" متجذّر بعمقٍ في العهد القديم".

كذلك، إنّ الوحي الإلهي هو وِحدةٌ عضويّة متكاملة تبلغ ذروتها القصوى في الإنجيل. وأمّا دعوة بولس الخاصة فكانت في تناوله الأشياء الخاصّة بالمسيح والكامنة في العهد القديم، وشرحها على ضوء عمل

الجلجثة. وقد أُعطيت لبولس ثلاث حقائق أو "أسرار" كبيرة، وبالتالي تختص جميعُ رسائلِه إلى الكنائس بهذه الحقائق. فلنتتبّع النمط التالي على أساس 2 تيموثاوس 3: 16.

أولا. رومية: سرّ **صليب** المسيح
أ. كورنثوس الأولى والثانية—توبيخ (فشل أخلاقيّ)
ب. غلاطية—تصحيح (خطأ عقائديّ)
ثانيا. أفسس: سرّ **كنيسة** المسيح
أ. فيليبي—توبيخ (فشل عمليّ)
ب. كولوسي—تصحيح (خطأ عقائديّ)
ثالثا . سالونيكي الأولى والثانية: سرّ **مجيء** المسيح

كانت هذه "الأسرار" جميعها إعلاناتٍ جديدة، ولكن لم يكنْ أيٌّ منها يتعارض مع ما قد أعلنه الله في أزمنة العهد القديم. فحقيقة الصليب، والكنيسة، ومجيء الربّ ثانية كانت كلُّها منطويةً ضمن رموز العهد القديم وظلاله.

تختصّ رسالة الإنجيل بيسوع لا لكونه المعلن عنه فحسب، ولكن أيضاً باعتباره (2) الذي يملك. فهو، "يسوع المَسيح ربّنا، الذي صارَ مِنْ نَسْلِ داود مِنْ جِهَةِ الجَسَد" (الآية 3).

يبدأ العهد الجديد بالإشارة إلى يسوع على أنّه ابن داود وينتهي بها (متى 1:1؛ رؤ 22: 16). فقد بلغ النسلُ المسيحانيُّ ذروتَه في يسوع. كما أنّ متّى ولوقا يتتبّعان حقّه الشرعيّ في المُلك على عرش داود باستخدامِ سلاسلِ النسب المختلفة من العهد القديم. وممّا له مغزاه في حادثة الجلجثة أن أحداً لم يبالِ بقبول تحدي إشعياء القائل "يُخْبِرُ بِهِ" (قارن إشعياء 53: 8 مع أع 8: 33). فلو حصل ذلك لكان إعلاناً صريحاً بأنّه الوحيد الذي له الحقّ في عرش داود لأنه كان حقّاً "ملك اليهود".

يعلن بولس حقّ المسيح في المُلك بطريقتين. فهو، مركزياً، "نسل داود"، **وشخصياً** هو "يسوع المسيح ربّنا." قد ينكر عليه العالم بأسره حقّه في العرش كنسل داود خلال هذا العصر، ولكن مِنْ واجبِ كلِّ مؤمنٍ أنْ يملّكه ربّاً ومسيحاً على حدٍّ سواء.

وثمّة مظهر ثالث لرسالة الإنجيل له علاقة بمجيء المسيح. فإنّه (3) "المقام" الذي تعيّن "ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ" (الآية 4)

وتشير عبارة "روح القداسة" إلى أنّ الرب يسوع عاش حياة الانتصار على قوة الخطيئة، وبالفعل، كانت حياته كليّة القداسة. فإنّه لم ينظر قط نظرة شهوة؛ كما إنّه لم ينطق بأيّة كلمة متسرّعة، أو قاسية أو غير صحيحة أو تافهة؛ كما لم يراعِ في قلبه مطلقاً أيّ فكرٍ نجس، ولم يختبر أبداً شكاية الضمير عليه، ولم تشتعل فيه أهواء الهوان، ولم يخرجْ مُطْلقاً عن إرادة الله، ولم يهدرْ وقته على الإطلاق، ولم يستخدمْ مواهبه أبداً لغاياتٍ أنانية؛ كما لم يترك أبداً تأثيراً سيّئاً، ولا صدر عنه قطّ أيُّ حكمٍ خاطئ. كذلك لم يضطرّ للاعتذار عن أيِّ شيءٍ عمله أو للتراجع عن كلمةٍ واحدة قالها. لم يتأخّر عن شيء قطّ ولا كان متهورا. لم يتصرف بانزعاج أو تفاهة قطّ، ولا كان سطحيّاً أو خائفاً على الإطلاق. لقد عاش على الأرض ما يقرب من 12 ألف يوم، وكل واحد منها كان معجزة في القداسة. كان "قُدُّوساً بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَس، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ" (عبرانيين 7: 26).

لقد كان بإمكانه أن يرتفع من قمة جبل التجلي مباشرة إلى المجد، كما كان انتصاره مطلقاً من اللحظة التي تنشّق فيها أوّل أنفاسه في حظيرةِ بيت لحم وإلى اللحظة التي أغمض فيها عينيه بالموت على الصليب في الجلجثة. لقد " تعيّن ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ."

وتوحي عبارة " بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ" إلى انتصاره على عقاب الخطيئة. فقد قام من بين الأموات. في أثناء الثورة الفرنسية شكا رجل يدعى م. ليبو أمره إلى تاليران قائلاً إنّ الدين الجديد الذي اعتنَقُه، وهو ما اعتبره تحسناً كبيراً على المسيحية، قد فشل في كسبِ أتباعٍ له بين الناس. وطلب من تاليران أنْ يشير عليه

ببعض الاقتراحات. وردّ عليه تاليران بجفافٍ قائلاً، "أيّها السيّد ليبو، لضمان نجاح الدين الجديد الذي اعتنقتُه، كلُّ ما عليك فعله هو أنْ تصلبَ نفسَك ثم تقوم من الأموات في اليوم الثالث"!

كان هذا هو بالذات الأمر الخاص بالمسيح الذي سلب لبّ بولس—قيامته! فقد تلاقى بولس بيسوع أوّلاً على طريق دمشق كالربّ المقام والمرتفع (أعمال 9: 1-6). وحقيقة يسوع المسيح الحيّ والممجّد رسّخت قناعةَ بولس بأنّه كان فعلاً ابنَ الله.

تفرَّسْ فيه هناك على الصليب وهو يطأطئ رأسه في ضعفٍ تامٍ ويموت. ثم قفْ الآن بالقرب من القبر المفتوح في صباح اليوم الثالث. "أيّها الحرّاس، ألقوا القبض عليه! انظرْ كيف دحرجوا الحجر وكسروا ختم القيصر الجليل. باسم روما الامبراطورية، أمسكوا ذراع هذا الرجل الذي يسير وحيداً إلى خارج القبر. ألقوا الأيادي عليه!" لكن لا، فهؤلاء الحراس كانوا كرجالٍ أموات على الأرض. لقد راهنَ المسيحُ بالكليّة على هذا الأمر—إذ قال، "لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا (يوحنا10:18)؛ وهكذا فقد أخذها مرة أخرى، وقهر الموت! وهو حيّ إلى الأبد بقوة حياةٍ لا تزول. فمن جهة الجسد، هو نسلُ داود؛ ولكن من جهة روح القداسة، إنّه ابنُ الله.

ثانياً. خادم الإنجيل (1:5-16)

إن أكثر الكلمات تكراراً التي يستخدمها بولس في هذ االجزء هو ضمير المتكلّم المفرد، "أنا"، وضمير الياء المتصلة للمفعولية، والياء الإضافية. وهو هنا يستعرض الأسباب الرئيسة التي جعلته يكتب رسالته إلى رومية.

أ. تعليمات بولس للمسيحيين في رومية (1:5-7)

يبدأ بولس بتحديد (1) **إرساليّته**. "الَّذِي بِهِ، لأَجْلِ اسْمِهِ، قَبِلْنَا نِعْمَةً وَرِسَالَةً، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ" (الآية 5). تأتي النعمة قبل الرسولية، ويأتي الخلاص قبل الخدمة. يقول يسوع: "تَعَالَوْا إِلَيَّ"، قبل أن يقول: "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ". فالالتزام بالحق يسبق الالتزام بالإرسالية. لقد أخفق العديد من ذوي النوايا الطيبة في رؤية هذا الأمر. كان جون ويسلي في طريقه إلى الحقل الإرساليّ قبل أن يكتشف أنه نفسه لم يكن متجدّداً وبحاجةٍ إلى مخلِّص.

تدور حياة بولس كلها حول الكلمات، "لأَجْلِ اسْمِهِ... لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ،" ويكرّرها كلمة كلمة تقريباً في نهاية الرسالة (26:16). يجب أن يكون **موقفنا** "لِطَاعَةِ الإِيمَانِ"، **وإرساليّتنا هي** "لجَمِيعِ الأُمَمِ"؛ **وسلطتنا** هي "اسْمه". ويضع بولس أمامنا باستمرار الحاجة الملحّة لتبشير العالم.

ثم بعد أن حدّد إرساليّته شرع يبحث في (2) **دعوتهم**. "أَنْتُمْ أَيْضًا مَدْعُوُّو يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (الآية 6). ويناقش الرسول بولس بالتفصيل ما تنطوي عليه هذه الدعوة في وقتٍ لاحق من الرسالة (8: 28-30)، غير أنه لا يذكر سوى ثلاثة أشياء فقط عند هذه النقطة.

وقد **حدّد الله مكان** وجود الذين دعاهم. فبالنسبة لقرّاء بولس كان مقرّ هؤلاء المدعوّين "فِي رُومِيَةَ" (الآية 7). ولكنَّ مدعوّي الله قد تم تعيين أماكن وجودهم سواء كان ذلك في روما القديمة أو في نيويورك الحديثة أو في أي بلدٍ عربي؛ فهو يعرف حقاً مقرَّ كل واحد منهم. "يَعْلَمُ الرَّبُّ الَّذِينَ هُمْ لَهُ" (2 تيمو 19:2)

والمدعوّون من الله هم أيضاً محبوبوه " أَحِبَّاءَ اللهِ" (الآية 7) وقد رفّعهم وأصبحوا "مَدْعُوِّينَ قِدِّيسِينَ". وفي أثناء هذا الجيل يدعو الله من العالم (أع 14:15) جماعةً مختارةً من الناس اسمها "الكنيسَة". (والكلمة التي تُرجِمت منها كلمة كنيسة في العهد الجديد هي إكليزيا –"الجماعة المفرزة "). فهؤلاء المفرزون هم المدعوّون "قدّيسين" وهو أحد الألقاب التي يُعرَف بها شعب الله في العهد الجديد. ولا تقتصر كلمة "قدّيسين" على طبقةٍ خاصة ضمن الكنيسة، وإنما تصفُ جميعَ الذين آمنوا بالمسيح، كما تحمل الكلمة فكرةً مرادفةً لكلمة "الكنيسة" وتعني "المفرَز لله."

ب. شفاعة بولس للمسيحيين في رومية (1:8-9)

بدأت شفاعة بولس (1) بالشكر. "أَوَّلاً، أَشْكُرُ إِلهِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، أَنَّ إِيمَانَكُمْ يُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ" (الآية 8).

لم يكن بولس بطبيعته مفرغاً في قالب الغيرة. ففي إمكان كنيسة رومية أن تكون مصدر فخره وفرحه. وربّما اشتهى لو حَظِيَ بشرفِ زرعِ الكنيسة في روما بصفتِهِ رسولَ الأمم. إلا أن مفاهيمه الاستراتيجية الشاملة كانت أكبر من أن تجعله ضيِّق الأفق لأن آخرين يتمتّعون بهذا الفرح. ولكن لم يكن موقف جميع الناس مثل بولس من هذا الأمر، فقد استاء بشدةٍ بعض من كان في روما بسبب زيارة بولس المزمعة لمدينتهم، لأنه عندما وصل إليها كسجينٍ لنيرون وجدهم فعلاً يعظون بالمسيح عن حسدٍ وخصامٍ آملين بذلك أن يضيفوا إلى بولس وثقاً وضيقاً (فيلبي 1:15-16). إن بولس لم يعرف مثل هذه الروح.

واستمرّت شفاعة بولس (2) **بالصلاة**. "فَإِنَّ اللهَ الَّذِي أَعْبُدُهُ بِرُوحِي، فِي إِنْجِيلِ ابْنِهِ، شَاهِدٌ لِي كَيْفَ بِلاَ انْقِطَاعٍ أَذْكُرُكُمْ، مُتَضَرِّعًا دَائِمًا فِي صَلَوَاتِي" (الآيتان 9، 10). فكما وجب ألا تُطفأ النيران أبداً على مذابح إسرائيل هكذا كان قلب بولس الواسع يشتعل دائماً بالصلوات من أجل أنفس الناس. إن دخان شفاعته كان يتصاعد نهاراً وليلاً إلى الله. إن معظمنا يفتقر إلى الإيمان الكافي للصلاة من أجل عائلاتنا وأصدقائنا فكم بالأحرى تقلّ صلواتنا المستمرة لأجل المقيمين في مدنٍ أخرى ممّن لم نرَ وجوههم البتة. ولكن عندما حثّ بولس أهل تسالونيكي بقوله، "صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ" (1 تس 17:5) فإنه كان ببساطة يشجّعهم لكي يتبعوا خطواته.

ت. اهتمام بولس بالمسيحيين في رومية (1:10-12)

كان يتوق لرؤيتهم وخدمتهم وتشديدهم. وتؤكد عبارة "أن يتيسر لي مرة" مدى إخلاصه المطلق (الآية 10). كانت (هذه الرغبة) 'شيكاً على بياض' إذا جاز التعبير، موقّعاً ومقدَّماً إلى الله. وكأنّ بولس يقول، "يا ربّ، أريد أن أذهب إلى روما، ولكنني تحت تصرّفك بالتمام في هذا الصدد. سأذهب بأية طريقةٍ تختارها أنت". وقد تقبّل الله عرضه كما هو، وملأ فراغ الشيك بأكبر مبلغٍ ممكن وأرسله إلى هناك في سلاسل. ولم يخجلْ بولس أبداً من تلك السلاسل، ولم يعتبرْ نفسه أسيرَ نيرون، وإنما دائماً أسيرُ يسوع المسيح.

كان لدى بولس بعض الأهداف المحدّدة لذهابه إلى روما. ويوضح رغبته بقوله، "لِكَيْ أَمْنَحَكُمْ هِبَةً رُوحِيَّةً لِتَبَاتِكُمْ" (الآية 11). كان على ثقةٍ بأن مجيئه سيغدو مصدر بركةٍ لهم، وأن شركتهم معه ستكون مصدر تشجيع له (الآية 12). وكان على حقٍّ! فقد استطاع بولس، فيما بعد، أن يكتب إلى أصدقائه في فيلبي خلال سجنه الأول في رومية، "ثُمَّ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّ أُمُورِي قَدْ آلَتْ أَكْثَرَ إِلَى تَقَدُّمِ الإِنْجِيلِ، حَتَّى إِنَّ وُثُقِي صَارَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلاَيَةِ وَفِي بَاقِي الأَمَاكِنِ أَجْمَعَ. وَأَكْثَرُ الإِخْوَةِ، وَهُمْ وَاثِقُونَ فِي الرَّبِّ بِوُثُقِي، يَجْتَرِئُونَ أَكْثَرَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ بِلاَ خَوْفٍ." (في 1:12-14).

د. نوايا بولس من نحو المسيحيين في رومية (1:13-16)

لاحظ (1) **كيف أخفقت** خطط بولس ليقوم برحلته إلى رومية. " ثُمَّ لَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنَّنِي مِرَارًا كَثِيرَةً قَصَدْتُ أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ، وَمُنِعْتُ حَتَّى الآنَ." (الآية 13). كان الشيطان أحيانا هو الذي يعرقل خطط بولس (1 تس 18:2). ولكن كما يبدو، من المرجح في هذه الحالة أنَّ ما منعَ بولس من المجيء إلى رومية هو جولات كرازته بالإنجيل في أنحاءٍ أخرى من العالم بإرشادِ الروح القدس.

لاحظ بعد ذلك (2) كيف تم **ترتيب** خطط بولس للرحلة إلى رومية. فقد قامت على ثلاثة أمور هي: تثقّله ("مَدْيُونٌ")، وجرأته ("مَا هُوَ لِي مُسْتَعَدٌّ")، وإيمانه ("لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ").

"إِنِّي مَدْيُونٌ لِلْيُونَانِيِّينَ وَالْبَرَابِرَةِ، لِلْحُكَمَاءِ وَالْجُهَلاَءِ" (الآية 14). نرى هنا تثقّل بولس، فهو لم يَعْبأ بكثير أو قليل في ما إذا كان الإنسان متحضّراً أو فظًّا، مثقّفاً أو جاهلاً. فهو ينادي بالمسيح بالحماس نفسه سواء لعبدٍ هاربٍ مثل أُنسيمُس أم لعاهلٍ ملكيّ متكبّر مثل الملك أغريباس، فالذين يعرفون الحقّ في المسيح مديونون للبشريّة جمعاء. فعليهم أن يقولوا متشبهين بأولئك البرص القدامى الذين عثروا على غنائم وافرة بينما كان زملاؤهم يتضوّرون جوعاً في مدينةٍ محاصرة، "لَسْنَا عَامِلِينَ حَسَنًا. هذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ بِشَارَةٍ وَنَحْنُ

سَاكِتُونَ" (2 مل 9:7) فهذه هي الروح السليمة حقاً. فالذين وجدوا كنز الإنجيل ينبغي أن يتقاسموه مع جميع الناس. إنه دَيْنٌ.

"فَهكَذَا مَا هُوَ لِي مُسْتَعَدٌّ لِتَبْشِيرِكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ فِي رُومِيَةَ أَيْضًا "(الآية 15). هنا جرأة بولس. يقول السير هنري رايدر هاغارد، "رومية! ما مِنْ مكانٍ ولا حتى في المكسيك القديمة اندمجت فيه الثقافة الراقية بأحطّ مستوى من الهمجيّة اندماجاً تاماً. الفكر؟ كان لرومية حظها الوافر منه؛ وقلَّ من استطاع التفوق على أنبل جهود عباقرتها؛ قانونها أساس أفضل ما لدينا من الشرائع. استعارت الفنّ لكنّها قدّرتْه؛ ولا يزال نظامها العسكريّ من عجائب العالم؛ ويبقى عظماؤها كباراً بين عددٍ وافرٍ من المنافسين، ومع ذلك، لشد ما كانت رومية متوحشة! يا لها من نِمرةٍ! إننا لا نجد وسط جميع آثار مدنها مستشفى واحداً، ولا أظن أنها شيدت مدرسةً للأيتام في عصرٍ كَثُرَ فيه الأيتام. ويبدو أنَّ تطلّعاتِ الأفراد التقية وجهودَهم لم تلمسْ أبداً ضمائرَ الناس. فليس لدى رومية المتجسّدة ضميرٌ؛ فهي وحشٌ شهوانيٌّ مفترسٌ جَعَلَها ذكاؤها وروعتها أكثرَ وحشيّة."[1]

وكان بولس مستعداً للتبشير بالإنجيل في رومية. عندما كان يعظ بالإنجيل في أورشليم، مركز العالم الديني، هاجمته الغوغاء. وعندما كرز به في أثينا، عاصمة الفكر في العالم، صار موضع سخرية. وعندما بشَّر به في رومية، مركز التشريع في العالم، استشهد. كان مستعِدّاً لذلك. قال إنه على استعدادٍ للتبشير بالإنجيل في رومية "لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ." (16:1). وهنا يكمن **إيمان بولس**.

واستندت ثقة بولس المطلقة في الإنجيل إلى **تفوّقه**. فقد عرف أنه يسمو بكثيرٍ على أيّ دين أو فلسفةٍ عرفتهما الأرض. وسادت عالم أيام بولس ثلاثة اتجاهات فكرية- اليونانيّ والرومانيّ والعبرانيّ؛ غير أن المنطق اليونانيّ، والقانون الرومانيّ، والنور العبرانيّ، خبت جميعاً أمام نور الإنجيل. واستطاع بولس أن يجابهها كلها قائلاً، "لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ". ولم يكن هذا تباهياً من ريفي جاهلٍ. لم يكن بولس أمّياً وإنما رجلاً عالمياً ذا رؤية كونية وعلمٍ متحرّر، واهتمامٍ شامل، وقوةٍ فكرية عظيمة. كانت هذه شهادة رجلٍ متضلعٍ بشؤون العالم وقد نجح نجاحاً باهراً في إعلان رسالة الصليب. لقد اختبر بولس تفوّق الإنجيل.

كانت ثقة بولس في الإنجيل قائمة على **كفايته**، كما كتب، "لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ." لا يحتاج العالم إلى نظامٍ أفضل للتعليم، ولا إلى المزيد من الإصلاح الاجتماعيّ، أو أفكارٍ دينية جديدة، لكنه يحتاج إلى الإنجيل. فرسالة الإنجيل تستحوذ على العقل، وتبكّت الضمير، وتدفئ القلب، وتخلّص الروح، وتقدّس الحياة. وهي تستطيع أن تجعل السكارى صاحين، والمعوَجِّين مستقيمين والنساء الفاجرات طاهرات. إنها رسالة تكفي لتغيير حياة أي إنسانٍ يؤمن بها.

كانت ثقة بولس بالإنجيل مبنية على **بساطته**. فهو قوة الله للخلاص "لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ." هل يمكن لأيّ شيءٍ أن يكونَ أبسطَ من ذلك؟ إن دعوةَ الإنجيل دعوةٌ لبساطة الثقة بابن الله، الربّ يسوع المسيح، كمخلّصٍ شخصيّ من الخطيئة.

ثالثاً. موجز الإنجيل (1:17-18)

يختتم بولس مقدّمته البعيدة المدى بملخّصٍ موجزٍ للإنجيل.

أ. إنه يكشف برَّ الله (1:17)

تتكرّر الكلمة الرئيسة "برّ" ومشتقّاتها حوالي خمسين مرة في سفر رومية. أولاً، يوضح بولس (1) إعلان ذلك البرّ بهذه الآية، "لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ" (الآية 17). البرّ يعني "التطابق مع الحق"، أي إذعان الإنسان للمطالب الإلهية. البرّ هو ما عليه الله، وما **يمتلكه** وما **يعطيه**. والبرّ الذي هو كائن في ذات الله يوفّره في المسيح. وينبغي قبوله بالإيمان، لأنه، بناءً على شرط الثقة الوحيد البسيط، يردّ الله الإنسان إلى البرّ.[2].

يقول الأسقف لايت فوت عن هذا النص أنَّ كل الناموس أعطي لموسى في 613 وصية. ويقدّم داود مجملها في المزمور 15 ضمن 11 وصية. ويختزلها إشعياء في ست وصايا، وميخا في ثلاث، ثم إشعياء في نص لاحق إلى اثنتين، ولكن حبقوق يختصرها جميعاً بوصية واحدة، "أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا"[6]

ب. الإنجيل يعلن غضب الله (18:1)

من الخطأ أن نهمل الجانب الأكثر صرامة من تعاليم المسيح. فمن المهم بمكان أن ندرك أنه تحدّث عن الجحيم أكثر مما تحدّث عن السماء [7]. وفي عرض بولس للإنجيل، ترد الأخبار **السيّئة** عن خطيئة الإنسان وغضب الله قبل الأخبار **السارة** عن الخلاص في المسيح. "لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ" (الآية 18). يصرّح بولس بأنَّ غضب الله مُعلَنٌ من السماء لثلاثة أسباب: فهو مُعلَنٌ بسبب (1) **فجور الناس**. إن قضية فجور الإنسان، وحقيقة انه لا عذر لها أصبحتا موضوعٍ بولس الأول والرئيس في هذه الرسالة.

ثم إنَّ غضب الله معلنٌ من السماء على (2) **إثم الناس**. وفي حين أن الفجور هو في الدرجة الأولى خطيئةٌ ضدّ الله، فإن الإثم هو أيضاً خطيئةٌ ضد الإنسان. فهو موقف لا يكون المرء فيه مستقيماً مع الله ولا مع الناس. فخطيئة الإنسان الأولى في جنة عدن فصلته عن الله؛ لكن خطيئته الثانية (قتل قايين لهابيل) فصلت الإنسان عن الإنسان (تك 3 و4). وكما يسخط الله من سوء معاملة الإنسان لقريبه فإنه يسخط كذلك من سوء معاملته لخالقه.

وأخيراً، فإنَّ غضب الله مُعلَن من السماء على (3) **عدم إيمان الإنسان**. يتحدّث بولس عن أناس "يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ" (الآية 18)، أو كما تعبر عنها بعض الترجمات بمعنى "يَقْمعون" أو "يَخْنقون" الحقّ. إن الله يجعل جميع الناس يقدمون حساباً عن حقائق أساسية معينة، فإن الرفض المتعمّد المنكر لهذه الحقائق لا بُدَّ أن يقع تحت طائلة الدينونة. وهكذا يقدِّم بولس نفسه ورسالته. وما تبقى من رسالة رومية هو إسهابٌ لهذه المقدمة.

الجزء الأول

مبادئ الإنجيل

39:8-19:1

شعور الوثنيّ بالذنب

32-19:1

أولا. عمى الوثنيّ الإرادي (20-19:1)

أ. شهادة الله لا التباس فيها (19:1)

ب. شهادة الله عالمية (20:1)

1. مرئية من كلُّ الناس

2. تكشف كلَّ الناس

ثانيا. معتقدات الوثنيين الشريرة (25-21:1)

أ. تضخم ذات خيال الإنسان الملحد (21:1)

1. صار الإنسان غير متديّنٍ عن وعي (21:1 أ)

2. صار الإنسان بالتالي غير منطقيّ (21:1 ب)

ب. تأثير صور الإنسان الذاتية المنحوتة (25-22:1)

1. الوثن من تصور الإنسان (23-22:1)

2. الوثن يخدع الإنسان (25-24:1)

أ. استعباده الجسديّ (أو الحسي) (24:1)

ب. استعباده الروحيّ (25:1)

ثالثا. سلوك الوثني الفاجر (32-26:1)

أ. يصبحون منحرفين أخلاقياً (27-26:1)

1. خطايا الرجال اللاطبيعية (26:1)

2. خطايا النساء اللاطبيعية (27:1)

ب. يصبحون منحرفين ذهنياً (32-28:1)

1. سبب التفكير الخاطئ (28:1)

2. نتائج التفكير الخاطئ (32-29:1)

أ. أفعال بشرية وضيعة

ب. سلوك بشري وضيع

ج. حديث بشري وضيع

د. مفاهيم بشرية وضيعة

ه. معاشرات بشرية وضيعة

يعالج أولّ قسم رئيسٍ من سفر رومية **تعليم عقيدة** الإنجيل (الفصول 1-8). وثمة ثلاثة مواضيع تشغل فكرَ بولس وقلبه في هذه الفصول وهي، الخطيئة، والخلاص، والتقديس.

قليلة هي فصول الكتاب المقدّس التي تعالج بصورة صارخة موضوع الخطيئة نظير الفصول الافتتاحية في سفر رومية. يوحي المشهد بوجود قاعة محكمة يؤتى إليها بالوثنيّ والمرائيّ والعبرانيّ - ويحكم على كلٌّ منهم بأنه مذنب كليا أمام الله. وأخيراً تُستدعى الإنسانية بمجملها ويُعرض عليها موجزٌ مخيفٌ لقضية الله ضد الجنس البشريّ. تبدأ لائحة الاتهام بدينونة الله للوثنيّين.

ونصُّ رومية 1:19-32 هو استطلاع واسع لأسباب الوثنية وعواقبها. يكشف هذا المقطع عن أنه ليس هناك وثنية خام **بدائية** فقط، أي عبادة الإنسان الفاضحة للمنحوتات، بل هناك أيضا وثنية **متحضّرة**، وهي عبادة الإنسان لخياله الملحد. فبعض الناس يتذلّلون عند قدم **أحد التماثيل**، وآخرون يعبدون في مزار **مثالاً أعلى**. اطلع بولس على هذين الصنفين من الوثنية في كورنثوس مكان إقامته عندما كتب هذه الرسالة، وكان بإمكانه أن يرى الممارسات المخزية لهذه الخطايا الطاغية التي صنَّفها في نهاية الفصل.

وبطبيعة الحال، لا يقتصر "الوثنيّون" على الذين ينحنون للخشب والحجر. فجميع الذين لا معرفة لهم بالرب يسوع هم، بمعنى ما، وثنيّون. وكثير من الناس في البلاد الغربية المستنيرة الذين لديهم معرفة غامضة عن أمور الله ولكنهم يتركونه خارج حياتهم، يمارسون الوثنية أيضاً.

يصوّر بولس ثلاث خطوات من التدنّي المفضي إلى الوثنية. أولاً، هناك عمى متعمّد، أي رفضٌ متعمّد للحقيقة. ويتبعه معتقداتٌ شريرة إما عقلانية أو دينية. وهذه بدورها تؤدي إلى السلوك الفاجر.

أولاً. عمى الوثنيّين الإرادي(1:19-20)

يقول لِيث صموئيل، إن العديد من المُرسَلين يُلمّحون إلى أن الوثنيّين يعرفون أكثر مما نظنّ." ويضيف، "إنهم يعرفون أنه يوجد إلهٌ ما. ولا يوجد ملحدون بين القبائل الوثنية. ولم يتم اكتشاف أي قبيلة من الناس على الأرض، مهما كانت صغيرة أو فاسقة، لا تؤمن بنوع ما من الآلهة أو ليس لديهم نظام ما للعبادة...والوثنيّون الذين عُثِر عليهم فيما يسمى بالقبائل البدائية يعرفون أنهم ارتكبوا الخطيئة. وعندما يقبل المسيحيّ إليهم ويحدثهم عن الخطيئة، يجد في كثيرٍ من الأحيان أن لديهم دراية بصحة ذلك. ويبدو أن الوثنيّين يدركون أن خطاياهم هي حتماً عرضة للعقاب؛ كما يلوح أنهم يخشون العقاب ويخافون من الموت (مثل معظم الناس في كل مكان). فهم يعرفون أن الخطيئة ينبغي أن يُكفَّر عنها، ويبحثون عن وسائل لاسترضاء إلههم الغاضب أو آلهتهم الغاضبة."

ا. شهادة الله لا التباس فيها (1:19)

إن القول أن الوثنيّين ليسوا بلا شاهدٍ عن الله الحقيقي هو نقطة بولس الأولى إذ يصرح، "إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُم"، (الآية 19). فمن حيث أن جميع الأمم تنحدر من عائلة واحدة في الأصل (تك 10؛ أع 17: 26) ينجم عن ذلك أن كل الأمم كانت لديها في يوم ما بعض المعرفة بالحق المعطى أصلاً للجنس البشريّ. ويوضح كلٌّ من علم الآثار وعلم التاريخ أن تقديم الذبيحة هي ممارسة عالميةٌ في الأديان البشرية منذ أقدم العصور. ويقول أنغر أن هناك تشابهاً كافياً "يبرهن عن وجودِ أصلٍ واضح في إعلان الله المعطى للجنس البشريّ بعد السقوط مباشرة. وقد تشوّه هذا المصدر الأصلي وانحرف مع تخبّط الإنسان في الوثنية أكثر فأكثر، وانعكس في أنظمة الذبائح التي سادت بين جيران إسرائيل المُشرِكين."

وتبيّن أسطورة أوزوريس في مصر مدى النور الذي كان لدى الأمم الوثنية. فبناءً على هذه الأسطورة، عَرَضَ أوزوريس، روح الخير البراق أن يضحي بنفسه من أجل أعمال الجنس البشري الشريرة التي أنزلته من عرشه. وانبثقت عنه وعن "الأم الإلهية"، التي منها وُجِدت كل الطبيعة، روحٌ أخرى لحماية المؤمنين على الأرض كما كان أوزوريس المبرّر لهم في أمِنْتي. وهكذا شاعت أسطورة أوزوريس. ومع أن الحقيقة كانت قاتمة ومشوّهة لكنها كانت موجودة هناك.

ب. شهادة الله عالمية (20:1)

لله شاهدٌ آخر بالإضافة إلى الإعلان البدائيّ، وهذا الشاهد لا يمكن لإنسان أن يشوهه- إنه شاهد الخليقة. ويعلن بولس، "لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ" (الآية 20).

فكل البشر (1) **يعاينون بوضوح شهادة الخليقة** (غالبا ما تسمى "الطبيعة"). وقد وصف الشاعر لونغ فيلو بصورة مبهرجة، كيف أن الطبيعة، شهادة الله الأكثر قدماً، تتحدّث عنه:

ووضعت الطبيعة، المربّية المسنّة،

الطفل على ركبتها،
قائلة: "هاك كتاباً قصصياً
كتبه لك أبوك!"
وقالت، "تعال وتجوّلْ معي
في مناطق لم يطأها أحد
وطالِعْ ما لم يُقرأ بعد
في مخطوطات الله" !
وتجوّلَ بعيداً، وبعيداً
مع الطبيعة، المربية العزيزة المسنّة،
التي غنَّتْ له ليلاً ونهاراً
أهازيج الكون.

يتوقّع الله من الناس أنْ يتعلّموا من الطبيعة عن حقيقة قدرته السرمديّة ولاهوته. ولدى تعلّم هاتين الحقيقتين بطريقة سليمة، لا بد أن يسفر ذلك عن رغبة كونية لتسبيح الله وإرضائه. وتوفّر أجناد السماء وحدها، المتألقة في الفضاء، شهاداتٍ كثيرة على هاتين الحقيقتين، وشهاداتها عالميةٌ حقاً. ويؤكّد المزمور التاسع عشر، "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ... لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ." قال إبراهام لنكولن ذات مرةٍ، "في طوقي أن أرى كيف يمكن أن ينظر الإنسان من فوق إلى الأرض ويكون ملحداً، ولكنني لا أستطيع أن أتصوّر كيف يمكنه أن يتطلع إلى السماوات ويقول لا يوجد إله." افتخرَ أحدُ رجال الثورة الفرنسية أمام فلاحٍ وقال، "سوف نهدم كل ما يذكّرك بوجود الله."أجابه الفلاح بخشونةٍ، "إذن اهدم النجوم أيها المواطن!"

ومع ذلك فإن بولس يضع حدوداً لما يمكن أن نتعلّمه من الطبيعة عن الله. فالطبيعة تشير إلى خالقٍ أزليّ كلّي القدرة، وكليّ المعرفة، وكلّي الوجود، ولكن خارج تلك الحدود يتعثر صوتها ويخفق. ويقول ف. و. بورهام، "إنني لا أتفق مع الإنسان الذي يقول لي إنه ليس بحاجة إلى الكنيسة للعبادة وأنه يجد الله في الطبيعة. وكلنا نعرف صديق إيان ماكلارين الذي ادَّعى أن روحه تباركت من غروب مجيد أكثر من كل ما سمعه في الماضي من مواعظ. إن انتقادي الوحيد لهذا الرجل هو أنه بكل وضوح مخادعٌ وغير مخلص. فهو **يقول** إنه يجد الله في الطبيعة ولكنه لا **يعني** أي شيء من هذا القبيل. فهو يمارس أسوأ عقيدة تحفُّظٍ عقليّ يمكن أن توجد في أية مدرسة للإفتاء. إنه يقول إنه يجد الله في الطبيعة، وهذا يعني أنه يجد الله في زهرة البنفسج. ولكن الطبيعة ليست بنفسجاً، وإنما فيها **البنفسج** وفيها **الأفاعي**... وليكون صادقاً تماماً، عليه ألَّا يعبد عطر البنفسج الأخّاذ فقط بل أنياب الأفاعي الرهيبة أيضاً. ينبغي ألَّا يعبد نغمات القبّرة المسرّة فحسب بل أيضاً منقار النسر الملطّخ بالدماء. ينبغي ألَّا يعبد رشاقة الغزال الرقيقة فحسب بل إيضاً فكّي الثعلب الداميين."

يلخص روبرت لويس ستيفنسون هذا الأمر في أبياتٍ مثيرة:

هناك ازدهر القاتلُ الأخضر وامتدَّ
وتغذّى بضحاياه المختنقة،
وعتا بلفائفه المتسلّقة.
يزاحم جذوراً تتنازع على التربة.
تتنافس الأغصان بيأسٍ بحثاً عن الهواء
مثل الشياطين الخائفة،
متخطية الأغصان الخضراء المتسامقة القاهرة
جثث موتاها!
وها هي في صلب الأغصان!
تنمو وكأنها سراطانات البساتين

وتستمرّ حرب الغابات في هكذا سكون
بينما الأعداء الصامتون لا يكفون عن أي
تصارع أو اختناق أو توتر او مشابكة
من غير صرخة، من غير لهاث.

تقول الطبيعة مشيرةً إلى الفصول والنجوم والشموس، "يوجد إلهٌ. إنه أزليّ في قوته." ولكنّ الإنسان يحتاج إلى أكثر من ذلك؛ فهو يفتقر إلى فادٍ شخصيّ، والطبيعة عاجزة عن سدِّ تلك الحاجة لأنها لا تعرف شيئاً عن الغفران. قوانينها قاسية، فظة؛ تُقْدِم على المعاقبة السريعة على كل انتهاكٍ لقواعدها. لا تُعلِّم أية قوانين أخلاقية. لقد عايشت القبائل المتوحشة الطبيعة لعصورٍ، وأنتجت أكلة لحوم البشر! للطبيعة صوتٌ ولكن لا قلبَ لها، وهي لا تقدّم أيَّ حل لأكبر مشاكل الإنسان وهي الخطيئة، ولا يرد فيها ذِكرٌ لمخلّص. لا يمكن وجود مقارنة بين شهادة الله لنفسه في الخليقة وشهادته لنفسه في عمل الفداء. فالخليقة تخبرنا إلى حدٍ ما عن عمل يديه، أما الجلجثة فوحدها تكشف لنا عن قلبه.

وأكثر من هذا، يشير بولس أيضاً إلى أن جميع الناس ليسوا فقط عرضة لشهادة الله في الخليقة وإنما (2) **لشهادة الله عن نفسه** أيضاً. وقد يكون النور خافتاً في بعض الأحيان ولكنه دائماً موجود بما يكفي لإثبات "قدرة الله السرمدية ولاهوته مما يجرد الناس من أي عذرٍ". ولكن على الرغم من شهادة الله العالمية التي لا لُبسَ فيها، فإن بعض الناس **ينكرون** الحق ويضحون ملحدين، بينما يغرق آخرون في ما هو أعمق، **ويشوّهون** الحق، ويصبحون عبدة أوثان؛ وهذا هو موضوع بولس المقبل.

ثانياً. معتقدات الوثنيّين الشرّيرة (1:21-25)

إن إحدى نتائج الرفض الإرادي لإعلان الله عن نفسه هو الإلحاد وتمجيد العقل البشري؛ والنتيجة الثانية هي الديانة الباطلة. فالناس يبوِّؤن المنطق البشريّ على العرش بينما يعزلون وحي الله عنه. ويسفر ذلك عن عبادة الإنسان لأفكاره الخاصة، وأيضاً لعبادته للأصنام.

ا. تضخيم الإنسان لخياله الذاتي الملحد (1:21)

"لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ" (الآية 21). يشير بولس في هذه الآية إلى أمرين. عندما يعمد إنسان إلى عزل الله عن عرش تفكيره، يصبح (1) **غير متديّن عن وعي**. وكلّما ازداد علماً ازداد تعاليه واعتماده على قدرته العقلانية، وتشدّد في كفره. فهو يشعر بأن العلوم والفلسفة الإنسانية تجعل الإيمان بالله غير ضروريٍّ.

ويصبح بالتالي (2) غير عقلانيّ. يعلن الله بصورة حاسمة أن مثل قلب هذا الإنسانٍ مظلم حتماً. وكل ادّعاءاته عن الحكمة لا قيمة لها، فالإنسان الذي عزل الله عن عرش تفكيره يصبح مغروراً وغبياً أو بلا ذكاء (أي أحمق). ومن الواضح أنَّ الإنسان الذي يمنطق الأمور من منظارٍ خاطئ منكراً لوجود الله أو بأن الله لا صلة له بالموضوع، سيتوصَّل إلى استنتاجٍ خاطئٍ مهما كانت الخطوات المستخدمة منطقيّة.

ومن الأمثلة الصارخة على وثنيّة الإنسان المعاصر التي تعبّر عن ذاتها في الإلحاد ما ينجم عن التطورات الأخيرة في مجال علم الأحياء الجزيئيّ. فالعلماء العاملون في هذا الحقل يشعرون بأنهم قد اكتشفوا بعضاً من أسرار الحياة الأساسية. ويبيّن العلماء العاملون على الحمض النوويّ الريبيّ المنقوص الأكسجين أنَّ بعضَ الأنماط الجينيّة الأساسيّة هي التي تصوغ كل حيٍّ على وجه الأرض. وبعض هذه المفاهيم المنطوية عليها معقّدة بصورة لا تكاد تُصدَّق. وعلى الرغم من ذلك، أدلى أحد العلماء البريطانيّين بهذا التصريح، "يبدو من المؤكد لي أنَّ الحياة ناجمة عن أحداث كيميائية بحتة، لا بل إنني على يقينٍ بأننا أنفسنا سنتمكّن من خلق الحياة في غضون عقدٍ أو عقدين. لم أعد أرى بعد حاجة للإيمان بالله.[8]

ب.تأثير صور المنحوتات التي صنعها الإنسان عليه (1:22-25)

الخطوة التالية التي هي أكثر تدنّياً من الإلحاد هي عبادة الأصنام. ويعرب بولس عما يحدث عندما (1) يأخذ التمثال شكله في تصور الإنسان. "وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ." (الآيتان 22-23)

يشير وِست إلى أنّ اليونانيّين كانوا يستخدمون الكلمة اليونانية المترجمة "حكماء" في هذا المقطع لوصف رجلٍ مثقف ومتعلّم وماهر في كتابة الرسائل. والكلمة "جهلاء" هي لفظة ذات صلة بكلمة نشتقّ منها تعبير "غبيّ"، الأمر الذي يوضح تماماً ما تعنيه اللغة اليونانيّة. ويُقال إنَّ عبادة الأوثان بدأت في بابل القديمة. ومن ثمَّ انتشرت إلى جميع أنحاء العالم، وطغت على معظم الديانات الوثنية ولا تزال معنا إلى يومنا هذا، تشدّ قبضتها على أكثر الرجال المعاصرين ثقافة.

ويبيّن بولس أنه ما أن يتقبّل الناس الصنم حتى (2) **يقعوا في حبائل خداع قوات الصنم الشيطانية** ويتورّطوا في جميع أنظمة العبادة الوثنية، مثلما يشهد الكتاب بوضوح، "اخْتَلَطُوا بِالأُمَمِ وَتَعَلَّمُوا أَعْمَالَهُمْ. وَعَبَدُوا أَصْنَامَهُمْ، فَصَارَتْ لَهُمْ شَرَكًا. وَذَبَحُوا بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ لِلأَوْثَانِ. وَأَهْرَقُوا دَمًا زَكِيًّا، دَمَ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمِ الَّذِينَ ذَبَحُوهُمْ لأَصْنَامِ كَنْعَانَ." (مز 35:106؛ راجع أيضاً لا 7:17؛ 2 أخ 15:11؛ 1 كو 19:10-21).

تسود العبادة الوثنية في جميع أنحاء العالم حتى يومنا هذا. ويعجز التعليم، والحضارة، والتقدّم، عن فعل أي شيءٍ يُذكَر لتحرير الناس من عبادة الأصنام لأنَّ المشكلة أساساً هي مشكلة روحيّة. وتلعب الخرافة دوراً في عبادة الأصنام، ولكن الشيطان متأصّل في أعمق جذورها، والتعليم الحديث يتجاهله بقدر ما يتجاهل الله.

وعلى سبيل المثال، يعتبر الناس في الهند أنَّ كل الكائنات الحية مقدسة. ويكرّمون الثعابين والتماسيح والقرود والأبقار بدرجاتٍ متفاوتة. فقتل البقرة جريمة كجريمة القتل، وأكْلُ لحمها هو عملٌ مماثل لأكل لحوم البشر. تعجز الهند عن إطعام الملايين الجائعة من شعبها ومع ذلك يسمح لمليون رأس من الماشية أن تتجول في طول الأرض وعرضها لتنافس الإنسان في بحثه عن الطعام، وتتلف المحاصيل القائمة. ولا يستطيع أحد ولا حتى الحكومة الهندية أن يحرّر الأمة من تأليه البقر، وقوبلت محاولاتها تلك بمعارضة عنيدة من الناس المخدوعين.

وكانت هذه هي الحال في الأزمنة القديمة. كان الإغريق أعظم المثقّفين في العصور القديمة، ومع ذلك فإن الرومان الذين انتصروا عليهم كانوا يعلقون ساخرين بقولهم "من الأيسر العثور على إله من العثور على رجل" في أثينا!

تستعبد النظم الدينية الزائفة الناس بشكل حسيّ وروحيّ على حدٍ سواء. ويصف بولس **الاستعباد الروحي** بهذه الكلمات: "لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ" (الآية 24).

وأحد الأمثلة على ذلك هو وثنيّة الكنعانيين، "لقد استُعبِد الكنعانيون لأسوأ أشكال الوثنية وأحطّها، التي شجّعت على الفساد الأخلاقيّ. ويكشف الأدب الدينيّ الكنعانيّ من رأس شمرا (أوغاريت القديمة في شمال سوريا) عن عبادة آلهة فاجرة هي إيل وبعل والمحظيات المقدسة: عناث وعشيرة وعشتاروت. ويؤيّد هذا الأدب تأييداً كاملاً ما ورد في العهد القديم من ملاحظات عن الفجور الدينيّ والانحلال الخلقيّ الكنعانيين. وتُظهِر الأشياء المستخدمة في العبادة والتماثيل والأدب مجتمعة كيف كانت الديانة الكنعانية تتمحور حول الجنس، مع شيوعٍ مفرط للذبائح البشرية، وبدعة عبادة الأفاعي، والمحظيات المقدسة، والكهنة المخصيّين. ومن الصعب جداً تخيّل ما وصلت إليه جوانب الإثارة في البدع الكنعانية من أعماق دنيئة في التدهور الاجتماعي."

ينتقل بولس من وصف الاستعباد الحسيّ لوصف **الاستعباد الروحيّ** الناجم عن الوثنية. ويقول إن الله أسلم هؤلاء الأشخاص "الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ." (الآية 25).

عندما يصنع الإنسان صنماً، فإن الفكرة في الأصل هي أن تكون صورة الصنم ممثلةً لله. فهو يريده أن يجلب الأفكارَ الدينية إلى ذهنه عن طريق تذكيره بأقوى وسيلة بالأشياء المقدسة. ولكن النتيجة النهائية هي دائماً نفسها، أي يصبح الإنسان عبداً لأصنامه. وتقدّم لنا صفحات تاريخ الكنيسة أمثلةً صارخة على ذلك. وكما يقول المؤرّخ ميلر: "ربما يضع المُحاجِج فروقاً واضحةً بين الصور كأشياء تُحترَم أو كأجسام عبادة، ولكن لا شكّ أنه بوجود العقول الجاهلة والتي تؤمن بالخرافات فإن الاستخدام، وإبداء الاحترام، وعبادة الرموز سواء كانت صوراً أم تماثيل لابد أن **تنحطّ هذه في دركات الوثنية بشكلٍ مستمرّ**."[13]

تحظِّر الوصية الثانية من صنع المنحوتات وعبادتها وخدمتها (خروج 20). ويحذِّر الله من كسر هذه الوصية لأن ذلك يثير غيرته المقدسة، ويجلب عقوبات بعيدة المدى تؤثر على الأجيال القادمة. وتبيّن الآيات المتبقيّة من رومية 1 أن هذا هو الواقع حقاً.

ثالثاً. سلوك الوثنيّين الفاجر (1:26-32)

إن الذين يتخلّون عن الله يتخلّى الله عنهم في النهاية. فهو يُسلِم البشر إلى طريقهم، ويا لها من طريق مرعبة.

ا. يصبحون منحرفين أخلاقياً (1:26-27)

يصف بولس في هاتين الآيتين كيف أن أولئك الذين يبتعدون عن الله يسلمون أنفسهم في النهاية لأهوالٍ مشينة ورذائل غريبة، هي ذات الخطايا التي اقترفها أهل سدوم والتي جعلت الله يمطر عليهم من السماء ناراً وكبريتاً في أيّام لوط (تك 19). ومع هذه الخطايا يأتي دائماً الارتداد (2 بط 2:6؛ يه 7). ويعيش هؤلاء الناس معنا اليوم ويصبحون أكثر وقاحة وعدوانية ووضوحاً صارخاً مع مضيِّ الأيام.

ويتضافر الأشخاص الذين أسلموا أنفسهم لهذه الرذائل المخيفة في الولايات المتحدة مطالبين بالاعتراف العلنيّ بأسلوب حياتهم المنحرف. وتنشر الصحافة الإباحية سنوياً ملايين القطع الأدبية التي موضوعها الجنس الشاذّ. ويزداد شيوع القصص والمقالات الرئيسة التي تنشر تقارير عن هذه الفئة من المجتمع حتى في المطبوعات الدورية المحترمة.

وما يقال عن الولايات المتحدة ينطبق أيضاً على بريطانيا العظمى حيث يحظى الذين يمارسون تلك الرذائل المقرفة بسيطرةٍ متزايدة على الحياة العلنية للأمة. وكثيراً ما تكون لها صلة وثيقة بالمنظمات الشيوعية. وأفاد استطلاع لهذا الموضوع أجرته وزارة الداخلية البريطانية قبل عدّة سنوات أن مسؤولاً كبيراً في الحكومة موكلاً بمهمة التدقيق في مقابلات الموظفين في مؤسسات شبابية سكنية، كان يختار بشكل متعمّد أشخاصاً منحرفين لوظائف معيّنة. وفي هذه الحال، فإن ذات أسس المجتمع تكون فاسدة عندما يجري رسمياً تأييد مثل هذه الممارسات.

ب. يصبحون منحرفين عقلياً (1:28-32)

مع الانحراف الأخلاقي يأتي الانحراف العقلي. يصف بولس (1) **سبب هذه الانحراف العقليّ**. "وكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ" (الآية 28). وترد في هذا الفصل ثلاث مرات عبارة أن الله أسلم أولئك الذين تخلّوا عنه (الآيات 24 و26 و28). وهذا، ببساطة، قصاصٌ عادلٌ من جانب الله إذ يسمح للناس بأن يستمروا في السير في الدرب الذي اختاروه إلى نهايته المخيفة. وكما يسفر عن الانحراف الأخلاقي جملة من الخطايا الجنسية، فإن الانحراف العقلي يولّد أيضا كلَّ أنواع الشر.

ويستطرد بولس في وصف (2) **عواقب هذا الانحراف العقلي**؛ ويفعل ذلك من خلال إضافة كلمة إلى أخرى، في محاولةٍ منه لإظهار أن شرّ الإنسان غير المقيّد لا يعرف حدوداً. وتندرج الخطايا الموصوفة في الآيات 29-32 تحت عدة فئات.

ينتج عن التفكير الخاطئ: (أ) **صفات بشريّة منحطّة**. يصبح الناس أثمة، وأشراراً، وجشعين، وخبثاء، وحسودين، ومخادعين. يضحون مملوئين عداءً، وكارهين الله، مزدرين، ومتكبّرين، بدون عواطف طبيعية،

وحقودين، وبلا رحمة. وينتج عن هذا أيضاً (ب) **سلوك بشريّ منحط** فيصبحون زناة، وقتلة؛ يتحدّون سلطة الأبوين، ويمقتون واجباتهم التعاقديّة. وينتج عن التفكير الخاطئ (ج) **محادثة بشريّة منحطّة**. يصبح الناس مخاصمين، ونمّامين، ومفترين، ومتعظّمين. كما ينتج عنه (د) **مفاهيم بشرية منحطّة**. يغدو الناس مخترعين للأشياء الشريرة؛ ويقول الله عنهم إنّهم بلا فهمٍ. وأخيراً فإن التفكير الخاطئ يقود إلى (هـ) **معاشرات بشريّة منحطّة**. يقول بولس، "الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ." (الآية 32).

إذن، هذه هي قضية الله ضد الوثنيّ. ولا عجب عندما يقول إنهم " بِلاَ عُذْرٍ" (الآية 20). وجميع الوثنيّين هم بلا عذرٍ ومذنبون أمام الله سواء أكانوا "الوثنيين" الذين عاشوا في زمن بولس في اليونان وروما الوثنيّتين، أم أولئك الذين يعيشون في أيامنا في أعماق مجاهل الغابات البدائية، أم أولئك الذين يقطنون في مناطق متحضرة من العالم المسيحيّ الذين، بكل بساطة، يتركون الله خارج نطاق تفكيرهم. وكما قال يوحنا أن الإنسان "قَدْ دِينَ" (يو 18:3). وقضية الإنسان ميؤوس منها بمعزل عن نعمة الله المهيمنة.

ذنب المرائي

16-1:2

أولا. وصف الدينونة التي يدين بها المرائي الآخرين (6-1:2)

أ. ما يشعر به (2-1:2)

ب. ما يجده (1:2، 3)

ج. ما ينساه (4:2)

د. ما يواجهه (6-5:2)

ثانيا. وصف دينونة المرائي (16-7:2)

أ. يدان بحسب أعماله (10-7:2)

1. يزن الله أسباب سلوك الإنسان (8-7:2)

2. يزن الله نتائج سلوك الإنسان (10-9:2)

ب. يُدان بحسب تقييم الله (16-11:2)

1. دينونة الله مميِّزة (15-11:2)

أ. يزن الله مصالح الشخص (12-11:2)

ب. يزن الله مواقف الشخص (15-13:2)

2. دينونة الله ساحقة (شاملة) (16:2)

هناك اختلاف في الرأي حول من هو المقصود في رومية 2:1-16. يرى بعضهم، مثل سكوفيلد، في هذا المقطع دينونة الله على الدعاة الأخلاقيّين الوثنيّين الأمميين الذين هم في الحقيقة ليسوا أفضل من غيرهم من الوثنيّين. فقد كان فلاسفة الأمم المتفذلكون في أيام بولس يسخرون من خرافات عبادات الأمم الوثنية الأقلّ ثقافة منهم الذين ملأوا الهياكل. ولكن على الرغم من تبجّحاتهم المتعالية لم يكن لهم أنفسهم أي بديل حقيقيّ عن عبادة الأصنام. وعلاوة على ذلك، في الوقت الذي كانوا يمجدون فيه الفضيلة مارسوا ارتكاب الرذيلة. وبينما كان هؤلاء الأخلاقيون يدعون إلى المثالية السامية، كانوا غالباً مذنبين باقتراف الفجور والتناقض. وعلى سبيل المثال، كان ماركوس أوريليوس، الإمبراطور الروماني، فيلسوفاً معروفاً. وكانت مُثُلُهُ نبيلةً، ملهمة ودائمة الثبات. ومع ذلك فقد تميّزت فترة حكمه بالمرارة المستمرّة واضطهاد المسيحيين الوحشي الذين كانت خطيئتهم الوحيدة، على ما يبدو، هي إعلان عقيدة أعظم من عقيدة أوريليوس.

يرى شرّاح آخرون في هذا المقطع دينونة الله لليهوديّ الذي يعتز بتصوّر نفسه أنه المحبَّذ لدى السماء وأرفع من باقي البشر. فقد كان اليهوديّ ينظر بازدراءٍ، وتعالٍ، واحتقارٍ، وبغضاء إلى جيرانه الأمم غير المستنيرين الذين صنّفهم على أنهم "نجسون" ووصفهم بأنهم "كلاب". ولكنّ اليهودي كان له موقف من يقول

"لا أرزقك ولا أدع الله يرزقك" من جهة الحق الذي كان يعترف باقتنائه. ففي الوقت الذي لم يُرد فيه التمتّع بالبركات المعطاة له في المسيح، اعتراه الغضب من أي اقتراح لتوفير هذه البركات للأمم (أع 21:22-23). وكان في كثيرٍ من الأحيان منافقاً متطرفا أيضاً، وهي النقطة التي يشير إليها الرسول بولس أكثر من مرة في الفصول الافتتاحية من سفر رومية.

وقد تكون النظرة الصحيحة لرومية 2:1-16 هي أنها تصف لائحة الاتهام التي يوجهها الله لجميع المرائين بغض النظر عن العرق، أو الدين، أو الثقافة، أو العقيدة. إن كلاً من اليهود والأمم مقصودون في المناقشة، وغالبا ما يبدو الأمميّ في ضوء أفضل من اليهوديّ. ويلوح أيضاً أن قضية الله الرسمية ضدّ العبرانيّ لا تبدأ إلى أن نبلغ الكلمات الواردة في الآية 17 "هُوَذَا أَنْتَ تُسَمَّى يَهُودِيًّا".

أولاً، وصف دينونة المرائي (2:1-6)

انتهى بولس لتوّه من تقديم لائحة الاتّهام التي يضعها الله ضدّ الخطايا الجسيمة والفاحشة التي يرتكبها الفجّار علناً. والآن يحوّل انتباهه للخطاة "المحترمين" الذين يظنّون أنفسهم أفضل من الآخرين إلا أنّهم يقعون في الخطايا نفسها التي يقترفها الأشخاص الذي يتظاهرون بأنهم يحتقرونهم.

ا. ما يشعر به المرائي (2:1-2)

"لِذلِكَ أَنْتَ بِلاَ عُذْرٍ أَيُّهَا الإِنْسَانُ، كُلُّ مَنْ يَدِينُ. لأَنَّكَ فِي مَا تَدِينُ غَيْرَكَ تَحْكُمُ عَلَى نَفْسِكَ. لأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ تَفْعَلُ تِلْكَ الأُمُورَ بِعَيْنِهَا!" (الآية 1). يشعر المرائي بأن خطايا الآخرين أسوأ من خطاياه. فهو يقارن نفسه مع السكّير والزاني والسفّاح، ويفتخر بعضويّته في الكنيسة، وأخلاقيّاته، وما يتمتَّع به من احترام. وهذه المقارنة تجعله بطبيعة الحال يغترّ بنفسه، إلا أن الخطأ الذي يرتكبه هذا الشخص بسيط جداً وشائع جداً. إنه يقيس نفسه بالمقياس الخاطىء.

عندما يدين الله البشر، لن يكون ذلك وفقاً للمقاييس التي يختارونها، إنما طبقاً لمقياسه هو. ومقياس الله هو الشريعة، كما فسّرها الرب يسوع ووسّعها في الموعظة على الجبل. وقد عاش الرب يسوع تلك التصريحات السامية والمقدسة في الحياة اليومية، بما فيها من ضغطٍ وسحق. وإن أراد الناس أن يقيسوا أنفسهم بشخصٍ آخر فعليهم أن يقيسوا أنفسهم بالمقارنة مع المسيح، وعندما يفعلون ذلك، تتلاشى كل أسباب المراءاة والغرور.

خطيئة المرائي هي **استياؤه** من تقصيرات الآخرين **وتسامحه** مع تقصيراته. داود هو مثالٌ تقليديٌّ من الكتاب المقدّس على هذا الأمر. ارتكب داود أحطّ وأزرى خطأ يمكن أن يجترحه إنسان. فقد أغوى زوجة أحد أبطاله في الوقت الذي كان زوجها الموالي لداود إلى حدّ التطرّف، يحارب على خط الجبهة حروب داود. ثم استدعى الرجلَ من الحرب في محاولةٍ غير مجدية لتغطيةِ خطيئته. وبعد ذلك أصدر أوامر مختومة إلى يوآب، رئيس جيشه، لكي يدبّر مقتل أوريا في خضمّ المعركة. وأخيراً عندما ورد إلى داود من الجبهة نبأ موت الرجل، تزوّج من أرملته.

ولوقت ما بدا وكأن كلّ شيء يسير على خير وجه، ولاح وكأنه قد نجح في تغطية خطيئته، لأنّ الملك استمرَّ يصدر أحكامه في أورشليم وكأنّ شيئاً لم يحدث. ثم حضر النبيّ ناثان فجأة إلى المحكمة ليطالب بالإنصاف من خطأٍ جسيم. وأخبره قصة تتعلّق برجل فقيرٍ لم يكن يملك سوى نعجة عزيزة سلبها منه جاره الغني واستخدمها ليهيّئ وليمةً لضيفه. واستاء داود وقال، "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّهُ يُقْتَلُ الرَّجُلُ الْفَاعِلُ ذلِكَ، وَيَرُدُّ النَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا الأَمْرَ وَلأَنَّهُ لَمْ يُشْفِقْ." (2 صمو 12:5-6). وردّ عليه ناثان بجوابٍ يهزّ الضمير، "أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ!".

"لأَنَّكَ فِي مَا تَدِينُ غَيْرَكَ تَحْكُمُ عَلَى نَفْسِكَ." فمن السهل جداً أن تبدي سخطك من خطايا الآخرين وتتسامح مع خطاياك. هذا هو جوهر الرياء. "والمراءاة" مأخوذة من كلمة معناها في الأصل، "أداء فقرة ما على مسرح." فالمرائي ممثّل. وهو يعدُّ مشهداً لمصلحة الآخرين، ولكن المرائي، كما اكتشف داود وأعلن بولس، يعجز عن خداع الله. "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ دَيْنُونَةَ اللهِ هِيَ حَسَبُ الْحَقِّ عَلَى الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ." (2:2).

ب.ما يجده المرائي (3:2)

"أَفَتَظُنُّ هذَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تَدِينُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ، وَأَنْتَ تَفْعَلُهَا، أَنَّكَ تَنْجُو مِنْ دَيْنُونَةِ اللهِ؟" سيكتشف المرائي أن خطيئته ستجده بطريقةٍ ما؛ وسيحصد ما زرع. هناك قصةٌ إندونيسيّةٌ كلاسيكيّةٌ تكشف عن النفاق الديني وتوضح هذا الأمر بدقة؛ هي قصة ذيل النمر.

تحكي هذه القصة أن مزارعاً إندونيسيّاً كان عائداً إلى قريته عندما توقّف فجأة في درب الغابة، وحدّق أمامه بفزعٍ شديد. فقد استطاع أن يرى ذيل نمر يعترض طريقه، وإذ تأمّلَ فيه بدقة تبيّن له أن هذا الذيل ينتمي إلى فصيلةِ نمرٍ ضخم جداً وشديد التوحّش. وكان هذا النمر كامناً بانتظاره. وتصرّف المزارع بصورةٍ تلقائية، فوضع منجله على الأرض، واندفع نحو النمر وقبض عليه من ذيله. حاول النمر أن يحرّر ذيله وهو يزمجر غاضباً، ولكن كلما ازدادت زمجرة النمر وضراوته ازداد المزارع صموداً.

واستمرّ الجهاد لفترةٍ من الزمن، وفي اللحظة التي شعر المزارع أنه لم يعد يقوى على الصمود، إذا برجلٍ مقدّس إندونيسيّ آتٍ في تلك الطريق. وقف الرجل المقدّس، وتأمل بالمشهد باهتمام؛ وعندما أوشك على متابعة طريقه ناداه المزارع هاتفاً:

"عزيزي الرجل المقدّس، أرجو منك أن تتناول منجلي وتقتل النمر. لم أعد قادراً على إمساكه أكثر من ذلك."

تنهد الرجل المقدّس وأجاب، "يا صديقي، لا أستطيع أن أفعل ذلك. فشعائر ديني تمنعني من قتلِ أيِّ شيءٍ حيّ."

وعاد المزارع يشدّ بقبضته المتواهنة على ذيل النمر وقال، "ولكن أيها الرجل المقدّس، ألا ترى أنه إذا أخفقت في قتل هذا النمر فإنه سيقتلني، وحياة الإنسان هي بالتأكيد أكثر قيمة من حياة أحد الوحوش"!

لفَّ الرجل المقدّس ذراعيه في طيَّات ثوبه المتماوج وقال، "لا أستطيع أن أتكلّم بشأن ذلك. إني أرى كل ما حولي في الغابة أشياء تَقتُل وتُقتَل، وأنا لست مسؤولاً عن هذه الأشياء، ولا يمكنني أن أقدّم المساعدة لها، أما أن أُقتُل... آه، هذا لا أستطيع أن أفعله."

وفي تلك اللحظة عينها زمجر النمر بغضبٍ وسَحَبَ ذيله. تصبّب العرق من المزارع، وتأهّب الرجل المقدّس للمغادرة، فشهق المزارع يائساً وقال " ياعزيزي الرجل المقدس لا تذهب! إن كان قتل الوحش يتعارض مع قوانين إيمانك فتعال على الأقلّ، وأمسكْ بذنبه لكي أقتله أنا."

توقف الرجل المقدّس وفكّر، وأخيراً وافق قائلاً: "أعتقد أنه بإمكاني أن أفعل ذلك. فإمساك ذيل الحيوان ليس فيه أي أذى." ثمّ اقترب بحذرٍ من الوحش الغاضب، وتعاون مع المزارعَ على الإمساك بذيل النمر. وسأل المزارع وهو يلهث، "هل قبضتَ عليه جيّداً؟"

وأجاب الرجل المقدّس، "نعم، نعم ولكن أسرعْ قبل أن يفلت مني".

نفض المزارع ملابسه بتراخٍ، والتقط قبعته ببطء، ووضعها على رأسه. ثم التقط منجله بهدوء أعصاب. وبعد ذلك انحنى للرجل المقدّس، واستعدّ للمضيِّ في طريقه. لكنّ الرجل المقدّس الذي اعتراه الرعب فجأة سأل،

"إلى أين أنت ذاهب؟ ظنَنْتُ أنك ستقتل هذا النمر."

توقّف المزارع، وأدخل ذراعيه في كمّي معطفه وتنهّد وأجاب،

"عزيزي الرجل المقدّس، أنتَ أبرعُ أستاذٍ. لقد حوَّلتني تماماً إلى دينك النبيل. أستطيع أن أرى الآن كم كنتُ مخطئاً طوال هذه السنوات. لا أستطيع أن أقتل هذا النمر، لأنّ هذا ضدّ قواعد ديننا المقدس. وكما علّمْتَني، فإن كل ما نراه حولنا في الغابة يَقتُل ويُقتَل، ولسْنا مسؤولين عن هذه الأشياء، ولكن، بالنسبة لنا نحن الرجال المقدّسين، لا يمكننا القيام بالقتل، كما تقول. إنني الآن ذاهب إلى تلك القرية هناك، فما عليك إلا أن تظل قابضاً على ذيل هذا النمر إلى أن يمرّ بك إنسانٌ ذو قلب أقسى غير متأثر بمثاليّات إيماننا المقدّس، وقد تتمكّن من تغيير دينه أيضاً مثلما فعلتَ معي." وتركه المزارع بتلك الكلمات الوداعية القاتلة.

إن هذه القصة تضرب على وترٍ حسّاس في قلوبنا. لا أحد يحبُّ المرائي. نودّ أن نظنَّ أن مراءاته لا بد أن تجده في آخر الأمر. يؤكّد لنا الله أنها حقا ستفعل. "أَفَتَظُنُّ هذَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تَدِينُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ، وَأَنْتَ تَفْعَلُهَا، أَنَّكَ تَنْجُو مِنْ دَيْنُونَةِ اللهِ؟"

ننتقل من الأسطورة الإندونيسية إلى كلمة الله، ونستدعي إلى الذاكرة وضع الأخ الأكبر في قصة الابن الضال. فإن كان هناك أيّ تقيٍّ مزيّف فهو الابن الأكبر؛ وإن كان هناك أيّ مراءٍ يخون نفسه، فذاك هو؛ فقد غضب جداً لأن أسرته صفحت كلياً عن ابنها الأصغر التائب وقبلته في حضنها، ورفض أن يشارك في أيٍّ جزء من احتفالاتها. وعندما خرج الأب لِحثّه على الانضمام إليهم ألقى خطاباً مفعماً، ببساطة، بالبر الذاتي؛ وصرخ قائلاً، "هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ!" (لوقا 15:29-30).

لاحظ كل ضمائر المتكلّم المنفصلة والمتّصلة في خطابه. ولاحظ أيضاً كيف رفض أن يعرّف عن نفسه على أنه أخو الابن الضال المسرف، ولكنه قال، " ابْنُكَ هذَا". لاحظ كذلك كيف كانت صورة البلاد البعيدة ما برحت في قلبه المخادع المرائي كل الوقت. لقد أراد أن يستمتع بالملذّات أيضاً! أراد أن يرفض أيّ توجيه، ويعيش كما يشاء ويطلق العنان لشهواته! والفرق الوحيد بين الفتيين هو أن الأخ الأصغر كان أكثر شجاعة وغير مراء. فقد أذنب الابن الأصغر بارتكاب خطايا جسدية، أما الابن الأكبر فقد اقترف خطايا أدبية وروحية. وكان تمرّده على أبيه مماثلاً لتمرّد أخيه، بل أكثر صعوبة في ربحه. ويمكن أن تُكتَب عبارة الاتهام، "تَفْعَلُ تِلْكَ الأُمُورَ بِعَيْنِهَا" بأحرفٍ كبيرة على حياته التي تبدو ظاهرياً محترمة ومجرّدة من اللوم.

وتأمّل أيضاً في قصة الفريسي والعشار في إبان صلاتهما (لوقا 18:9-14). (وأعلن الرب نفسه أنَّ القصد من هذا المثل هو فضح أناسٍ "وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ.") فالعشار بفعل وعيه لانحطاطه العميق، قرع على صدره صارخاً إلى الله طلباً للرحمة وهو خافضٌ بصره. أما الفريسيّ فقد تابع صلاته بخطابٍ مفعم بصيغ ضمائر المتكلم ليعلن عن نفسه كم هو مثاليّ. وقال الفريسيّ، "اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ." وماذا قال الرب عن هذا الخاطئ المتعجرف؟ كان تعليقه الجارح أنه كان "يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ." فقد كان الرجل ببساطة مرائياً وقد وجدته مراءاته.

ت. ما ينساه المرائي (4:2)

"أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟"

في عام 597 قبل الميلاد حاصر نبوخذ نصّر، ملك بابل الجبّار، مدينة أورشليم، وسبى نخبةً من نبلاء يهوذا أسرى. ونصَّب ملكاً صورياً على أورشليم، ثم انسحب من المشهد. كان هذا الترحيل هو الثاني من ثلاث مراحل في سبي اليهود إلى المنفى. وشرع اليهود الذين تُرِكوا في أورشليم، على الرغم من تحذيرات إرميا وحزقيال، يهنئون أنفسهم إذ تخيّلوا أنهم مُحبَّذو السماء لأنهم قد نجوا من الترحيل، وأخفقوا أن يروا أنهم مذنبون فعلاً لاحتقارهم صلاح الله وإمهاله وطول أناته، غير عالمين أن لطف الله كان يستهدف اقتيادهم إلى التوبة. لقد ظنّوا فعلاً أنهم كانوا يستحقّون معاملة مفضَّلة، ولشد ما كانوا مخطئين! وفي نهاية الأمر، أدى إصرارهم على الاستمرار في طرقهم الخاطئة إلى دينونةٍ كاملة. فقد أغضب نفاقُ اليهود نبوخذ نصر فعاد عام 586 ق. م. وحاصر أورشليم ودمّر الهيكل، ونهب البلاد، وأنهى الحكم الملكيّ ونفى الجزء الأكبر من السكان. إن الاستمرار في الإساءة إلى الصبر الإلهي يؤول إلى دينونة محدّدة.

فكّرْ في مثالٍ آخر يُعتبَر أعجوبة أكبر في الصبر والحب الإلهيّين. فمنذ ما يقرب من ألفي سنة تضافرت أيدي اليهود والأمم على صلب ابن الله في الجلجثة. كان عملاً يستدعي إطلاق العنان لجيوش الله وانسكاب غضبه. ومع ذلك، فمنذ نحو ألفي سنة حالَ غنى لطف الله وإمهاله وطول أناته دون قصاصه العادل. وكان ينبغي في هذه الحال أن يؤدي لطف الله إلى توبة الإنسان؛ إلّا أن الإنسان، بفعل المراءاة، يعتقد أن نِعَم الله قد مُنِحت له لأنه يستحقّها على نحوٍ ما. ومن حيث أن الله لا ينزل دينونته مباشرة، يظنّ الناس أنه لن يدين

البتة؛ لا بل يقنعون أنفسهم بأنه ليس لديه شيء يدعوه للانتقام منهم حتى أنهم عند اندلاع الحروب، وانتشار المجاعات أو حلول الأحزان الشخصية، يتّهمون الله ويلومونه على ما جرى.

لقد عبَّر وانغ لَنْغ، وهو الشخصية المركزية في إحدى روايات پرل باك الشعبية، عن هذا الموقف تماماً. فقد ازدهرت حياة وانغ لنغ بعد أن اجتاز محناً في شبابه. وكانت له حقول واسعة خصبةٌ، وأبناءٌ أصحّاء. كان جيرانه يرون فيه رجلاً ذا موارد معيشية. ثم ذات يومٍ، قال له تشِنْغ رئيس عماله إن النهر أخذ في الفيضان. وخشي وانغ على بعض محاصيله، وأعرب عن استيائه من الله بكلماتٍ مريرة قائلاً، "الآن، الآن سيستمتع ذلك الرجل المسنّ في السماء، لأنه سينظر إلى الأسفل فيرى الناس جياعاً وغرقى، وهذا ما يريده الرجيم." وأرعب تجديفُه تِشنْغ. ويعلّق پرل باك فيكتب، "ولكن إذ كان وانغ لنغ غنياً، لم يبال بما يقول؛ وبلغ به الغضب إلى الحدّ الذي حلا له، وراح يتمتم وهو يسير باتجاه منزله مفكراً في المياه وهي تتعالى فتغمر أرضه ومحاصيله." [1] لقد احتقر هذا المزارع لطف الله وإمهاله وطول أناته. وعوضاً عن أن تقوده إلى التوبة جعلته يشعر بأن له حق بذلك الصلاح، وهكذا جدّف وانغ لنغ عندما اختلطت هذه البركات بما يذكِّره بسيادة الله.

ج. ما يواجهه المرائي (2: 5-6)

يواجه المرائي دينونة معينة. "وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ".

إن عبارة "تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا" هي عبارةٌ صارخةٌ لأنّها تصوّر الخاطىء يخزن يوماً بعد يوم ودائع جديدة من الشر ليوم الدينونة المقبل. وعندما يحلّ أخيراً أوان دينونة الله فإنها ستكون دينونة عادلة. يزن الله كلَّ فكرةٍ، وكلمةٍ، وعملٍ؛ وتؤخذ بعين الاعتبار الخطايا المغفلة والخطايا السلوكية على حدٍّ سواء. كما يؤخذ بالاعتبار تأثير كلِّ خطيئة من جميع وجوهها- تأثيرها على الخاطىء، وعلى الآخرين، وعلى الله. فكما أنَّ طَرْحَ حجرٍ في بركة تتولَّد عنه تموّجات دائرية تظل تمتدُّ إلى أن تبلغ آخر أبعد ضفافها، كذلك الخطيئة تتولَّد عنها أحداثٌ يتعذَّر على الخاطىء السيطرة عليها. كل هذه سيتم وزنها. سيُصدِر الله حكمَه على كلِّ إنسانٍ طبقًا لأعماله. لهذا، عندما يأخذ المرائي في إدانة الآخرين فإنه يجعل نفسه حقاً كمن يقف فوق جليد رقيق، فهو يواجه حكم دينونة الله نفسه.

ثانياً، وصف دينونة المرائي (2: 7-16)

إن إدانة الله للمرائي قائمة على تقييمه لسلوك المرائي، وأخلاقه، وأعماله، وقيمته الشخصية.

أ. إدانة المرائي طبقاً لأعماله (2: 7-10)

هذا القسم هو من أصعب الأجزاء الواردة في الرسالة لأهل رومية لأنه يبدو، حسب الظاهر، أنه يُعلِّم أن الخلاص هو بالأعمال؛ وأنه يمكن الحصول على الحياة الأبدية بالاستمرار الصابر في العمل الصالح. ولكن مثل هذه الفكرة غريبٌ عن كل مغزى تعليم الكتاب المقدس. ولحلِّ هذه الصعوبة علينا أن نتذكر أن هذه الفقرة تتعلق بأسس **دينونة** الله. يشير الكتاب المقدس إلى أن دينونة الله ترتبط بأعمالنا ولكن الخلاص بالإيمان. إن طلب المجد، والشرف، والبقاء، والحياة الأبدية عن طريق العمل الصالح، هو نتيجة للإيمان؛ هذا هو برهان الخلاص وليس أساسه. ولا يبحث بولس، عند هذه النقطة من رسالته، في كيفية خلاص الإنسان وحصوله على الحياة الأبدية. هذا الموضوع سيرد في ما بعد؛ ولكنه يبيّن هنا أن اليهوديّ والأمميّ يقفان على قدم المساواة أمام الله بما يختصّ بالخطيئة.

عند إدانة إنسان "بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ" (آية 6)، فإن الله يزن (1) **الأسباب الداعية لتصرف الإنسان.** "أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ، وَالْكَرَامَةَ، وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ التَّحَزُّبِ وَلاَ يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلإِثْمِ فَسَخَطٌ ،وَغَضَبٌ" (2: 7-8).

ثم إن الله يزن **(2) نتائج سلوك الإنسان**. "شِدَّةٌ، وَضِيقٌ عَلَى كُلِّ نَفْسِ إِنْسَانٍ يَفْعَلُ الشَّرَّ، **الْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيِّ**. وَمَجْدٌ، وَكَرَامَةٌ، وَسَلاَمٌ، لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ الصَّلاَحَ، **الْيَهُودِيِّ** أَوَّلًا ثُمَّ **الْيُونَانِيِّ" (2: 9-10).** إن

عبارة "الْيَهُودِيُّ أَوَّلًا ثُمَّ الْيُونَانِيُّ" تُبْرِز بوضوح حقيقة أن تزايد سطوع النور يجلب معه تزايد المسؤولية. وسيكون نصيب المرائي أسوأ من نصيب الوثني لسببٍ بسيط هو أن الفرص التي أتيحت له كانت أعظم بكثير مما أتيح للوثني.

ب. سيُدان المرائي طبقاً لقيمته (2:11-16)

علينا أن نلاحظ (1) **كم تتّصف دينونة الله بالمفاضلة! أولاً**، يزن الله ظروف الإنسان التي كانت في صالحه. "لأَنَّ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَبِدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ. وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانُ" (الآيتان 11 و12). يقول بولس إن الذين لديهم الناموس يملكون نوراً أكثر من الذين يفتقرون إليه. إن امتلاكنا لكتابٍ مقدسٍ مفتوح يزيد جداً من قدرتنا على معرفة إرادة الله. ولكن النور يظل نوراً بغض النظر إن كان ضئيلاً أو ساطعاً. لو حدث أن ضلَّ امرؤ ما في ظلامٍ غابةٍ في الليل فإنَّ أقلَّ وميض يجتذبه إليه؛ وإن رغب بالنجاة من الظلمة فإنه يهرع إلى النور مرحِّباً به بفرح. ولكن إن كان قد ارتكب ذنباً يدعوه للاختباء فإنه لا يتجاوب مع النور بل يوغل في التواري، ويهرب منه بصرف النظر عن ضآلته أو سطوعه. إن الهلاك ينتظر كل من يرفض النور؛ ولكن أولئك الذين توافرت لديهم فرصٌ أعظم فائدة فإن أعذارهم تكون أقل، وبالتالي يكون ذنبهم أعظم.

ويزن الله أيضاً **موقف** الإنسان. "لأَنَّ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللهِ بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ. لِأَنَّ الْأُمَمَ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ فَهَؤُلَاءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لِأَنْفُسِهِمْ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوبًا فِي قُلُوبِهِمْ شَاهِدًا أَيْضًا ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُشْتَكِيَةً أَوْ مُحْتَجَّةً" (الآيات 13-15).

لم يكن الناموس المتوافر للأمم ناموساً مكتوباً بل كامناً في **الضمير.** صحيح أنه لم يكن لديهم وصايا معينة مجموعةً ومكتوبةً، وصية تلو وصية، كما كان الحال مع اليهود في ناموس موسى. ولكن كانت لديهم المبادىء الأخلاقية الأساسية التي تشكّل ناموس موسى، لأن ناموس الله العام قد تم تبليغه منذ القدم. إنّها بالطبع مكتوبة في وعي النفس الفطري ويشهد الضمير عليها.

كان القصد من الضمير أن يكون **منخساً** وليس **مرشداً**. إن الرجل الذي يقول، "دع الضمير فقط أن يكون مرشدك"، يسيء فهم وظيفة الضمير. فالضمير رقيب الله في النفس؛ ولكن يمكن إسكات الضمير أو حتى تخديره. ومن المحتمل جداً أن تحصل على موافقة الضمير على ارتكابِ عملٍ خاطىء.

كتب ديكنز، الناقد اللاذع للطبيعة البشرية، فقرةً رائعة عن الضمير. كانت السيدة "قويلْب" شريكة على الرغم عنها، في أحد مخطّطات زوجها البغيضة. يقول ديكنز، "السيدة 'قويلب' التي كانت تعاني أكثر مما يمكن تصوّره من ذكريات الدور الذي انتهت من لعبه، اعتصمت بحجرتها وغطت رأسها بشراشف الفراش تندب خطأها الذي اقترفته بمرارة تفوق مرارة ذوي القلوب الأكثر رقة الذين ينوحون على ارتكاب إساءة أعظم فداحة، لأن في معظم الحالات يكون الضمير مطاطياً ومرناً جداً يتحمَّل الكثير من التمدّد، ويكيّف نفسه إلى حدٍّ كبير مع الظروف المختلفة. بعض الناس، بفعل تدبير حازم، يقلع عن لبسه قطعة قطعة كصدرية من "الفانيلا" في طقسٍ دافىء، أو حتى يحتال، مع الوقت، للاستغناء عن الضمير كلياً. ولكن هناك آخرون قادرون على ارتداء الثَّوب (الضمير) وخلعه حسب رغبتهم. وهذا هو الأمر الأغلب شيوعاً لكونه التحسن الأكثر والأعظم ملاءمة.

قيل إنه بينما كان جون هس يحترق وهو معلّق على عمود (خازوق) أقبلت أرملة فقيرة حاملة حزمة من الحطب وطلبت من المسؤولين أن يضعوا الحزمة فوق كومة الحطب في أقرب موضع ممكن من الشهيد. كانت امرأة غريبة بالنسبة إليه، فسألها جون هس عما أساء به إليها أو إلى ذويها حتى تكرهه هذا الكره الشديد. فقالت أن جون هس لم يسيء إليها شخصياً قط. وأكثر من ذلك، مع أنَّ الحطب كان نادراً وباهظ الثمن وهي امرأة فقيرة، فقد قتَّرت على نفسها ووفرت بعض المال لتشتري تلك الحزمة لغرض ما. وقالت إنه هرطوقي وإنه لَعملٌ صالحٌ أن تقدِّم تلك الحزمة ليتم إحراقه. قال الضمير لجون هس، "ابذُلْ جسدك لكي يُحرَق". وقال الضمير للأرملة "قدِّمي حزمتك لتحرقه".

وهكذا فالضمير ليس مرشداً بل منخساً. ومن الواجب تثقيفه ووضعه تحت مراقبة كلمة الله. يقبض الروح القدس على الضمير، في عملية التبكيت، ويأتي بكلمة الله لتثقل عليه بقوة عظيمة. والضمير، بمعزل عن كلمة الله، هو قوةٌ في النفس مشوبةٌ بعدم اليقين. فبينما كان الوثنيّ القديم يلقي بأولاده في حضن الإله مولك المحمَّى الأحمر بمصادقة قلبية من الضمير، فإن البوذي المتشدّد يقاسي من آلام الندم إذا أقدم على قتل ذبابة. إن كلا التَّطرُّفين متماثلان في الخطأ.

إن الضمير هو القوة العقلية التي بها يحكم الإنسان عل تصرفاته ويقضي في شأنها. وهو يشهد على حقيقة أن الإنسان يعيش في كونٍ أخلاقيّ، وفي نهاية الأمر يقدّم حساباً لله. إن الذين لديهم كلمة الله لترشد ضمائرهم معرّضون للعقاب أكثر بكثير من الذين ليس لديهم فضل الكتاب المقدس ليعلن لهم إرادة الله، ومع ذلك يتصرّفون بصورة أخلاقية وصلاح. من ثَمَّ، فإن دينونة الله تقوم على **المفاضلة** آخذة بعين الاعتبار ما يتوافر للإنسان من فوائد ومواقف. كل هذه تزيد من ذنب المرائي.

وفي الختام، لاحظ (2) **مدى الدمار الذي تسفر عنه دينونة الله!** يتحدّث بولس عن اليوم الآتي "الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (آية 16). سرائر الناس! فيا له من يومٍ مخوف عندما يبدأ الله في تسليط الضوء على أعمال الظلمة. لدى كل الناس سرائر أثيمة، أمورٌ أقدموا عليها وكان واجباً عليهم عدم ارتكابها؛ وأشياء أهملوها كان عليهم القيام بها. إنها أمور لم يغفل عنها الله ولم ينسها. وفي يوم ما ستُعلَن سرائر المرائي وسينكشف أمر حقيقته.

ذنب العبراني

8:3-17:2

أولا. تفحُّص التزمّت الطقسيّ الدينيّ (2:17-24)
أ. وسيلة الإنسان لبلوغ الحق (2:17-20)
1. كونه ثابتاً بالحق (2:17-18)
2. كونه واثقاً من الحق (2:19-20)
ب. مسؤولية المرء تجاه الحق (2:21-24)
1. كشف سوء النية الروحية (2:21 أ)
2. كشف عدم الحساسية الروحية (2:21 ب-22)
3. كشف الإفلاس الروحيّ (2:23-24)
ثانيا. تفحُّص الفرائض الدينية (2:25-29)
أ. القيمة المحدودة للفرائض (2:25-27)
1. الناموس الذي أعطاه الله (2:25)
2. النور الذي يمتلكه الإنسان (2:26-27)
أ. الإنسان المجرد من الفرائض قد يكون أكثر تقوى من المتمسّك بها (2:26)
ب. الإنسان المكرّس للفرائض قد يكون أكثر مسؤولية من الإنسان المجرد من الفرائض (2:27)
ب. قيمة الحقيقة اللامحدودة (2:28-29)
1. في المظهر الخارجيّ (2:28)
2. في الاستحسان الداخليّ (2:29)
ثالثا. تفحُّص الاعتراضات الدينية (3:1-8)
1. الذين يجادلون في أن الصحيح كان خطأ (3:1-2)
2. الذين يجادلون في أن الخطأ كان صحيحاً (3:3-8)

الوثنيّ إنسانٌ ذو دين منحرف، والمرائي إنسان ذو دين ظاهريّ؛ ويمثّل اليهودي إنساناً ذا دين لا قوة له. ومع أن اليهوديّ في 2: 7-3: 8 هو الذي تحديداً تحت المحاكمة إلا أن قضيته مقياسٌ يقاس عليه وضع أي شخص متديّن. فاليهوديّ يضع أمامنا مثالاً عن الإنسان المتحمّس للدين المعلَن ولكنه غريب عن المسيح. والعالم المسيحيّ مليءٌ بأناس مثله يحاكمون بذات التهمة كنظرائهم اليهود.

وقد يكون المرء المتدين هو أكثر الناس صعوبة لتبليغه رسالة الإنجيل. لا يوجد أحد بلغ من السوء إلى حدٍّ يعجز فيه المسيح يسوع عن تخليصه. ولكن هناك الملايين الذين يظنون أنفسهم أنهم شديدو الصلاح. إن الله معنيٌ بهذا الصنف من الناس في هذا الجزء من الرسالة إلى رومية. ويتم الآن تفحُّص تزمُّت المتديّنين الطقسيين، وفرائضهم، واعتراضاتهم، كما هي متجسّدة في اليهوديّ.

أولاً، تفحص تزمُّت الطقسية الدينية (2:17-24)

لم يتفوّق على الشاب شاول الطرسوسيّ في تزمته الدينيّ سوى قلائل. وقد شهد عن نفسه أمام الملك أغريباس، "أَنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ عِبَادَتِنَا الأَضْيَقِ عِشْتُ فَرِّيسِيًّا." (أع 5:26). لقد عرف بولس كل شيء عن تزمت الطقسية الدينية، وكيف يمكن لها أن تجعل من إنسانٍ مخلص ومتحمّس عدواً للمسيح نفسه. "فَأَنَا ارْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَصْنَعَ أُمُورًا كَثِيرَةً مُضَادَّةً لاسْمِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ." (أع 9:26). لم يكن بولس يدين اليهود بسبب معاداته للسامية، فهو نفسه يهوديّ، ولكنه يهوديّ واعٍ جداً بكل ما في الدين من مخاطر ومزالق، وحتى دين الكتاب المقدّس المعلن يصبح عرضة لمثل هذه المخاطر عندما ينفصل عن شخص الرب يسوع وعمله.

يفترض التزمت الطقسيّ الدينيّ وجود متطلَّبَيْن رئيسين: الوصول إلى الحق وتقديم الحساب للحق. فالحصول على كتاب مقدس مفتوح يزيد كثيراً من مسؤولية الإنسان في عيني الله.

أ. الوصول إلى الحقيقة (2:17-20)

كانت خطوة بولس الأولى هي العمل على إظهار أن اليهودي ليس لديه الوسيلة فقط للوصول بسهولة إلى الحقيقة وإنما هو أيضا **(1) متثبِّت بتلك الحقيقة**. "هُوَذَا أَنْتَ تُسَمَّى يَهُودِيًّا، وَتَتَّكِلُ عَلَى النَّامُوسِ، وَتَفْتَخِرُ بِاللهِ، وَتَعْرِفُ مَشِيئَتَهُ، وَتُمَيِّزُ الأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ، مُتَعَلِّمًا مِنَ النَّامُوسِ." (2:17-18).

وفقا لهذه الآيات فإن لليهوديّ امتيازين. أولاً، لديه امتياز الولادة كعبرانيّ. فهو يتلقّى التعليم في المجمع منذ طفولته؛ ويتربّى على مهابة يوم السبت وحفظه؛ ويعي حاجته إلى ذبيحة؛ ويتشرَّب بحقيقة الانفصال. ولم تكن هذه المزايا بسيطة في عصرٍ كان معظم الناس فيه وثنيّين وغارقين في الخرافات وعبادة الأصنام. وعندما كان جميع الآخرين غارقين في الظلام كان اليهوديّ قادراً على الاستناد إلى الناموس. لذا لم يكن له امتياز الولادة كعبرانيّ فقط وإنما كان لديه امتياز توافر الكتاب المقدّس العبريّ. وعلاوة على ذلك، كان خبيراً في القيام بالتمييز الدقيق في أمورٍ بسيطة ذات علاقة بحق الله المعلن له.

وفضلاً عن ذلك، كان اليهودي **(2) واثقاً من ذلك الحق**، "وَتَثِقُ أَنَّكَ قَائِدٌ لِلْعُمْيَانِ، وَنُورٌ لِلَّذِينَ فِي الظُّلْمَةِ، 20وَمُهَذِّبٌ لِلأَغْبِيَاءِ، وَمُعَلِّمٌ لِلأَطْفَالِ، وَلَكَ صُورَةُ الْعِلْمِ وَالْحَقِّ فِي النَّامُوسِ." (2:19-20).

وبعبارةٍ أخرى، أقام اليهوديّ نفسه معلّماً للآخرين، وفعل ذلك بفخرٍ مفعمٍ بالإزدراء بهم، واحتقارٍ عميق لجهلهم لأنه لم يحالفْهم الحظ مثله. والمعنى الحرفي لكلمة "أغْبِياء" في النص هو "حمقى." فقد نظر اليهوديّ بازدراء لا حدّ له لجيرانه الأمم بسبب جهلهم الذريع حتى بالمبادىء الأساسية المعلنة بناموس الله التي تم توضيحها حتى لأكثر اليهود جهلاً.

وبالتالي فإنَّ النقطة الأولى في لائحة اتهام بولس، لها علاقة بقدرة اليهود على الوصول إلى الحقيقة، وهو وصول انتشر بكل أسف في أيام بولس بفضلٍ موقفٍ يهوديّ متعالٍ من نحو الأمم.

إنَّ الوصول إلى الحقيقة لأمرٌ جليلٌ، ولا سيما حين يولَد المرء في عائلة تشيع فيها أمور الله ويكون فيها الكتاب المقدس كتابا أجادت قراءته. ومثل هذه الامتيازات تكون مثقلة بمسؤوليات جسيمة، ويصيب الويل الإنسان الذي يأخذها كأمرٍ مسلّمٍ به. فنشأة الإنسان في ظروف تتميّز بالامتيازات الروحية ثم بعد ذلك يتحول إلى متدين متزمت تعرّضه للدينونة اللافحة المذكورة في رومية 2.

ب. تقديم الحساب للحق (2:21-24)

يبدأ بولس بعد ذلك باستجواب اليهوديّ من أجل التوكيد على الدينونة التي تصاحب مجرد المعرفة العقلية للحقائق مع انعدام حياة الطاعة لله. فالاختبار الدينيّ الذي هو مجرد كلام من غير سلوك لا يصمد أمام محكّ اختبار يوم الدينونة.

هناك، على سبيل المثال، قضية**(1) النفاق الروحيّ**. " فَأَنْتَ إِذًا الَّذِي تُعَلِّمُ غَيْرَكَ، أَلَسْتَ تُعَلِّمُ نَفْسَكَ؟" (2:21). وهذا خطأ شائع في الدوائر الدينية، ويمكن للمرء أن يقع فيه بسهولة. وبما أن هدف التعليم الصحيح هو تغيير السلوك فعلى المعلم أن يطبّق مبادئه على نفسه أولاً قبل تطبيقها على الآخرين. إن إشعياء مثال جيّد على ذلك. فقد سكب هذا النبيّ العظيم المبشّر جامات الدينونة **على الآخرين** في الفصل الخامس من سفره. "وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَصِلُونَ بَيْتًا بِبَيْتٍ... وَيْلٌ لِلْمُبَكِّرِينَ صَبَاحًا يَتْبَعُونَ الْمُسْكِرَ... وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا... وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ..." وتكلّم بهذا الشكل ست مرات، ولكن في الفصل السادس وجد نفسه في محضر الله القدّوس القدوس القدوس، فصرخ، "وَيْلٌ لِي! " كان رجلاً حكيماً؛ وعلّم نفسه. فعندما رأى الأمور في سياقها الصحيح لم يتردّد في تطبيقها على نفسه. إنها لقمّة النفاق الروحيّ أن يعلّم المرءُ الآخرين ولا يلقّن الدرس لنفسه.

بعد ذلك كانت القضية **(2) عدم الحساسية الروحية**. " الَّذِي تَكْرِزُ: أَنْ لاَ يُسْرَقَ، أَتَسْرِقُ؟ الَّذِي تَقُولُ: أَنْ لاَ يُزْنَى، أَتَزْنِي؟ الَّذِي تَسْتَكْرِهُ الأَوْثَانَ، أَتَسْرِقُ الْهَيَاكِلَ؟" (2:21-22)

كان أحد الوعاظ المتجولين معروفاً جيداً في الدوائر التي خدم فيها لحزم رسالته وصرامة تقديمه لها. كان دائماً ينتهر الخطيئة ولم تخْلُ مواعظه من التهديد بنار الجحيم إلا قليلاً. واستمرَّ على هذه الحال لسنين عديدة إلى أن جابه في صباح يوم أحدٍ صدمة حياته. فقبل سنين كثيرة قادته خدمته في الوعظ إلى مدينةٍ نائيةٍ سقط فيها في الخطيئة وارتكب الزنا مع امرأة غير مخلَّصة. وعندما دخل اجتماع العبادة في ذلك الصباح من يوم الأحد، بعيداً عن مسرح خطيئته فوجيء هناك بوجود تلك المرأة عينها والتي خلّصها الرب مؤخراً! كانت صدمتها معادلة لصدمته تقريباً عندما اكتشفت أنه واعظ، وواجهته علناً بذنبه. فلم يكن وعظه القاسي والمرير على مرّ السنين إلا قناعاً لضميرٍ مذنب. لقد وعظ الآخرين ولكنه ظلَّ هو نفسه لا مبالٍ روحياً، والآن قد وجده ذنبه.

يشير بولس في هذه الآيات إلى أن اليهوديّ كان مخطئاً أخلاقياً، ومعنوياً إذ لطَّخ سلوكه بمثل هذا الذنب. فلقد وعظ مُنبراً عن معايير عالية ومقدسة للناموس ولكن لم يبال بأن تكون حياته الخاصة كذبة حية.

كانت هناك أيضاً قضية (3) **الإفلاس الروحيّ**. "الَّذِي تَفْتَخِرُ بِالنَّامُوسِ، أَبِتَعَدِّي النَّامُوسِ تُهِينُ اللهَ؟ لأَنَّ اسْمَ اللهِ يُجَدَّفُ عَلَيْهِ بِسَبَبِكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ." (2:23-24). وبدلا من أن يكون وصول اليهودي إلى الحق مصدر قوة، فإنه أضحى في موضع مسؤولية يقدِّم عنها حساباً عسيراً في محكمة الله؛ لأنه لا يوجد ما يحوّل الغرباء عن الحق أسرع من سوء سلوك الشخص الذي يعترف بأنه مؤمن.

لم يعد إبراهيم مصدر بركة للمصريّين بعد أن أنكر في مصر أن ساراي هي زوجته فنُقلت إلى حريم فرعون، وأصبح بدلاً من ذلك مصدر لعنة وضربة. واكتشف فرعون في النهاية مصدر مشاكله وطالب إبراهيم أن يقدم حساباً عن تصرفه، "مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ لِمَاذَا قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي؟" ولم يردّ إبراهيم المحرَج على أي من هذه الأسئلة، فشهادته ليهوه قد انتهت من وجهة نظر إنسانية في عيني فرعون. القصة الكاملة موجودة في سفر التكوين 12:10-20.

نشأت حالة مماثلة عندما أخطأ داود مع بثشبع. وإذ هزّ ناثان النبي ضمير داود بمثله المتقن وتطبيقه، أصاب ذلك داود في الصميم مما جعله يدرك كل مضاعفات ذنبه بما سمعه من كلماتٍ لا تُنسى، "قَدْ جَعَلْتَ بِهذَا الأَمْرِ أَعْدَاءَ الرَّبِّ يَشْمَتُونَ" (2 صم 12:14). وإنها لحقيقة ملحوظة أيضاً أن غير المؤمنين ما يزالون إلى هذا اليوم يسخرون من داود من حيث أنه قيل عنه أنه "رجل حسب قلب الله." وربما كان هذا المثال في ذهن بولس عندما أضاف، "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ" بعد أن قال إن اليهود يجعلون الأمم يجدّفون.

إذاً التزمُّت الدينيّ الطقسيّ لا يجعل المرء أكثر قبولا عند الله. ولا يبهر الناس أيضاً، لأنهم يبحثون عن الحق في الدين ويكتشفون بسرعة من هو المتظاهر فقط بالتقوى. فوصول الشخص إلى الحق يزيد من مسؤوليته أمام الحق. لأن الحقيقة تماثل ما انتهى إليه بولس من تذكير المرائي، "لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللهِ، بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ." (الآية 13).

ثانياً. تفحّص الفرائض الدينية (2:25-29)

يشعر الشخص المتديّن عادة أن لديه مكانة خاصة أمام الله ليس لأنه متزمّت في موافقته الفكرية في معرفة الحقّ فحسب ولكن لأنه يدقّق في حفظ مراسيم دينه وطقوسه وفرائضه. ويبيّن بولس الآن أن الطقوس وحدها ليس لها الأفضلية لدى الله.

ولا يُعنى بولس هنا بالطقوس التي لا نهاية لها في ديانات العالم التي لا تعدّ ولا تحصى؛ فمن الواضح أنها بلا قيمة، لأنها لا تحظى ببساطة كلمة الله. ولكن بولس يهتمّ بالفرائض المطلوبة في أيام العهد القديم المصنَّفة في الجزء الطقسيّ الناموس الشرعي الموحى به من الله. ويهتمّ بالأخص بفريضة مميّزة عند اليهود وهي الختان، الختم الخارجيّ للعهد الإبراهيميّ، الفريضة التي تمارَس على كل يهوديّ ذكر في طفولته. ومثلما يتخيَّل كثيرون اليوم أنفسهم في العالم المسيحيّ أنهم أعضاء في كنيسة المسيح وورثة للسماء بسبب المعمودية في طفولتهم، كان اليهوديّ أيضاً يعتقد أن ختانه يعطيه مكانة مميّزة لدى الله. هذه هي الفكرة التي يدينها بولس بعد ذلك التي توحي بأنّ الفريضة الدينية بمفردها قادرة على أن تفيد الروح بصرف النظر عن الاختبار الحيّ الروحيّ الشخصيّ. وهو يقارن ما بين القيمة المحدودة للفرائض في المسائل الدينية وبين القيمة الحقيقية التي لا تُقدَّر بثمن.

أ. القيمة المحدودة للطقوس (2:25-27)

إنّ قيمة أي من الطقوس المفروضة إلهياً تتعلّق بشكل مباشر بـ **(1) الناموس الذي أعطاه الله**. "فَإِنَّ الْخِتَانَ يَنْفَعُ إِنْ عَمِلْتَ بِالنَّامُوسِ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ، فَقَدْ صَارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً!" (الآية 25). وبعبارةٍ أخرى، إن الفريضة او الطقس يكون ذا معنى فقط بمقدار ما هو تعبير ظاهريّ عن اختبار داخليّ. ولا يمكن لعمل طقسي ظاهريٍّ أن يكون ذا قيمة إن لم يتعلّق بطريقةٍ ما باختبارٍ ديناميكيّ شخصيّ كتابيّ روحيّ.

وهنا تكمن المشكلة! فلكي تكون للختان أية قيمةٍ عملية، يجب على اليهودي أن يحفظ ناموس الله وهو أمرٌ مستحيل من الناحية البشرية، وعدم حفظ الناموس يعني تقديم طقوس فارغة وباطلة.

ولا تتعلّق قيمة الطقوس المفروضة إلهياً فقط بالناموس الذي أعطاه الله وإنما أيضاً بـ **(2) النور الذي يمتلكه الإنسان**. فقد يكون الإنسان المجرّد من الفرائض أكثر تقوى من المتمسّك بها، وقد يكون الإنسان المكرّس للفرائض أكثر مسؤولية في عيني الله من الإنسان المجرّد من الفرائض. "إِذًا إِنْ كَانَ الأَغْرَلُ يَحْفَظُ أَحْكَامَ النَّامُوسِ، أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتَانًا؟ وَتَكُونُ الْغُرْلَةُ الَّتِي مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ تُكَمِّلُ النَّامُوسَ، تَدِينُكَ أَنْتَ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالْخِتَانِ تَتَعَدَّى النَّامُوسَ؟" (الآيتان 26-27). وحجّة بولس هنا هي ببساطةٍ، أنه إذا كان الشخص المتديّن يخالف تعاليم كلمة الله الواضحة، فإنه في الواقع يلغي كل شيء تعنيه الطقوس التي أعطاها الله. من ناحيةٍ أخرى، فإن الشخص الذي لم يتلقَّ تأكيداً ظاهرياً لإيمانه عن طريق الطقوس، ولكن قلبه مستقيم مع الله، يتمتّع حقاً بكل ما تعنيه الطقوس.

ولا يقول بولس هنا إن الطقوس المفروضة من الله هي مجرّدة من القيمة. وإنما يقول إنّ حالة قلب الإنسان تحدّد قيمتها. لا يوجد أبداً أي شيء ميكانيكيّ أو آليّ أو سطحيّ في علاقة الإنسان مع الله، ولا يمكن لمجرّد طقسٍ ما أن يعوّض عن العجز في حياة المرء. قد يساعد التوضيح البسيط التالي في شرح ذلك. يحتفل الصبي العبرانيّ بطقسٍ يسمى "بار ميتزفه" في سن الثالثة عشرة. ومن المعتقد أنه عندما يبلغ الولد عامه الثالث عشر يكون قد وصل إلى سنّ المسؤولية والواجب الدينيّ. ولكن أداء مراسيم "بار ميتزفه" لن يجعل

من الصبي رجلاً. فالرجولة تتطلّب أكثر من ذلك بكثير. وكذلك فإن أداء فريضة معينة لن يجعل من المرء مسيحياً؛ فإن المسيحية تتطلّب أكثر من ذلك بكثير.

ب. الحقيقة التي لا تقدَّر بثمن (2:28-29)

"لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ." لم تكن هذه فكرة جديدة يعرضها بولس، فحقيقة كون طقس الختان غير قادر بمفرده على جعل الإنسان يهودياً هي حقيقة قديمة قدمَ الناموس والأنبياء (راجع تث 16:10؛ حز 9:44). ونحن ميّالون جداً للاكتفاء بمحاولة حفظ حرفية الناموس وإهمال تطبيقاته الروحية العميقة. ولكن الله ينظر إلى القلب- وهو الدرس الذي احتاج أن يتعلمه صموئيل التقيّ نفسه. فعندما أُرسِل صموئيل لاختيار ملك لإسرائيل من بين أولاد يسى انبهر جداً بأليآب وهو الابن الأكبر الممشوق القامة والمُلفِت للنظر. "فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «لاَ تَنْظُرْ إِلَى مَنْظَرِهِ وَطُولِ قَامَتِهِ لأَنِّي قَدْ رَفَضْتُهُ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الإِنْسَانُ. لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ»." (1 صم 7:16). وبقي الأمر على حاله إلى أن حضر داود (الذي اعتبره كلٌّ من شاول وجليات فيما بعد غلاماً فحسب) فقال الله لصموئيل، " قُمِ امْسَحْهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ" (1 صم 12:16؛ 33:17، 42، 56). فقد كانت سمات داود الملكية في الباطن وليست في الظاهر.

وبعد ذلك يتّهم بولس العبرانيَّ بالتهمة الثانية، وهي وضع ثقته في فريضةٍ عوضاً عن واقعِ اختبارٍ حقيقيّ مع الله. ولا يمكن لأي إنسان أن يهاجم تزمّت الشخص الآخر الدينيّ وفرائضه من غير أن يواجه عاصفة من الاحتجاج. لذلك يعالج بولس لاحقاً الاعتراضات التقليدية التي يثيرها المتديّنون ويبيّن كم هي واهية وسطحية.

ثالثاً. تفحُّص الاعتراضات الدينية (3:1-8)

كانت الاعتراضات التي يثيرها اليهود في هذا المقطع مجرّد حجج زائفة تعترض الطريق لتشويش القضية. وما أبرع الناس في أمور كهذه عندما تتعلّق بعلاقتهم مع الله. تأمّل، على سبيل المثال، بالمرأة السامرية عند البئر. فعندما شعرت أن الحقيقة أخذت تمسها بصورة غير مريحة، أثارت مسألة ليست ذات علاقة بالموضوع وهي: أيّ من المكانين هو المفضّل لدى الله كموضع ينبغي أن يُعبَد فيه (يوحنا 20:4). ولم تبالِ بأن تتركّز المناقشة حول موضوع "الدين" العام ما دام النور الكاشف لا يقترب من ذات نفسها. ومن الواضح جداً أن الاعتراضات الدينيّة التي يثيرها اليهود والتي أومأ إليها بولس كانت واهية وسطحية بشكل كبير.

أ. أولئك الذين يجادلون في أن الصحيح كان خطأ (3:1-2)

"إِذًا مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ، أَوْ مَا هُوَ نَفْعُ الْخِتَانِ؟" لقد أصرَّ هؤلاء الناس أن الحقائق الرهيبة التي يقدّمها بولس كانت جميعها خاطئة. لقد ظنوا أنها خاطئة لأنها تقوّض من الامتيازات والصلاحيّات الخاصة باليهود. ولكن سرعان ما وجه بولس لهذه الفكرة الضربة القاضية. "مَا هُوَ فَضْلُ الْيَهُودِيِّ؟... كَثِيرٌ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ! أَمَّا أَوَّلاً فَلأَنَّهُمُ اسْتُؤْمِنُوا عَلَى أَقْوَالِ اللهِ." (الآيتان 1-2). إن أعظم امتياز للولادة اليهودية أنها توفِّر له اكتشاف كلمة الله منذ الطفولة المبكرة.

ب. أولئك الذين يجادلون في أن الخطأ كان صحيحاً (3:3-8)

كان هناك، بكل تأكيد، موقفان خاطئان في الردّ على اعتراض بولس البسيط عن السؤال الأول. أول هذين الموقفين الخاطئين هو الجدال في أن (1) **عدم الإيمان يعزّز في الواقع من أمانة الله** ولذلك ينبغي تشجيعه! "فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟" (الآية 3). وترجمة "بيك" (Beck) أوضح، وتقول، "فماذا إن كان البعض غير أمناء؟ هل إن عدم أمانتهم يجعل الله غير أمين؟" [1] وكان ردّ بولس واضحاً وعلى المحكّ: "حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا. كَمَا هُوَ

مَكْتُوبٌ: «لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ»" (الآية 4). أجاب بولس بأن الله لا يمكن أن يكون غير أمين البتة، ولا يمكن أن يتراجع عن كلمته، واقتبس من المزمور 51، وهو مزمور داود التوبويّ العظيم، لكي يبلِّغ حقيقة أكثر إقناعاً. فالمزمور يبيّن استعداد داود لأن يدين نفسه كلياً لكي يكون الله باديا للعيان باراً في دينونته له؛ ويثبت الاقتباس نقطة بولس بأنه مع أن الله قد أعطى مواعيده لإسرائيل إلا أن هذه المواعيد لم تعنِ أن اليهوديّ غير التائب قادرٌ على النجاة من الدينونة.

والموقف الثاني الخاطئ الذي يرفضه بولس هو الادّعاء بأن **(2) الإثم يعزّز في الواقع من غفران الله** وهذا بالتالي مما يدعو للثناء على ارتكاب الخطيئة! أي، على الله أن لا يخطّىء اليهودي عندما يقترف الخطيئة لأن خطيئته تساعد على تعظيم صفات الله. "وَلكِنْ إِنْ كَانَ إِثْمُنَا يُبَيِّنُ بِرَّ اللهِ، فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ اللهَ الَّذِي يَجْلِبُ الْغَضَبَ ظَالِمٌ؟ أَتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ." وبحسب ترجمة بيك، "ألعلّ الله ظالم (أتكلم بحسب الإنسان) عندما يغضب ويعاقب" (الآية 5). ويردّ بولس من جديد بتكرار، "حَاشَا!" (الآية 6). فالله عادل وبار في آنٍ واحد، وهذا ما نراه منسوجاً في سدى كلمته ولُحمتها. وبما أنَّ الأمر كذلك، فمن الخطأ الواضح الافتراض بأنّ خطيئة الإنسان تعزّز من بر الله.

وفي الواقع، كان أعداء بولس يروِّجون هذه الأكذوبة مدَّعين بأن بولس يبشّر بهذا الأمر عينه ويشجّع الخطيئة كوسيلة لتعزيز مجد الله. أنكر بولس بامتعاض مثل أيٍّ من هذه التعاليم وبيّن أن الذين يذمّونه بإشاعة هذا الافتراء هم مدانون بذات دينونتهم له (الآيتان 7-8).

لله شاهدٌ آخر بالإضافة إلى الإعلان البدائيّ، وهذا الشاهد لا يمكن لإنسان أن يشوهه- إنه شاهد الخليقة. ويعلن بولس، "لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ" (الآية 20).

وهكذا يختم بولس قضيته ضدّ اليهوديّ. إن الله لا يعبأ بالادّعاء اليهودي بأنه مستثنى من دينونة الله على أساس يهوديته. فالدين بحدّ ذاته لا يمكنه أن يستثني أيّ إنسان من دينونة الله. ويقف اليهوديّ والأمميّ، المتديّن وغير المتدّين على حد سواء أمام الله وهما عرضة لغضبه على أساس كونهما خاطئين.

خطيئة كل البشرية
20-9:3

أولا. شموليّة الخطيئة البشرية (12-9:3)
أ. الجانب العرقيّ (9:3)
ب. الجانب الدينيّ (12-10:3)
1. الناس غير أبرار (10:3)
ب. الناس غير منطقيّين (11:3 أ)
3. الناس غير متجاوبين (11:3 ب)
4. الناس غير تائبين (12:3)
ثانيا. إجرامية الخطية البشرية (18-13:3)
أ. كلمات الإنسان الشريرة (14-13:3)
1. مثل القبر المنتن (13:3)
2. مثل سمّ الأصلال (14-13:3)
ب. طرق الإنسان الشريرة (18-15:3)
1. قتل (15:3)
2. بؤس (17-16:3)
3. عصيان (18:3)
ثالثا. مذنوبية الخطية البشرية (20-19:3)

أ. الناموس يبيّن أن حالة الإنسان عاجزة (19:3)
1. الإنسان محكوم عليه
2. الإنسان مدان
ب. الناموس يبيّن أن حالة الإنسان ميئوس منها (20:3)

لقد بلغنا في الرسالة نقطة تلخيص قضية الله ضد الجنس البشريّ؛ فقد استجوب كلا من الوثنيّ والمرائي واليهوديّ بدوره فوجد مذنباً. والآن تُستدعى الإنسانية عموماً لتقف أمام الله في قفص الاتهام وتسمع ما يتّهم به الله الجنس البشريّ.

أولاً. شمولية الخطية البشرية (3:9-12)

لاحظ التكرار المستمر لكلمات "ليس" و "ولا واحد" في هذا المقطع. ولا يُستثنى من ذلك أي عضو من نسل آدم الفاسد؛ فالاتهام شامل، وكاسح، وعام. ويبدأ بولس بمراجعة كلا الوجهين العرقيّ والدينيّ لخطيئة الإنسان.

أ. الوجه العرقيّ (3:9)

"فَمَاذَا إِذًا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ؟ كَّلاَ الْبَتَّةَ! لأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ." كل الناس سواسية أمام الله عندما يتعلق الأمر بمسألة الخطيئة. اليهود والأمم، الشرقيّون والغربيون، الحمر والصفر، السود والبيض- لا فرق. جميع الناس خطاة في عيني الله.

ب. الوجه الدينيّ (3:10-12)

ويتلو ذلك تعدادٌ تفصيليٌّ، خطوة فخطوة، للبنود في لائحة الاتهام. في الواقع كل واحد منها هو اقتباس من العهد القديم. يبيّن بولس أولاً أنّ (1) **الناس غير أبرار** في علاقتهم مع الله، ويدعم هذا الاتهام بالاقتباس من مزمور 3:14، "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: "أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ." (3:10). فالإنسان عاجزٌ بالطبيعة عن فعل ما هو صالحٌ في عيني الله.

إن أحد أكثر الإيضاحات التصويرية والرهيبة حول هذا الموضوع مأخوذ من أيام القضاة، تلك الأيام السوداء التي تميّزت بالارتداد والتلوّث بالفجور الصارخ. ومع ذلك، نقرأ مرتين في سفر القضاة عبارة، "كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ." (قض 6:17؛ 25:21)- لاحظ أن العبارة تقول: فعل ما هو حسن وليس خاطئاً. فعندما فعل كل إنسانٍ ما حسن في عينيه أسفر ذلك عن أحلك العصور في تاريخ إسرائيل.

يظنّ كثير من الناس أن سلوكهم صائب- وقد يكون كذلك وفقاً للمعايير الإنسانية. ولكن الله لا يحاكم الناس بحسب المعايير الإنسانية؛ بل يحاكمهم بحسب معايير كماله المطلق. تفاخر أحد الرجال المعتدّين ببرهم الذاتيّ ذات مرة أمام صديقه المسيحيّ فقال، "أتعلم يا جون، أنا لست إنساناً شديد السوء، فهناك كثيرون ممّن هم أسوأ منيّ" وأجابه صديقه، "إنك تقيس نفسك يا إيفور بالمقياس الخطأ. فأنت تقيس نفسك بالنسبة للزناة والسكيرين الذين تراهم على قارعة الطريق؛ وهذه المقارنة تجعلك تشعر بالارتياح تماماً. ولكن اذهب وقسْ نفسك بالمقارنة مع يسوع المسيح وانظر كيف تكون." لن تشمخ حياة أي إنسان عندما توضع جنبا إلى جنب حياة يسوع المسيح الكاملة المنقطعة النظير. إن حياة الرب يسوع تبين لنا بكل بساطة كم حياتنا هي معوجة وفاسدة في الحقيقة. ولا غرابة أن يقول الله، "أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ".

وبعد ذلك يبيّن بولس أن (2) **الناس غير منطقيّين** في علاقتهم مع الله. "لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ" (11:3 أ). كتب بولس إلى أهل كورنثوس قائلاً: "وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا" (1 كور 14:2). وتتجلى الحقيقة نفسها في الرسالة لأهل كولوسي حيث يعلن بولس أن الناس في حالتهم الطبيعية بعيدون عن الله وأعداء في الفكر (كو 21:1).

إن قدرة الإنسان على التفكير تجعله يرتقي فوق الحيوانات البرية. ولدينا في هذا العصر من التنوير العلميّ والتكنولوجيا المتقدمة كل الأدلة عما للإنسان من فكر ذكيّ. ولكن من الغرابة في الوقت نفسه، أن يكفن الضباب هذا الفكر بشأن الحقائق الروحية؛ لأنه على الرغم من عبقرية الإنسان التي تتجلى في نواحٍ كثيرة إلا أنه يبدي جهالةً بصورة ملحوظة جدا عندما يتعلّق الموضوع بأمور الله. وليس للإنسان أي فهم طبيعيّ في هذا المجال على الإطلاق. فذهنه متوقّد في نواحٍ كثيرة، لكنه يصبح مشوّها وملتويا عندما يتعلق الأمر بالمسائل الأبدية والروحية. وتضرب الأضرار الناجمة عن الخطيئة في عمق جذور عمليات تفكير الإنسان المعقّدة. وغالباً ما يكون خياله قذراً؛ وتخونه ذكرياته في كثير من الأحيان؛ وكثيرا ما تخطئ حساباته؛ و تكون استنتاجاته مغلوطة.

ومعظم الناس يعمون عن الأشياء ذات الأهمية. وعلى سبيل المثال، فإن الأشياء التي يمكن أن يؤمن بها شخص ما باسم الدين هي مذهلة. قد يقول لك أحدهم، "لا يهمّ ما تؤمن به ما دمت صادقاً"- وهي فلسفة لن يتسامح معها أي طالب ولو للحظةٍ لو صدرت عن أستاذ الرياضيات وهو يعلمه الحساب أو علم التفاضل والتكامل. وسيقول لك آخر، "سأفتح صفحة جديدة ناسياً بحماقة أن الله، "يَطْلُبُ مَا قَدْ مَضَى" (جا 15:3). ولو كان رجل أعمال فإنه لن يقبل مثل هذه الفلسفة من أحد المدينين له. تخيل ماذا ستكون عليه ردّة فعله لو فضَّ بريده ذات صباحٍ ووجد رسالةً من شخصٍ مدين له بخمسة آلاف دولار وقرأ فيها شيئا كهذا،

"سيدي العزيز: إنني أدرك أنني مدينٌ لك بخمسة آلاف دولار، ولكنني اليوم فتحت صفحةً جديدةً في دفتر حساباتي، وأنوي من اليوم فصاعداً أن أدفع ديوني وأرقى إلى أعلى معايير النزاهة في الأعمال، وسأفي بكامل الالتزامات المتوجبة عليّ، متجاهلاً ما أنا مدين به من الماضي؛ المخلص لك -"

ومع ذلك، فإن هذا الرجل ذاته الذي سيصعق لتلقي مثل هذه الرسالة سيستخدم تماما هذه الفلسفة في المسائل الروحية.

"لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ." فالإنسان غير منطقيّ في موقفه من نحو الله. لا يفهم الإنسان كم خطيئته هي بغيضة في عيني الله ، ولا يفهم مدى قداسة الله؛ ولا ما تنطوي عليه البدائل عن السماء أو الجحيم اللذين ينتظرانه؛ ولا مقدار الثمن الذي تكبّده الله لكي يوفّر الخلاص ذاته الذي يهمله الإنسان. لو فهم الناس هذه الأشياء لأسرعوا لطلب خلاصهم. وبالتأكيد، هذا ما يحدث بالضبط عندما تنفتح أخيراً عينا الإنسان من جراء عمل الروح القدس المبكّت.

ثم يبيّن بولس أن **(3) الناس غير متجاوبين** في علاقتهم مع الله. " لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ" (11:3ب). السؤال الذي يطرح نفسه بشكل طبيعي هو: كيف يمكن لهذا أن يحدث في ضوء حقيقة كون البلاد الوثنية ملأى بالمعابد والمصلّين؟ الكتاب المقدس يعطي الجواب: "بَلْ إِنَّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّمَا يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ، لاَ لِلهِ." (1 كور 20:10). لقد سبق بولس فبيّن في لائحة اتهامه للأمم أن العالم الأمميّ قد حوّل ظهره عمداً لحقّ الله، وأوغل في الكفر والوثنية. ويقف "إلهُ هَذا العَالَم" (2 كور 4:3-4)، الشيطان، خلف معتقدات العالم الخاطئة. نحن لدينا كلمة الرب بالذات التي تدعم القول ببطلان الدين من غير تجديد، فقد قال، "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ" (يوحنا 44:6).

يشير وست إلى أن كلمة "يَسْعى" هنا هي في اليونانية " ekzēteō"، ويحدّدها "بالسعي من أجل، أو السعي نحو، وهي تعرب عن البحث عن شيء محدد."[1] ومعظم الناس ليسوا مستقلّين تماماً ولكنهم يميلون إلى قبول معتقداتهم الدينية الجاهزة. والحقيقة أن بعض الناس يتسوّقون من نظامٍ دينيّ إلى آخر إلى أن يجدوا

شيئاً يناسب أذواقهم الروحية بشكلٍ أفضل، ولكنهم بمعزل عن عمل الروح القدس الجاذب والمبكِّت فإنهم يجدون أنفسهم قد انتهوا إلى نوعٍ آخر من الوهم، لا أكثر.

يقول الله: "وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ." (إرميا 13:29)، وهو أمرٌ لا يمكن القيام به بمعزل عن عمل الروح القدس في النفوس. شكراً لله لأنه أخذ زمام المبادرة! قال يسوع: "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ." (لوقا 10:19). ومن الجدير بالذكر، أن الكتاب المقدس يشبّه الناس بخرافٍ ضالة، فالخروف حيوانٌ لا يتّسم بالذكاء أو السرعة أو القوة وليست لديه القدرة أو الميل للبحث عن راعيه عندما يضيع. فالإنسان لا يتجاوب مع الله لدرجة إن **كل** مبادرة في الخلاص كانت لا بد أن تصدر من جانب الله. وما أكثر ما فعله! لقد بذل ابنه، وأعطى الكتاب المقدس، وأرسل الروح القدس، ومع ذلك، فإن معظم الناس ما زالوا لا يتجاوبون. ويمكن بالحق أن يقال عن الإنسان الطبيعيّ، " لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ."

ثم يبيّن بولس أن **(4) الناس غير تائبين**. "الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (12:3). وهذه الكلمات تمزق إرباً كلَّ صلاح الإنسان المتخيَّل. والتأكيد الذي يردده الناس ويستخدمونه دائماً، "إنني أعمل أفضل ما بوسعي" هو ببساطة غير صحيح. لا يوجد إنسان قد فعل أفضل ما بوسعه؛ ولم يكن هناك وقت لا يمكن للعمل الصالح أن يجري عليه التحسين نتيجة لبذل جهد أو اهتمام أكثر. إن الناس الذين يتمسكون بهذا الادعاء يدينون أنفسهم بمقياس دينهم نفسه.

تقييم الله للإنسان هو أن حياته "غير مجدية". فحسناته ليست أكثر ثقلا من سيئاته؛ والشعور بذنب الخطيئة يستهلك كل مذدخراته الدينية. تفاخر بولس نفسه ذات مرة " بأرباحه" الدينية إلى أن أظهر الله له كم كانت كل الأشياء التي يتكل عليها مجردة من كل قيمة. وعندئذ بلغ فرحه حداً جعله يطرحها جميعها جانباً من أجل المسيح. "الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ" (راجع في 3:4-9).

تذكر أيضاً أن جميع الجنس البشريّ مدعو لمواجهة لائحة الاتهام في أثناء عرضها بشأن عدم صلاح الإنسان، وعدم منطقيّته، وعدم تجاوبه، وعدم توبته. فكل إنسانٍ مشمول في هذا العرض بفضل شمولية الخطيئة البشرية.

ثانياً، إجرامية الخطيئة البشرية (3:13-18)

ليس جميع الناس مذنبين فقط قدّام الله وإنما هم متورِّطون جداً بالذنب. يثبت بولس ذلك بلفت انتباهنا إلى كل الأشياء التي يقولها الناس ويفعلونها.

ا. كلمات الإنسان الشريرة (3:13-14)

ما برح بولس مستمراً في اقتباسه من العهد القديم وتجميع الأدلة. يشير إلى أن كلمات الإنسان تتّصف (1) **بنتن القبر** – "حَنْجَرَتُهُمْ قَبْرٌ مَفْتُوحٌ." (الآية 13أ). يا لها من طريقة للتعبير عن وصف فساد الكثير من كلمات البشر! وكما أن النتانة المؤذية لا تفوح من قبرٍ مفتوح بسبب القبر نفسه وإنما مما فيه من فساد، كذلك فإن كلمات الإنسان النجسة القاسية الكاذبة تعرب عن قلبٍ نجس خبيث ومخادع.

ثم يشير بولس إلى أن كلمات الإنسان تتّصف (2) **بسمّ الأصلال** "بِأَلْسِنَتِهِمْ قَدْ مَكَرُوا. سِمُّ الأَصْلاَلِ تَحْتَ شِفَاهِهِمْ. وَفَمُهُمْ مَمْلُوءٌ لَعْنَةً وَمَرَارَةً." (الآيتان 13ب-14). يذكر نيوول أن أنياب الحية المميتة جداً تقع عادة في الفك العلوي وتكون مطوية إلى الخلف؛ ولكن عندما تشرئبُّ الحية برأسها لتلدغ تنزل هذه الأنياب إلى الأسفل وتضغط على كيس مليء من السم القاتل المخفي ‘تحت شفتيها’ في جذره، وبهذا تنفث السم الزعاف في الجرح. لقد خُلقنا أنا وأنت ولنا أكياس سم أخلاقية مثل هذه." ونلدغ أحدنا الآخر بكلمات سامة.

ليس الكلام البذيء تعدّياً ضد الإنسان فحسب، وإنما هو تعدٍّ ضد الله أيضاً. وقد حذّر الرب يسوع بقوله، "وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطُونَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ." (مت 36:12). تصدر عن الإنسان الفصيح العادي آلاف الكلمات في اليوم. ويمكن لهذه الكلمات اليومية أن توءلف مجلداً

مقبول الحجم، ولو جُمِعت كلماته التي نطق بها طيلة الحياة في مجلدات لكانت كافية لملء مكتبة كُلِّيَّةٍ. وكلٌ من هذه المجلدات تجسد أفكار المتكلم كما نطق بها، وكل كلمة هي مكشوفة لفحص الله ودينونته. علاوة على ذلك، لا يمكن استرجاع أي من هذه الكلمات أو المجلّدات أو سحبها. يشير بولس هنا إلى أن كلمات الإنسان الشريرة تشكل جزءاً هاماً من لائحة اتهام الله لكلّ واحدٍ فينا.

ب.طرق الإنسان الشريرة (3:15-18)

وليس فقط ما ننطق به يعرّضنا للدينونة، إنما ما نفعله أيضاً. يشير الله أولاً إلى أن (1) **القتل هو أحد خواص سلوك الإنسان**. "أَرْجُلُهُمْ سَرِيعَةٌ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ." (الآية 15). ومما له مغزى أن أول خطيئة مسجلة ارتكبت خارج جنة عدن كانت خطيئة القتل (تك 4:8). واكتمل نضج الخطيئة في الاختبار البشري. إن خطيئة الإنسان الأولى فصلتْهُ عن الله؛ وخطيئته الثانية فصلتْهُ عن الإنسان. ودين قايين الذي كان من الرقة بحيث أنه حال دون ذبحه خروفاً، لم يكن من الرقة بحيث يمنعه من قتل هابيل. ويقول بولس إن الناس سريعون إلى سفك الدم. يذكّرنا جي إدغار هوفر بأنه حتى في بلدٍ مثل الولايات المتحدة الأميركية ترتكب جريمة قتل كل أربعين دقيقة.

ولا مبالغةَ في لائحة الاتهام التي يضعها الله، ولم يعفُ عنها الزمن مثلما يُثبِت التاريخ الحديث. أُحضِر مجرمو الحرب النازيون إلى العدالة في نوريمبرغ في نهاية الحرب العالمية الثانية، ودينوا بأربع تهم. كانت التهمة الثالثة هي- جرائم الحرب- بما فيها ملاحقة قضائية لقتل السكان المدنيّين وأسرى الحرب وسوء معاملتهم لهم، وترحيل السكان وإخضاعهم للعبودية القسرية وقتل الرهائن. التهمة الرابعة- جرائم ضد الإنسانية- بما فيها الملاحقة القضائية على القتل والإبادة والاستعباد، والملاحقة القضائية على أسسٍ سياسية وعرقية.

عندما افتتح القاضي جاكسون دعوى الملاحقة القضائية وصف ارتقاء الحزب النازي إلى السلطة، ثم استأنف كلامه عن الجرائم المرتكبة ضد اليهود. "إن اكثر الجرائم همجية وعددا قد قام بتخطيطها وارتكابها النازيون... كان الغيتو مخبراً لفحص الإجراءات الرادعة... ومكّنت عمليات إبادة اليهود النازيّين من ممارسة الإجراءات نفسها ضد البولنديّين والصرب واليونان." قُتِل حوالي ستين بالمئة من اليهود في أوروبا التي سيطر عليها النازيون- أي حوالي 5،7 مليون يهودي. وأضاف، "لا يسجّل التاريخ جريمة ارتكَبت ضد عددٍ كهذا من الضحايا، أو جريمة نُفِّذت بوحشية متعمّدة (مثل هذه)." ثم وصف الوحشية السادية والتعذيب والتجويع والقتل الجماعي في معسكرات الاعتقال، والاختبارات "العلمية" المتوحشة والمنحرفة التي أجريت باسم الطب.

وخلال المحاكمة عُرِضت أفلام لفدّانات من الجثث، وأدوات التعذيب، والأجساد المشوّهة، والمقاصل والسلال الممتلئة رؤوساً، والأجساد المعلقة من أعمدة المصابيح، والنساء اللواتي يبكين على أمواتهنّ، وخدمات الدفن الجماعيّ، والنساء المغتصبات والمقتولات، والأطفال المضروبين على وجوههم، ومحرقات الجثث وحُجَر الغاز، وأكوام من الثياب، وحزم من شعر النساء.

وفي نهاية المحاكمة، قدّم السير هارتلي شوكروس موجزاً للوفد البريطاني. وتكلّم بطلاقةٍ عن الجرائم التي ارتكبها المتّهمون، تلك الجرائم التي كانت رهيبة إلى حدٍ يعجز الخيال عن استيعابها. وتحدّث عن المدن العظيمة التي أضحَتْ حُطاماً، وعن الملايين الذين تركوا بيوتهم وشُوِّهوا ونُهِبوا، وعن الجوع والمرض اللذين سادا العالم نتيجة للحرب. ووصف إحياء الاستعباد الذي مارسه النازيّون، وأخبر عن قساوته ووحشيّته، وكيف أُخِذت النساء والأطفال من بيوتهم ليعاملوا بطريقة أبشع من معاملة الحيوانات؛ جُوِّعوا وضُرِبوا وقُتِلوا. وفي معرض وصفه لفظائع إبادة اليهود قال السير هارتلي شوكروس عن الصهر المنكر للأسنان الذهبية في سبائك لمصرف رايخسبانك، وعن تكويم الشعر البشري لأهداف دعائية وعن سلخ جلد البشر الموشّم ليكون مظلات للمصابيح. وأضاف، "لقد أخذت الإبادة الجماعية تتحول إلى صناعة للدولة لها منتجاتها." وينبغي أن نذكر أنّ هذه الجرائم ارتكبتها أو تغاضت عنها أكثر البلاد في أوروبا استنارةً وحضارةً وتقدماً.

ومن السهل أن يكون المرء راضياً ومغروراً ويرفع عنه اللوم قائلاً، "لم أفعل شيئاً كهذا!" ولكن ليس هذا هو المقصود. إن القلب البشريّ هو وريث كل جريمة يمكن تخيّلها. وقد رد الرب يسوع خطيئة الزنى إلى نظرةِ شهوة، والقتل إلى فكرةِ غضب (مت 5:21-22، 27-28). وحيث يكمن الأصل لا يمكن إلا لنعمة الله الكابحة منعه من الحصاد الكامل لأثماره.

وبعد ذلك يشير الله إلى أنّ (2) **البؤس من ميزات طرق الإنسان الشريرة**. "فِي طُرُقِهِمِ اغْتِصَابٌ وَسُحْقٌ. وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ" (الآيتان 16-17). لقد اتحد العالم في محاكمات نومبرغ ليقول، "لن يُعاد هذا!" ولكن ماذا كانت النتيجة؟ لا شيء على الإطلاق!

فاليوم على سبيل المثال، تمارس جمهورية الصين الشعبية، أقسى وأوسع ما عرفه العالم من الاستعباد وأقلها رحمة حتى تتقزم أمامها الجهود النازيّة ولا يمكن مقارنتها إلا مع الاتحاد السوفييتي. الصين الاشتراكية هي سجن واحد متسع الأبعاد. إن مخيمات "الإصلاح من خلال العمل" تمتد عبر البلاد وتعمل بالطريقة نفسها التي عمدت إليها مخيمات الاستعباد التي كانت تسخر الأيدي العاملة لبناء الأنصاب الأثرية للطغاة مثل أهرام مصر وسور الصين العظيم.

والإرهاب في الصين هو سياسة معترف بها في الدولة. ويتم تُحطيم العائلات بطريقة منهجية إذ يتعلّم الأولاد في المدارس كيف يتجسّسون على آبائهم وأقربائهم وأصدقائهم الآخرين. ويتلقى الأولاد دروساً في "التحري والبحث" (وبلغة بسيطة- التجسس) ويوكل إليهم واجبات محدّدة. وعلى الرغم من الظروف الرهيبة في أراضي الصين فإن ماو تسي تونغ لديه الخطط الواسعة للعدوان الكامل على الجنس البشري. وتفيد التقارير بأنه مستعدٌ أن يسرع في الإقدام، في ظل ظروفٍ معينة، على حرب نووية التي يمكن لها أن "تضحّي بحياة 300 مليون إنسان من مواطني البلاد، وتمحو نصف سكان العالم من أجل "تأسيس النظام الاشتراكي على رفات الموت". ومن حيث أن الصين الآن قوةٌ نووية عالمية ولديها ذخائر متزايدة من الصواريخ فإن هذا الخطر يغدو احتمالاً متزايداً.

وفي غضون هذا، فإن الصين الحمراء تنتج نحو ثمانية آلاف طن من الأفيون سنوياً، والتي يتم تصدير معظمها لأهداف تخريبية. ففي الولايات المتحدة، على سبيل المثال، تعمل وكالات شيوعية في تجارة واسعة النطاق للمخدّرات بهدف صريح هو جعل أكبر عدد ممكن من سكانها من المدمنين.[4] {إن هذه التقارير في الفقرات السابقة يعود تأريخها إلى زمن تأليف هذا الكتاب- المترجم}.

"وَطَرِيقُ السَّلاَمِ لَمْ يَعْرِفُوهُ." وتقدر الأرقام التي تصدرها هيئة الأمم المتحدة أن اثنين وثلاثين مليوناً من الناس قتلوا في الحرب العالمية الثانية على أرض المعركة؛ وأن حوالي خمس وعشرين مليون إنسان ماتوا من غارات القذائف المتفجرة ؛ وخمساً وعشرين مليونا لقوا حتفهم في مخيّمات التعذيب؛ وأكثر من تسع وعشرين مليوناً جُرِحوا أو شوّهوا. وعندما نعتبر لاإنسانية البشر المستنيرين في القرن العشرين تجاه بعضهم البعض، فإننا نطرح مثل هذه الأرقام خارج نطاق عقولنا لأننا لا نستطيع بعد استيعاب ضخامة هذه الأرقام الواردة في الإحصائيات.

تورد التقديرات أن قتل كل جندي من جنود الأعداء كلّف 225 ألف دولار في الحرب العالمية الثانية وأن تلك الحرب كلفت الحلفاء ما مجموعه 800 بليون دولار. وعلى الرغم من جميع الأنظمة الموضوعة لحل المشاكل الدولية على طاولة المؤتمرات، فإن الإنسان ما برح عاجزاً عن إيجاد طريق للسلام.

وفي الولايات المتحدة اليوم، يشترك واحد من عشرة من أفراد القوة العاملة في أنشطةٍ دفاعية. ومن المقدر أن في وسع الولايات المتحدة في أول 24 ساعة من حربها الخارجية أن تطلق ما يعادل 16 بليون طناً من مادة تي إن تي_ أي أربعة آلاف ضعف مجموع ما استهلك في الحرب العالمية الثانية. وسيموت 80-90 بالمئة من عدد سكان روسيا البالغ 200 مليون نسمة في حال اختراق معظم ما تحمله "أول موجة" لجبهات العدو الدفاعية، وستتدمّر سائر المدن الكبرى، وسيُمحى 85 بالمئة من صناعة روسيا. (هذه الأرقام ترجع إلى تاريخ تأليف هذا الكتاب- المترجم).

جاء إلى هذا العالم منذ ألفي عام تقريباً من اسمه "رَئيس السلام" (إش 6:9). رنّمت الملائكة في تلال يهوذا عند ولادته، "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ" (لوقا 14:2). ولكن العالم تضافر عند الجلجثة ليصلبه؛ والآن لن يسمع العالم إلا "بِحُرُوب وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ" (متى 6:24) إلى أن يرجع المسيح ثانية. وإبان ذلك، ليست تعاسة الإنسان مجرد شيء عليه أن يحتمله؛ وإنما هي شيء أصبح فيه الإنسان مسؤولا إجرامياً أمام عرش الله.

وأخيراً، يذكر الله أن طرق الإنسان تتميّز بـ (3) **التمرد**- "لَيْسَ خَوْفُ اللهِ قُدَّامَ عُيُونِهِمْ" (الآية 18). يتجاهل الناس كلياً أن ذات حضور الله ينبغي أن يثير فيهم الخوف من الشر. وعوضاً عن أخذه (أي الله) بعين الاعتبار، فإن الناس يتعاملون معه وكأنه غير موجود. وعلى سبيل المثال، نزولا عند رغبة الاتحاد السوفياتي، وافقت منظمة الأمم المتحدة على عدم ذكر الله في جلساتها؛ ومع ذلك، فهي تعرض في مكان شهير تمثال زيوس، إله الرعد في أوليمبوس. إن الإلحاد في تقدم في العالم ويزداد وقاحة يوماً بعد يوم.

ثالثاً. مذنوبية الخطية البشرية (3:19-20)

بالنظر إلى شمولية الخطيئة البشرية وإجراميتها، لاعجب أن يختتم بولس لائحة الاتهام بالضرب المباشر على وتر الضمير الإنساني بوضع اللوم على الإنسان بسبب حالته وحكم الله على الذنب. ولكي يُقْدِمَ على ذلك، فإنه (أي بولس) يستعين بناموس الله.

ا. حالة الإنسان عاجزة (3:19)

وسرعان ما يكشف الناموس سلوكَ الإنسان. فالإنسان (1) **محكوم عليه**، والحكم عليه بسبب خطيئته ناجم عن مخالفته لناموس الله. "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ النَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي النَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ." (الآية 19). ويبدو أن "الناموس" المذكور هنا يشير إلى إعلان العهد القديم بأكمله. كان بولس قد أشار آنذاك إلى أربعة عشر تصريحاً شاملاً عن موضوع الخطيئة الإنسانية.[5] ولا ريب أن الشخص الذي يرى نفسه على هذه الصورة لن يجد شيئاً يقوله دفاعاً عن نفسه. وسيستدّ فمه، ويقف في موقف الأبرص روحياً وأخلاقياً أمام الله، ويضع يده على فمه قائلاً، "أنا نَجِسٌ!" (لاو13:45؛ راجع إش 6:1-5). وسيصرخ مثل العشّار، "اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الخاطِئ" (لو 18:13). ومن يقف في مثل هذا الموضع تطاله الرحمة، مثلما يُثبِت بولس لاحقاً؛ أما الذين يستمرون في جدلهم العقيم حول هذه النقطة فلن يحظوا بالرحمة عندما تستدّ أفواههم أخيراً أمام العرش الأبيض العظيم (رو 6:15-17؛ 20:11-15).

وليس الإنسان محكوماً عليه من ناموس الله فحسب ولكنه (2) تحت **دينونة** ذلك الناموس أيضاً. فهو قد وجد "مذنبا!" وأحد الأسباب التي لأجلها أعطى الله الناموس هو " لِكَيْ...يَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ " (الآية 19). ولسنا مضطرين (كخطاة) للانتظار إلى أن نموت لكي نعرف اين سيكون مقامنا في الدينونة إذ في إمكاننا أن نعرف حقا الآن. ويتفق بولس ويوحنا في القول، "الَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ" (يو 3:18). وسيكون حكم الله الجالس على العرش الأبيض العظيم مجرّد تأكيد لما نراه في رومية 1-3. إنّ حالة الإنسان عاجزة حقاً.

ب. حالة الإنسان ميئوس منها (3:20)

"لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لأَنَّ بِالنَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيَّةِ" (الآية 20). فلا جدوى من تمسّك الإنسان بأملٍ يائسٍ ظنا منه بأنه، بطريقة ما، ستتفوق أعماله الحسنة على أعماله السيئة؛ وبناءً على ذلك سيجعل نفسه مقبولاً أمام الله. فهو مدانٌ بحسب قوانين الله الخاصة- الناموس، الذي عَمَلَهُ الرئيس لا أن يخلّص بل أن يدين. وهكذا تفشل أفضل المحاولات، وأكثرها إخلاصاً، وأشدها صرامة في إرضاء الله عن طريق حفظ ناموسه- ويكشف الناموس نفسه عن ذلك الفشل. حقاً، إن الإنسان ليس عاجزاً فقط بالنسبة لحالته ولكن هو ميئوس منه أيضاً بالنسبة إلى قضيته.

وإن كان على الإنسان أن يخلص فعلى الله أن يخلّصه فقط. وهذا هو موضوع بولس التالي العظيم في هذه الرسالة.

الخلاص مجّاني
31-21:3

أولا. إعلان خطة خلاص الله (3:21-23)
أ. إنها كتابية بدقة وإحكام (3:21)
1. إنها توافق مقاييس الناموس (3:21أ)
2. إنها توافق إعلانات الأنبياء (3:21ب)
ب. إنها مناسبة بكل معنى الكلمة (3:22-23)
1. إنها فريدة في نهجها (3:22)
2. إنها شاملة في مناشدتها (3:23)
ثانيا. خطة الله للخلاص بارة (3:24-26)
أ. حالة الإنسان المدمّرة (3:24-26أ) لذا فالخلاص مبنيّ على،
1. مبدأ رائع (3:24أ)
2. ثمن فدائيّ (3:24ب-25أ)
3. إعلان ملَكيّ (3:25ب-26أ)
ب. طبيعة الله البارة (3:26ب)
ثالثا. خطة الله للخلاص معقولة (3:27-31)
أ. تلاشي كل افتخارٍ إنسانيّ (3:27-28)
ب. تلاشي كل تحيّزٍ إنساني (3:29-30)
ج. تلاشي كل افتراضٍ إنسانيّ (3:31)

"وَأَمَّا الآنَ..." (3:21). لاحظ جيداً كل ألفاظ "أما، ولكن" في الكتاب االمقدس! وكما أن الأبواب العظيمة تدور عادة على مفاصل عادية، هكذا تدور تغييرات رئيسة في الكتاب المقدّس حول تلك الكلمات العادية. لاحظ على سبيل المثال كلمة "ولكن" في حياة سليمان (1 مل 1:11)، وفي حياة عزيا (2 أخ 16:26)، وفرعون (خروج 15:8)، ونوح (تك 8:6)، وفي قصة الابن الضال (لو 20:15) [لا ترد لفظة "لكن" في كل المواضع المذكورة هنا في [الترجمة العربية لفوارق اللغة].

يا لها من صورة معتمة يرسمها بولس عن الخطيئة البشرية! وما أثقل غيوم العاصفة في السماء، وما أرهب ومضات بروق الغضب! ولكن انظر! ففي السماء شرخٌ تشرق الشمس من خلاله؛ ولدى الله خطة لخلاص الخطاة، بمن فيهم أولّ الخطاة. وأول انطباع يخلفه فينا بولس بشأن هذا الشرخ الأزرق هو أن الخلاص مجّانيّ، وهو ليس من اختراع الإنسان بل من الله.

أولاً. إعلان خطة خلاص الله (3:21-23)

ليس خلاص الإنسان من نتاج التفكير الإنساني المنطقي وجهده، بل هو خطة الله من البداية إلى النهاية كما أعلنها الله في كلمته. يبذل بولس كل جهده أول كل شيء لتوضيح أن الحق المتعلق بالخلاص الذي يوشك على التوسع فيه، هو متأصل بصورة راسخة في تعليم العهد القديم.

أ. إنها كتابية بدقة وإحكام (3:21)

فهي **(1) تتوافق مع مقاييس الناموس**. "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ" (3:21أ). لا يستطيع الله أن يحطّ من مقاييسه. فإن كان سيخلّص الإنسان من حمق الخطيئة ودمارها فيجب أن يتم ذلك بطريقة لا تتعدى على المتطلّبات البارة الواضحة كل الوضوح المعلنة في ناموس

موسى. فقد كان ناموس العهد القديم ناموسا أخلاقياً وشعائرياً على حدٍ سواء. وقد صُمِّم الناموس الأخلاقيّ ليكشف عن الخطيئة؛ أما الناموس الفرائضيّ فصُمِّم ليوفر غطاءً مؤقتاً للخاطئ الذي انكشف. إن خطة الله في الخلاص المعطاة في الإنجيل تثبت برّ الله كما هو معلَن عنه في الناموس الأخلاقيّ، وكذلك توفّر أيضاً وسيلة أكثر قبولاً للتطهير من الخطيئة مما تستطيع دم العجول والتيوس أن تنجزه على الإطلاق. غير أن الناموس الفرائضيّ كان شهادة، على الرغم من تقصيراته الواضحة عن حقيقة عزم الله على التطهير من الخطيئة وإلغائها مقابل تكلفة لا حدّ لها وبتضحية شخصية عظيمة، وبطريقة منسجمة مع قداسته.

إن خطة الله في الخلاص **(2) تتوافق مع إعلانات الأنبياء**. "مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ" (21:3ب). ويحضر إلى الذهن الفصل 53 من سفر إشعياء لا لكي يذكّرنا بموت المسيح البديليّ نيابة عنا فحسب (الآية 6) ولكن أيضاً بأن برَّ المسيح يُحسَب لنا أيضاً (الآية 11).

ولذلك، فإن خطة الله في تبرير الخطاة بمعزلٍ عن الناموس أو الجدارة الإنسانية هي خطة كتابية بكل معنى الكلمة.

ب. إنها مناسبة بكل معنى الكلمة (3:22-23)

إن قضيتنا ميئوسٌ منها كما سبق لبولس أن بيّنه؛ وبالتالي إن كان علينا أن نخلص إطلاقا فينبغي أن يكون ذلك بطريقة تتناسب مع حالة ضياعنا؛ وعلى الله نفسه أن "يُفَكِّرُ أَفْكَارًا حَتَّى لاَ يُطْرَدَ عَنْهُ مَنْفِيٌّهُ" (2 صمو 14:14). وهذا ما فعله. ويبيّن بولس أيضا أن خطة الله للخلاص هي **(1) فريدة في نهجها**. ويتحدّث عن "بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ" (الآية 22). وبما أننا لا نستطيع أن نخلّص أنفسنا فإن الله يخلصّنا بفضل منحنا بِرّاً كاملاً، حتى بر المسيح، شرط أن نضع إيماننا فقط في الرب يسوع.

وهنا تفترق خطة الله للخلاص عن كل خطة يقوم القلب البشري بابتداعها. وتبين دراسة أنظمة العالم الدينية الخاطئة أنه مهما اختلفت تعاليمها العرضية فإنها جميعاً تشترك في مبدأ عام واحد. فكلها تؤكّد بأن الخلاص ينبغي أن يُكتسَب، أي بالأعمال، وأن على الإنسان أن يفعل شيئاً لينال رضا الله. غير أن إنجيل الرب يسوع، بمفهومه الثوروي عن الخلاص بالإيمان فقط، يقف وحده متسامياً ومتفرداً عن جميع مثل تلك الأنظمة "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ. لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أف 2:8-10). ففي الإنجيل لا تُنتِج "الأعمال" خلاصاً لكنها تَنتُج **عن** الخلاص.

ثم إنّ خطة الله للخلاص مناسبة لأنها **(2) شاملة في دعواها** (3:23). "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ". توجد حاجة شاملة لهذا النوع من الخلاص الذي يبشّر به بولس لأن كل الناس خطاة. ويصف بولس الخطيئة بأنها الإعواز لمجد الله. هي الإخفاق في الإيفاء بالمقاييس الإلهية.

مضى رجلان إلى مكتب توظيف في لندن للالتحاق بكتيبة الحراس. وكان الحد الأدنى المطلوب في طول قامة الحارس مقداره 180 سنتيمتراً. كان أحد الرجلين أطول قامة من الآخر، ولكن عندما تم قياس طول قامتيهما بشكلٍ رسميّ تبين أن كليهما غير مؤهلين. فالرجل الأقصر كان طوله 168 سنتيمتراً فقط وبذلك لم يكن يصلح للوظيفة لشدة قصره؛ أما رفيقه فكان مقياس طوله 179 سنتيمتراً، ومع أنه حاول أن يمدّد نفسه بقدر ما يستطيع لكنه لم يفِ بالمطلوب ولم تُجْدِه تضرعاته، أو كون أبيه حارساً، ولا وعْدُه بأن يكون جندياً صالحاً وأنه قد سبق فاستظهر كل التدريبات والأنظمة العسكرية غيبا. كان أقصر من المقياس المطلوب.

الخطيئة هي القصور عن الإيفاء بمقياس الله. بعض الناس يقصِّرون جدا عن الإيفاء بمقاييس الله. ومن الواضح أنهم غير مناسبين لملكوت السموات، ومنهم آخرون يبدون أخلاقيين في أعين سواهم، ومستقيمين ومخلصين، ووجدانيّين بحسب المقاييس البشرية. ويلوح أن لديهم فرصة جيدة لكسب رضا الله، ولكنهم هنا لا يقاسون بالمعايير البشرية إنما بمعايير الله؛ وعندما يقاسون بمعايير كماله كما تجسدت في الرب يسوع فإنهم حقا "أعوزهم مجد الله." لهذا السبب فإن الخطة التي وضعها الله هي الخطة المناسبة جداً. فهي خطة موضوعة من أجل الخطاة، "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ."

ثانياً. خطة الله للخلاص بارة (3:24-26)

يأخذ بولس الآن في تبيان كيف يُمكِن لله أن، "يَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ" (الآية 26). لأنه بينما تنازل الله إلى الأعماق التي بلغ إليها الإنسان في سقوطه، إلا أنه عند منحه للإنسان خلاصاً مجانياً، لم يساوم على أصالة قداسته وعدالته وبره بأي شكل من الأشكال. إن خطة الله بارة لسببين؛ فهي تأخذ بعين الاعتبار:

أ. حالة الإنسان المدمَّرة (3:24-26أ)

إن الحَلَّ الذي يعرضه مذهب "العالم المسيحيّ" لمشكلة الخطيئة والموت هو كمن يضع رأسه في الرمال مؤكداً لنا بغباءٍ على عدم وجودهما، وأنهما نتيجة لـ "خطأ الذهن الفاني." ولا يشارك الكتاب المقدّس في مثل ذلك الحمق. إن الخطيئة والمرض هما حقيقتان مخيفتان ولا يصح لعلم الميتافيزيقيا أن يتجاهلهما بسهولة. وخطة الله للخلاص لا تتغاضى عن حالة الإنسان الضائعة، وإنما تأخذها كلياً بعين الاعتبار.

وبسبب حالة الإنسان المتدهورة فإن الخلاص مبنيّ على (1) **مبدأ رائع**. فينبغي أن نكون "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ" (الآية 24أ). لاحظ الكلمات "متبرّرين" و"مجاناً" و"نعمته"، لأنها تلخّص المبدأ الذي يتلاقى الله بحسبه مع الإنسان المدمَّر ويسد كل ما لديه من احتياج.

"التبرير هنا هو تبرئة الله، بصفته قاضياً، للخاطئ المؤمن من الذنب شرعياً ورسمياً، والتصريح بأنه أصبح باراً في عينيه. ويرد الفعل في صيغة المضارع المستمرّ وبالتالي فإنه يشير إلى عملية تبرير مستمرة تظل تُتابع أولئك الذين يؤمنون والمتبرّرون.

هناك كل الفرق بين كونك مغفورا له وبين كونك متبررا. افترض أن امرأة تراكم عليها دين لمتجر فرعيّ تابع لشركة كبيرة، يفوق بكثير كل ما لديها من إمكانية لتسديده. فإذا قرّر المتجر بعد الاستماع إلى قضيتها إلغاء دينها فهذا هو **الغفران**. وفي هذه الحالة لن تعود المرأة مسؤولة عن دفع الدين، ولكنها سيظل دائماً يخالجها شعور شخصيٌّ من الانزعاج بسبب الصفقة بكاملها. وأما من ناحية ثانية، إذا قرّرت الدائرة القانونية لتلك الشركة الإصرار عليها بالدفع فهذا هو العدل. ولكن لنفترض أن هذه المرأة تزوجت في أثناء انتظارها للمحاكمة من أجل حسابها المعلّق، الابنَ الغنيّ لمالك المتجر الذي تحمّل شخصياً مسؤولية دفع الحساب كاملاً، عندئذ لن تبقى هناك قضية مرفوعة ضدها فيما بعد، وفي حالة وصول قضيتها إلى المحكمة، وهو أمر غير مرجّح، ففي وسعها أن تطالب ببراءتها من كل التهم على أساس أن ديونها قد دفعها زوجها كاملة. وستقول المحكمة أنها محقة في مطالبتها بالبراءة وتُغلَق قضيّتها.

إذا سعى إنسان للحصول على الغفران عليه أن يقرّ "بالذنب" ويطلب الرحمة، ولكن إذا التمس التبرير فينبغي أن يترافع أمام القضاء معلنا انه "ليس مذنبا" ويبيّن أن الجانب المدعي ليس لديه أية قضية ضده على الإطلاق. وبالطبع، إن كلاً من الغفران والتبرير يدخلان في عمل خلاصنا إلا أن الحقيقة العظمى للتبرير هي ما يبيّنه بولس في رسالة رومية. فقد أخلى الرب يسوع كل ما علينا من التزامات حتى إنه لم يعد هناك أساس قانونيّ نُتّهم به فيما بعد. علاوةً على ذلك، فقد أعطانا المسيح مكانةً كاملة لنقف أمام الله لنكون بذلك مقبولين كليا في عينيه.

نحن نتبرّر "مجاناً". هذا عمل لا يقوم به إلا الله! فهو لا يحاسبنا على أي شيءلأنه سخيّ وكريم في تعاملاته مع الناس. ويهب كل شيء مجاناً إن كان في أوقات الزرع والحصاد، أو الشمس الدافئة والمطر المنعش الخفيف. ولا يحاسبنا الله لقاء خلاصنا.

يُحكى أن أرملة كانت ابنتها الوحيدة مريضة جداً وبحاجة إلى فاكهة طازجة. وذلك في أثناء فصل الشتاء؛ وكان العنب والبرتقال غاليين جداً والأرملة فقيرة. وفي ما كانت المرأة تسير في شوارع المدينة وجدت نفسها تقف خارج أسوار القصر الملكيّ. نظرت من البوّابة فرأت البيت الزجاجي الملكي الخاص بزراعة الفواكه وفيه عناقيد العنب الشهيّة والمغرية جداً. وبينما هي تحدّق فيها بكآبة، مرّتْ بها الأميرة التي تبيّنت الوضع بنظرة واحدة فقطفت بيديها للأرملة سلّة رائعة من الفاكهة. فتناولت الأرملة بعض النقود

النحاسية التي كانت في حقيبتها بيدين مرتجفتين لتقدمها لها، ولكنها تلقّت عوضاً عن ذلك جواباً نبيلاً، "هذا العنب ليس للبيع يا سيدة. والدي ملكٌ وهو أغنى من أن يبيع، علاوةً على ذلك فأنت أفقر من أن تشتري. يمكنك أن تأخذي هذا العنب مجاناً أو لا تأخذيه البتة." هذا هو الأمر! أبونا السماوي ملك. إنه لا يبيع، لكنه يقدّم الخلاص مجاناً وإلا فلا يقدّمه على الإطلاق.

ثم هناك تلك الكلمة "نعمة." النعمة هي فضل لا يُستَحقُّ. إنها تلقّي شيء لا نستحقه. كلّ ما نستحقه من الله هو العقاب الأبديّ على عصياننا الرهيب؛ ولكن الله يقدّم لنا عوضاً عن ذلك خلاصاً من خلال ابنه على حساب الجلجثة اللامحدود. لذلك نحن "متبررون مجاناً بنعمته". حقا إن خطة الله البارة للخلاص قائمة على مبدأ رائع.

وهي أيضاً مبنية على (2) **ثمن فدائيّ**، لأن بولس يستطردّ في حديثه عن "الْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ" (الآيتان 24ب-25أ). ضع علامة واضحة تحت كلمات الإنجيل العظيمة هذه، "فداء" و"كفّارة" و"إيمان" و"دم."

نحن **مفديّون**. إن الكلمة المستخدمة للفداء هنا توحي بما هو أكثر من مجرّد شراء من سوق الرقيق؛ هي تعني الإنقاذ والتحرير. فأن تصبح مشترى فهذا شيء، ولكن أن تغدو حراً نتيجة الشراء فهذا شيء آخر وأفضل بكثير.

تعني كلمة **كفّارة** في استخدامها العاديّ استرضاء؛ ولكن هذه ليست فكرة كتابية. فالكلمة الكتابية تعني التكفير بواسطة الذبيحة. فقد تمّ استرضاء الله بواسطة عمل المسيح على الجلجثة؛ أي أن قداسته صارت مرضية كلياً بحيث أصبح في مقدور الله الآن أن ينظر إلى الناس ثانية بعين الرضا.

والوسيلة التي يمكننا بها الحصول على فوائد هذا الفداء وهذه الكفّارة هي **الإيمان**. يقول دبليو. إي. ڤاين: "إن الفاصلتين الواقعتين قبل عبارة ‘بالإيمان’ وبعدها [في ترجمة ASV هما هامّتان. لم يرد القول أبداً أن الإيمان هو بالدم... ولكن عبارة ‘بدمه’ تُعرب عن وسيلة الكفارة." ومع شدة أهمية الدم لخلاصنا إلا أننا لا نثق به ولكن في المسيح، الفادي الحيّ أي الإيمان بشخص؛ فالثقة بالمسيح هو ما يجعل الإيمان فعالا.

هنالك على الغالب خطئان يرتكبان بصدد الإيمان. يخطئ كثيرون بشأن مقدار الإيمان الذي لديهم. والشعور بأنه ليس كافياً يمنعهم أبداً من الدخول بفرح إلى خلاصهم. مثل هؤلاء الناس يسعون لأن يكون لديهم الإيمان بإيمانهم عوضاً عن أن يكون لهم إيمان بالرب يسوع المسيح. والخطأ الثاني مشابه للأول ومتعلق بمن هو "موضوع" الإيمان. فالإيمان سلعة شائعة بما فيه الكفاية. وفي الحقيقة هو قاسم مشترك للحياة، شيء نمتلكه جميعنا وبدونه لا يمكننا أن نعيش يوماً واحداً. فنحن نمارس الإيمان يومياً بلا وعيٍ منا وبألف طريقة.

فنحن نتقبّل كلام الناس كما هو؛ ونصدّق ما نقرأه في الصحف والنشرات الدورية والكتب؛ ونودع أموالنا في البنك بثقة، ونسلم ذواتنا لسائق الحافلة، وللطبيب، ولمشغّل المصعد، وللحلاق؛ ونأكل ما وضع أمامنا من غير استرابة، ونبتلع حبوب الأدوية بدون سؤال. ففي هذه كلها وغيرها من الحالات الأخرى التي لا تعدّ، نمارس الإيمان كجزء طبيعيّ ومتكامل من حياتنا. ولكن مثل هذا الإيمان ليس إيماناً مخلّصاً. يصبح الإيمان مخلّصاً عندما يوضع في الرب يسوع المسيح. يعلن الله بشكل منطقيّ، "إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ شَهَادَةُ اللهِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا عَنِ ابْنِهِ. مَنْ يُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ فَعِنْدَهُ الشَّهَادَةُ فِي نَفْسِهِ. مَنْ لاَ يُصَدِّقُ اللهَ، فَقَدْ جَعَلَهُ كَاذِبًا، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي قَدْ شَهِدَ بِهَا اللهُ عَنِ ابْنِهِ. وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ." (1 يوحنا 5:9-11).

يستطيع الله أن يقدّم لنا الفداء بالإيمان ويمكننا استرضاؤه بسبب سفك **دم** المسيح. الخلاص مجانيّ ولكنه ليس رخيصاً. لقد كلّف الله صلب ابنه الوحيد والمحبوب جدا، كما كلّف الرب يسوع موت العار والألم على الصليب. أعلن الله أن الدم الذي سُفِك من أجلنا هو "دم ثمين" (ا بطرس 1:18-19)، وهو كذلك. فكلفة الجلجثة تفوق كل حساب بشريّ؛ وقيمة دم يسوع المسفوك تفوق كل إدراكنا. ولا عجب أن يتكلّم الله بقوةٍ عن العقاب الذي ينتظر من يستخف بهذا الدم. "مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ

رَأْفَةٍ. فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟" (عب 10:28-29).

إن موضوع درس الفداء العظيم بدم المسيح في العهد القديم قد أشير إليه طبعا بالفصح الذي تم تأسيسه في ليلة الخروج من مصر (خروج 12) إذ كان ينبغي أن يُرَشّ دم خروف الفصح المذبوح على قائمتي باب كل بيت وعلى عتبته العليا؛ ولم يؤذن برشّ الدم على عتبة الباب السفلى أوما يمتد أمامها لسبب بسيط هو لئلا يداس على الدم.

فهذا الخلاص إذاً الذي يتناسب بصورة بارزة مع حالة الإنسان المدمّرة مبني على مبدأ رائع، وعلى ثمن فدائيّ. وهو أيضاً مؤسّس على (3) **إعلان ملكيّ**. ويعبّر بولس عن ذلك بالشكل التالي: " لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ" (الآيتان 25ب-26أ).

الصليب هو إعلانٌ علنيّ بأن الله بارّ في الطريقة التي يتعامل فيها مع مشكلة الخطيئة. لقد بدا وكأن الله كان يتعامل مع الخطيئة في حقبة العهد القديم بخفةٍ وسطحية. لم يكن في وسع الذبائح الحيوانية أن تزيل الخطيئة، وتراءى في بعض الأحيان وكأن الله تغاضى عن الخطيئة كلياً (مثلما يوردها بولس في أعمال 30:17)؛ ولكن الجلجثة تعلن أن هذا لم يكن صحيحاً. فنظام ذبائح العهد القديم بجملته يعلن أن الله قدوس، وأن الجلجثة تعلن كيف تعامل الله القدوس ببرّ مع الخطيئة. فالإعلان الملكيّ إذاً يصرح أن الله وجد طريقة يكون فيها عادلاً بينما يبرّر المؤمن من خلال العمل ذاته؛ وهو موضوع بولس التالي. فالخلاص لا يستوفي حاجة الإنسان المدمَّر فحسب بل يأخذ أيضا بعين الاعتبار:

ب. طبيعة الله البارة (3:26ب)

"لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ." لا يتغاضى الله عن الخطيئة، ولكنه يرغمها على الظهور في العلن حيث يتعامل معها بطريقة تشرّف طبيعته البارة.

في الإمكان الإشارة إلى تقدميتن عظيمتين معاً من العهد القديم لتوضيح العملية التي تحدث عندما يَقبل الخاطئ المسيح مخلصاً توضيحاً كاملاً. كان هناك ذبيحة الخطيئة وذبيحة المحرقة. ولحد ما، كانت المراسيم متشابهة في إجراءات كلا الذبيحتين إذ في كلا الحالتين كان على مقدّم الذبيحة أن يأتي بخروفه ويضع يديه عليه ليتّحد مع الذبيحة، إلا أن المعنى النموذجي للذبيحتين يختلف اختلافاً كبيراً. ففي ذبيحة الخطيئة تنتقل كل **قذارة الخاطئ** إلى **البديل**؛ أما في ذبيحة المحرقة فكل **فضائل البديل** تنتقل إلى **الخاطئ**. وربما هذا ما كان في فكر بولس عندما كتب ألى الكورنثيّين مذكّرا إياهم بعظم أهمية الجلجثة، "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ." (2 كور 21:5). فصليب الجلجثة يمكّن الله أن يكون العادل والمبرِّر كليهما.

ومع ذلك، فإن التبرير هو فقط "لمن يؤمن بيسوع"؛ وهو أمر لاحاجة للمبالغة في التشديد عليه. فالله يبرِّر فقط الذين يؤمنون بيسوع. كلُّ إنسان يؤمن بشيء ما أو شخص ما. وبعض الناس يدخرون لأنفسهم مخزوناً من الأشياء التي يؤمنون فيها بشكل متعمد ونظاميّ؛ وآخرونً يفعلون ذلك بصورة عفوية، وحتى بدون انتباه. ويحذّر إف. دبليو بورهام من خطر اختيار بنود إيماننا على المبدأ نفسه الذي نختار به قطع مفروشاتنا. هناك احتمال أن نجمع معا جملة من الاستنتاجات المتفق عليها، وعقيدة مريحة نوعاً ما، ومجموعة صغيرة مرتبة من العقائد المتجانسة، ومن ثمّ نسترخي ونهنّئ أنفسنا على ما لدينا من تمييز وحسن المذاق.[4] هناك خطر في الإيمان بشيء لمجرّد كونه مناسباً. والإيمان الوحيد الذي يأخذه الله بعين الاعتبار هو الإيمان بالرب يسوع المسيح.

ثالثاً، خطة الله للخلاص معقولة (3: 27-31)

هي معقولة لأنها تطرح كل شيء على إلهٍ لا يمكن أن يفشل ويُخفض جميع الناس ليجعلهم على مستوى متساوٍ من الاتكال عليه.

أ. إنها تلاشي الافتخارٍ الإنسانيّ (3: 27-28)

لنفرض أن الله يأخذ الناس إلى السماء بناء على جدارتهم البشرية. غير أن الطبيعة الإنسانية، بما هي عليه من جبلة، سرعان ما تغري الشخص المخلَّص على التباهي في السماء. فقد يشرع أحدهم بعرض بعض أعماله العظيمة، أو بعض تضحياته الرائعة التي قام بها. أو ينزع آخر نحو الإصرار على سرد لائحة مناقبه على الآخرين. إن التباهي هو التعبير الشفوي الظاهري للكبرياء؛ والكبرياء هي الخطيئة الأصلية، خطيئة الشيطان التي ارتكبها في الماضي البعيد (إشعياء 14: 12-17؛ حزقيال 28: 12-19). إن عودة ظهور الكبرياء، بصورة التفاخر، في السماء تستدعي من الله أن يقوم بعمل مماثل لما اجترحه سابقاً وهو طرح المفتخر من السماء. لقد استأصل الله مثل هذا الاحتمال لأنه سوَّى الكبرياء بالتراب واستنكر إمكانية الخلاص بالأعمال.

لهذا يكتب بولس، "فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الْأَعْمَالِ؟ كَلَّا. بَلْ بِنَامُوسِ الْإِيْمَانِ. إِذًا، نَحْسِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيْمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رومية 3: 27-28). فلا عجب أن يرنم القديسون على مدى قرن:

إنني أعتمد على جدارته
ولا أعرف أية جدارة أخرى
ولا حتى حيث يقيم المجد
في أرض عمانوئيل

ب. تلاشي كل تحيّزٍ إنسانيٍّ (3: 29-30)

ليست هناك أية أمة، أو شعب، أو كنيسة، أو طائفة لها حق احتكار الله. يشغل اليهود، بالطبع، مكانة فريدة بفضل مواعيد الله الخاصة لإبراهيم وداود ؛ ولكن من الخطأ الاعتقاد أن الله يحتفظ بمحبته لأمة معينة فقط. يكشف ج. ب. فليبس الفكرة الخاطئة التي يعتنقها بعض الناس بأن الله متحيز لهم ولنوعية معتقداتهم بصورة خاصة. في غضون مناقشته لشكوك االفرد، غير المنتمي إلى كنيسة، بصدد مختلف الطوائف يقول، " إن ما علق من (شوكة) في حلقه بشأن المسيحية هو ليس مجرد اختلافهم في الطوائف ولكن روح التعصب الكنسي الذي يبدو سائدا فيهم جميعاً. ويلوح انهم قد اقتنصوا، وروَّضوا، ودرَّبوا 'شيئاً' أكبر بكثير مما يمكن أن يعتقلوه بالقوة في صناديق صغيرة من صنع الإنسان يضعون عليها رقعاً تصنيفية أنيقة...'إذ' بدا أن الكنيسة تقول له، 'إذا قفزت من خلال طوقنا المعين أو وقَّعت على سطرنا المعين المنقط عندئذ نحن نعرِّفك على الله. ولكن إن لم تفعل ذلك، فعندئذ لن يكون هناك لك إله. ويتراءى له هذا (الكلام) لا معنى له، مفعماً بالسخافة المتعجرفة المقيتة".

يعبر بولس عن ذلك بهذه الطريقة: "أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلْأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى لِلْأُمَمِ أَيْضًا. لِأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بِالْإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالْإِيمَانِ (رومية: 29-30).

ج. تلاشي كلَّ افتراضٍ إنسانيّ (3: 31)

هناك من يشعر بأن عقيدة التبرير بالإيمان وحدها، تضعف بطريقة ما، كلاً من سلطة الناموس والسلطان الإلهي أيضاً. يستهين بولس بالفكرة، "أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثْبِتُ النَّامُوسَ (عدد 31). وكما يلمح سكوفيلد، "إن الخاطىء يثبت الناموس باستخدامه السليم له، ويوقره باعترافه بذنبه، وبإقراره بأنه طبقا (للناموس) هو مدان بعدل. ولكن المسيح، بالنيابة عن الخاطىء، يثبت الناموس بتحمُّل عقابه، الموت". إن الإنسان الذي يتبين بحق جدية خطيئته، ومغزى فدائه لن يتطاول على نعمة الله. فهو يدرك أنه مخلَّص من الخطيئة، ولم يخْلص لكي يخطىء- وهو الأمر الذي سيعالجه بولس مطولاً في موضع لاحق من رسالته .

وهكذا إذا، فإن خلاص الله المجاني مبني على خطة تم إعلانها، وهي خطة عادلة ومعقولة تستدعي قبولا مبهجا، فوريا، وغير مشروط.

الخلاص بالإيمان

25-1:4

أولا، قضية المحاولة لأجل الخلاص (4: 1-15)

أ. الناس الذين يعتمدون على برِّهم الذاتي (4:1-8)

هذه الممارسة مفنَّدة بـ:

1. قضية إبراهيم- مؤسس عائلة الجنس العبراني (4: 1-5)

أ. الاحتكام إلى قضية إبراهيم (4: 1-3)

ب. تطبيق قضية إبراهيم

2. قضية داود- مؤسّس العائلة العبرانية الملكية (4: 6-8)

أ. الخلاص ممنوح مجاناً (4: 6)

ب. إبعاد الخطية إلى الأبد (4: 7-8)

ب. . الناس الذين يعتمدون على تديُّنهم الذاتي (4: 9-15)

1. اتكالهم على شعائر الدين (4: 9-12)

أ. لاحظ عندما تسلم إبراهيم الشعيرة (4: 9-10)

ب. لاحظ لماذا أعطي إبراهيم الشعيرة (4: 11-12)

2 . اتكالهم على نواميس الدين (4: 13-15)

أ. وعد الرب يخلص (4: 13)

ب. وصايا الناموس تقتل (4: 14-15)

ثانيا، قضية الاتكال من أجل الخلاص (4: 16-25)

أ. مبدأ الإيمان مشروح لنا بإسهاب (4: 16)

1. الإيمان يجعلنا نحظى برضا الرب

2. الإيمان يأتي بنا إلى عائلة الله

ب. تفسير مبدأ الإيمان لنا (4: 17-22)

1. كيف تسلم إبراهيم كلمة الله (4: 17-18)

2. كيف آمن إبراهيم بكلمة الله (4: 19-22)

ج. اختبارنا لمبدأ الإيمان (4: 23-25)

1. من أجل الغرض نفسه (4: 23-24أ)

2. بالطريقة نفسها (4: 24ب)

3. على المبدأ نفسه (4: 25)

رومية 4 هو الأصحاح الكتابي العظيم الذي وحده يدور على موضوع الخلاص بالإيمان. كثيرون يدَّعون أنهم يعتقدون بالخلاص بالإيمان، ولكنهم لا يقتصرون على الإيمان **وحده.** إن لفظة "وحده" هي الحد الفاصل ما بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية، وهي أيضاً لفظة شعار الحركة الإصلاحية. فمع ان الكاثوليكي مثلاً، يؤمن بالخلاص بالإيمان، فإنه لا يقتصر عليه **وحده**. إنه يؤمن بقيمة دم المسيح ولكنه لا يقتصر على قيمة الدم **وحدها.** هو يتقبَّل حقيقة أن المسيح هو **الوسيط** بين الله والناس ولكن لا تقتصر الوساطة عليه **وحده.** هو يقرُّ بسلطة الكتاب المقدس، ولكن السلطة لا تقتصر عليه **وحده**. يوضح بولس في رومية 4 أن الخلاص هو بالإيمان وحده بمعزل عن عمل الإنسان وجدارته.

أولا، قضية المحاولة لأجل الخلاص (4: 1-15)

قبل أن يأخذ بولس في بحث مضاعفات الخلاص بالإيمان وحده، فإنه يعالج كل موضوع الأعمال كوسيلة للخلاص. وهو يشير إلى عدم كتابية مثل هذه الفكرة بالإيماء إلى شخصيتين كتابيتين هما إبراهيم وداود، وبمناقشة الفكرة الخاطئة الداعية إلى اتكال المرء على برِّه الذاتي وتديُّنه.

أ. الناس الذين يتكلون على برِّهم الذاتي (4: 1-8)

إن أحد أعز الأخطاء المقترفة هي الظن أن لدى الإنسان بعض الشرارة الصالحة التي تحتاج فقط إلى لفحة هواء كي تضرمها. ولكي يدحض بولس هذه الفكرة، يلجأ إلى قضية إبراهيم، أعظم آباء العهد القديم وأحد أعظم قديسيه، ليبيّن أنه لا يمكن لأي إنسان أن يحظى بالتمجيد عندما يتعلق الأمر بالخلاص؛ ويستعين أيضا بحياة داود أعظم ملوك العهد القديم وأشهر خطاته ليُظهِر أنه لا يوجد أحد مستثنى من الحاجة إلى الخلاص.

يبدأ بولس (1) **بقضية إبراهيم**، مؤسس عائلة الجنس العبراني (4: 1-5). إن كان هناك رجل له مكانة مقدسة في تفكير رفاقه، فهذا الرجل هو إبراهيم؛ فكان من الملائم أن يختاره بولس بصورة خاصة، ليكون كمثاله التوضيحي الأول، لأنه إن لم يكن في وسع إبراهيم أن يخلص بالأعمال فلا أحد آخر يستطيع أن يفعل ذلك. لاحظ **احتكامه** إلى قضية إبراهيم (4: 1-3). "فَمَاذَا نَقُولُ؟ إِنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وُجِدَ حسَبَ الْجَسَدِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالْأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ. لِأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ: فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا" (الآيتان 1-2). وبكلمات أخرى، قد تحظى أعمال الإنسان باستحسان الآخرين ولكن ليس برضا الله أبداً لأن مستويات الله أعلى وأقدس من أي شيء يدركه الإنسان. لم يتكل إبراهيم على جدارته. على أية حال، كان إبراهيم وثنياً عابداً للأصنام عندما دعاه الله من أُور الكلدانيين.

إن عدم الكمال هو ما يميز كل أعمال الإنسان، لا فرق في ذلك إن كانت أخلاقية أو روحية أو ذات طبيعة جسدية. أما الكمال فهو مزية كل أعمال الله. إن مثالا بسيطا يمكن أن يوضح ذلك. قارن طرف أحدِّ موسى يمكن للإنسان أن يشحذه بوخزه حُمَّة نحلة أو سطح أنعم ورق تجليد بنسيج ورقة شجرة. ضع ما صنعه الإنسان تحت عدسة مكبِّر فتبدو على الفور نقائصه وعدم كماله. ولكن إن وضعنا عمل الله على نفس المحك تظهر أمجاد كمال الله المتعاظمة. ويحدث الشيء ذاته في مجال الأمور الأخلاقية والروحية. فعندما توضع هذه على محك الاختبار وتفحُّص عيني الله الكلي الرؤيا فإن جميع محاولات الإنسان تكون مفعمة بالأخطاء. ولكن كلما كثر تفحُّص عمل المسيح المكتمل تتكشَّف جمالاته المتزايدة. لذلك، قيل لنا إنه لم يكن لدى إبراهيم أي شيء يفتخر به أمام الله.

"لِأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا" (الآية 3). إن كان عدم الكمال هو مَعْلم الخلاص بالأعمال فإن الاحتساب هو ما يميز الخلاص بالإيمان. ترد لفظة "يعدُّ" ("يُحسب أو حُسب") في هذا الأصحاح في الترجمة العربية نحو إحدى عشرة مرة. يصور لنا سجل نظام الله للمحاسبة أن الخطيئة قد تم نقلها **من** حسابنا وحل محلها البر **فيه.**

لقد أقدم إبراهيم على الشيء الوحيد الذي في وسع الإنسان أن يقدم عليه من غير أن يقوم بأي عمل- صدَّق الله (تكوين 15: 6). يبين غلاطية 16:3 بوضوح أن إيمان إبراهيم بما أعلنه له الله بصدد النسل الموعود، كان في التحليل النهائي، إيماناً بالمسيح .

ثم يعقب ذلك الناحية التطبيقية من قضية إبراهيم. يسلّط بولس الضوء على هذه النقطة بهذه الكلمات: "أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ. وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ، وَلكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا." (الآيتان 4-5). تحت نظام الأعمال، كل شيء يعتمد على الخاطىء؛ أما بالنعمة فكل شيء يعتمد على المخلّص. تحت النظام الأول، يُجري الله محاكمة عادلة؛ ولكنه يهب تحت النعمة صفحاً مجانياً. إن عبارة "الذي يبرّر الفاجر" هي عبارة مفعمة كلياً بالأمل للذين يدركون أنه بمقدار ما تكون المحاكمة عادلة يكون حكمها مؤكداً. ومن المهم أن نلاحظ أن الله هو الذي يبرر الفاجر. إن تبرير الله يمتد إلى الفرد كخاطىء وليس كقديس. إن نموه كقديس بالنعمة وبمعرفة الله لا يزيد من ذلك التبرير، ولا ينقص من إخفاقاته.

ولكي يحظى المرء على الغفران ويطلب الرحمة في محكمة ما عليه أولاً أن يقرّ بذنبه. وأما الإنسان الذي يدعي "البراءة" فلا يمكنه إلا أن يرجو محاكمة عادلة، على خلاف الإنسان الذي يقرّ "بالذنب" إذ ليس في وسعه إلا أن يرجو الرحمة. فالله لا يأخذ الخطاة إلى السماء لجدارتهم بل بسبب نعمته.

ثمّ يتناول بولس (2) **قضيّة داود** مؤسّس العائلة العبرانية الملكية (4:6-8). وقضية داود تختلف كثيراً عن قضية إبراهيم. يقتبس بولس هنا من المزمور 32 الذي كتبه داود بعد انكشاف خطاياه السرية في العلن (2صمو 11-12). وفيما يتعلّق ببتشبع فقد اشتهى داود، وزنى، وقتل، كاسراً بذلك ثلاث وصايا من الوصايا العشر. إن إغراء داود لبتشبع وجريمته المموّهة التي أفضت إلى قتل أوريّا عرّضتاه لعقوبة الموت بناءً على قضيّتين؛ فوفقا لحكم الناموس الموسوي الحرفي الصارم لم يكن لديه أي رجاء. ولم يكن في نظام ذبائح العهد القديم أي ترتيب للخطيئة المتعمدة. لذلك صرخ داود في أحد مزامير التوبة التي نظمها إبان تلك الفترة الزمنية، "لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ." (مز 5:16-17). فقضيّة داود اليائسة كانت مطروحة كلياً أمام رحمة الله، إلا أن داود تعلّم حقيقتين حيويتين تتعلّقان بالخلاص، وهما الحقيقتان اللتان أوردهما في المزمور 32 واللتان اقتبسهما بولس ليزيد من توطيد دعائم حجّته.

وأول هاتين الحقيقتين هي أن **الخلاص ممنوح مجاناً**. "كما يقول دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ بِرًّا بِدُونِ أَعْمَال" (الآية 6). لقد اكتشف داود طريق السعادة الحقيقية والقداسة الحقيقية- بدون أعمال. ماذا كان في طوق داود أن يفعل ليردّ لبتشبع طهارتها ولأوريّا حياته؟ ماذا كان بمقدوره أن يفعل ليسترجعَ براءته الشخصية؟ لا شيء! كانت قضيته ميئوساً منها. ولكن من ثم، تدخّل الله وغفر خطيئة داود مجانا بفضل نعمته السائدة وحسبه باراً! أي بمجرّد الإيمان بوعد الله الصريح القائل ، "الرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ. لاَ تَمُوتُ" (2 صمو 12:13) وهذا كان كل ما يملكه داود, إلا أنه كان كافياً. فالخلاص يُمنَح مجاناً.

تعّلم داود أيضاً أن الخطيئة الملغاة تمَّحي إلى الأبد. "طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً" (الآيتان 7-8). اكتشف داود طريقة لا لغفران خطاياه فحسب بل لنسيانها أيضاً؛ ليست مغطاة فقط وإنما ملغاة أيضا.

منذ سنين عديدة اشترى أحد رجال الأعمال البريطانيين الأثرياء سيّارة رولز رويس، ولم يلبث أن أخذ سيّارته الجديدة إلى فرنسا. وعندما وصل إلى جنوب فرنسا تعطّلت سيارته فاتصل بأصحاب شركة رولز رويس في بريطانيا. أرسل له صاحبُ المصنع ميكانيكياً إلى فرنسا على متن طائرة، فقام بإصلاحها. وتوقّع هذا الثري أن تصله فاتورة كبيرة مقابل هذه الخدمة التي لم يسبق لها مثيل، ولكن بعد أن مرت الشهور ولم يتلقَّ رجل الأعمال أية فاتورة، كتب لشركة رولز رويس وطلب إليهم إرسال فاتورة الحساب. فوصله من الشركة ردٌّ لطيف في البريد العائد يؤكّد له أنه ليس لديهم أي سجل لأي عطل أصاب سيّارته! وبكلمات أخرى، لقد رفضت شركة رولز رويس الإقرار بوجود أي نقص في منتجاتها. وهذا بالضبط ما حدث مع داود بمعنى روحيّ. "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً." فعندما يغفر الله فهو يمحو الحساب.

يشدّد الدكتور مون بشكل درامي على هذه الحقيقة في فيلم "الزمن والأبدية". فبعد أن يبيّن الدكتور مون علاقات الزمن المتنوعة يختم بما يلي، "جميعنا نظرنا إلى فوق في ليلة صحو ورأينا النجوم المضيئة اللامعة. ولكن كم واحداً منا أدرك أننا لا نستطيع أن نرى النجوم كما هي الآن؟ ففي كل مرة ننظر إليها فإنما ننظر إلى الماضي، ونراها كما كانت عليه... ولكنّ هذا يصح وقوعه بصورة متبادلة. فإن كنت موجودا على إحدى النجوم، وعلى افتراض أن معك منظارا مناسبا، فسترى الأرض كما كانت عليه في وقت ما في الماضي. فمن نجمة سيريوس يمكنك أن ترى ما كنت تفعله قبل تسع سنوات، لأنه بالمعنى العلمي العميق الحق أنت ما زلت مستمراً في فعله.

نعم، إنك مازلت تفعل كل ما كنت تفعله. وشبح ماضيك ما برح يجوس الكون. ولكن تذكّر، أننا قد أشرنا إلى أن الله هو كليّ الوجود. وهذا يعني أنه، بالنسبة لله، كل خطيئة ارتكبتَها، وكل شر اقترفته، فأنت ما زلت تفعلهما وستبقى مستمراً في فعلهما إلى الأبد، بمعزل عن غفران الله. ولا يستطيع أحد أن يزيل الخطيئة إلا الله الكليّ الوجود والأبدي المسيطر على كل عوامل الزمن والمكان والأشياء. يقول الله: " أَنَا أَنَا هُوَ

الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا" (إش 25:43)." عندما يلغي الله الخطيئة، فإنه يمحوها من الوجود؛ فهي لا تُغفَر فحسب وإنما تنسى، إنها تتلاشى.

ب. **الناس الذين يعتمدون على تديّنهم الشخصيّ (4:9-15)**

غالبا ما يتّكئ الذين يحاولون الحصول على الخلاص بأنفسهم على عكّازتين اثنتين، الأولى هي ما يتخيّلونه من صلاحهم الذاتي، والثانية هي نوع من الالتزام الدينيّ. وقد استبعد بولس على الفور الدعامة الأولى الكاذبة، وها هو الآن يستبعد الثانية بإظهار حماقة الاعتماد إما على شعائر الدين أو على وصاياه. بالطبع، كان بولس مؤهلاً تماماً ليعالج خطأ اعتماد المرء على تدينه. واستطاع أن يقول عن أيامه قبل التجديد، "كنتُ أتقدّم في الديانة اليهوديّة على كثيرين من أترابي في جنسي" (غل 14:1). علاوة على ذلك، فإن الدين اليهوديّ كان "الدين" الوحيد (حتى ذلك الوقت) الذي حظي بالتصديق الإلهي.

ثم يبين بولس حماقة **(1) الثقة في شعائر الدين** (4:9-12). ويستشهد بإبراهيم في هذه المرحلة لإثبات عجز الشعائر الدينية عن منح الخلاص، ويركّز على أهمّ فريضة دينية عند اليهودي- وهي الختان. ويؤكّد على الفترة الزمنية التي أُعطِي إبراهيم فيها هذه الفريضة، وهذه أهم نقطة من نقاط حجّته. "أَفَهذَا التَّطْوِيبُ هُوَ عَلَى الْخِتَانِ فَقَطْ أَمْ عَلَى الْغُرْلَةِ أَيْضًا؟ لأَنَّنَا نَقُولُ: إِنَّهُ حُسِبَ لإِبْرَاهِيمَ الإِيمَانُ بِرًّا. فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوَهُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْغُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي الْخِتَانِ، بَلْ فِي الْغُرْلَةِ!" (الآيتان 9-10).

كان الختان بالطبع علامةً على العهد الإبراهيميّ (تك 17:7-14). وقد ظنّ العديد من المسيحيّين اليهود، في أيام بولس، أن الخلاصَ مستحيلٌ بمعزل عن ممارسة هذه الفريضة (أعمال 15:1-29؛ غل 2:1-14) وأرادوا من جميع الأمم المهتدين أن يختتنوا. وفي هذه الأيام، يميل الناس إلى الاعتقاد بأن الخلاص مستحيلٌ بمعزل عن ممارسة شعائر الكنيسة. ولكن حجة بولس هنا تقوّض وجهة النظر تلك. فقد نال إبراهيم التبرير قبل أربعة عشر عاماً من فرض الختان (تك 15:6؛ 17:10). ولم يكن لتلك الفريضة علاقة بفدائه على الإطلاق.

ثم يشير بولس بعد ذلك إلى الداعي لإعطاء إبراهيم هذه الفريضة، إنها لم تمنح البر، وإنما كانت مجرد تأكيد على البر الذي ناله إبراهيم من قبل. بالنسبة لليهودي، كان الختان بمثابة تعهّد بالجنسية، ولكنه كان أكثر من ذلك. يخبرنا بولس أن هناك سببين لإعطاء تلك الفريضة كما أعطيت لإبراهيم. لقد أعطيت، "لِيَكُونَ (إبراهيم) أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ، كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا الْبِرُّ. وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَ وَهُوَ فِي الْغُرْلَةِ." (الآيتان 11-12). [2] "قلَبَ بولس افتخارَ اليهود رأساً على عقب. فليس الأممي الذي عليه أن يقبل ختان اليهوديّ للخلاص؛ وإنما اليهوديّ هو الذي عليه أن يُقبِل إلى إيمان الأمميّ، كالإيمان الذي كان لإبراهيم بزمن طويل قبل أن يختتن."[3]

وبعد أن دلّل بولس على حماقة الثقة بشعائر الدين، يُبيّن بعد ذلك حماقة (2) **الثقة بقوانين الدين** (4:13-15). فالخاطئ يبذل جهدا لكي يعيش بحسب وصايا دينه محاوَلةً منه في شق طريقه إلى السماء. ويبيّن بولس أن القاعدة الوحيدة الصالحة للخلاص هي قاعدة الايمان. ويباين ما بين وعود الربّ وبين وصايا الناموس. فوعد الرب لم يكن بأي شكل من الأشكال متوقفاً على التزام إبراهيم بالناموس الموسوي. إذ كيف يمكن ذلك أن يكون والناموس لم يكن قد أعطي إلا بعد قرون من وفاة إبراهيم؟ " فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ، بَلْ بِبِرِّ الإِيمَانِ" (الآية 13). ومع أن العديد من المواعيد الواردة في الكتاب المقدس مشروطة إلا أن المواعيد التي أعطيت لإبراهيم ونسله لم تكن مشروطة، وما يضمنها هو أمانة الله وليس أمانة الإنسان (غل 3:17-18؛ رو 4:13-18).

إنّ الوصايا والمتطلبات التي فرضت على اليهود في الناموس الموسوي في وقتٍ لاحق لا تاثير لها بأيِّ شكلٍ من الأشكال على الوعد الأصلي غير المشروط. فالناموس الموسويّ يتعلّق بسلوك الأشخاص المفديّين الذين هم قد سبق لهم أن دخلوا في علاقة العهد مع الله، والذين استهدفوا ضمان صحتهم وسعادتهم وقداستهم كشعب الله. وقد سبق لبولس فأوضح أن النسل الحقيقي لإبراهيم هم الذين اقتفوا خطوات إبراهيم

وتمثَّلوا بإيمانه الذي مارسه (الآية 12). يمكننا هنا أن نستخلص تشابهاً متوازياً، فما يُطلَب عملياً من الرسل، ويستوجب على المسيحيّين اليوم فعله، لا يضيف شيئاً إلى خلاصنا، لكن له علاقة بسلامنا الروحيّ وازدهارنا وقوتنا كأولاد الله.

وبالتباين مع مواعيد الله هناك **وصايا الناموس**. يقدّم بولس ملاحظتين واقعيّتين جداً بشأنها. أولاً، إن الناموس يعطّل الإيمان. "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةً، فَقَدْ تَعَطَّلَ الإِيمَانُ وَبَطَلَ الْوَعْدُ" (الآية 14). وبعبارةٍ أخرى، لو كان في وسع اليهوديّ أن يرث مواعيد الله بفضل جهوده الشخصية، أي بحفظ وصايا الناموس الموسويّ، لصار الوعد الإلهي غير المشروط باطلاً. فالوعد إما أن يكون غير مشروطٍ أو لا؛ وليس هناك حل وسط. إذا كان الخلاص قائماً على أساس "المحاولة"، فإنه، إذا، لا يكون قائماًعلى أساس "الثقة". ولكن الخلاص هو بالإيمان وليس بالأعمال؛ وبالنعمة وليس بالناموس؛ وبالتصديق وليس بالسلوك، وهو أساسُ جميعِ ما يعطيه الله.

ولا يعطّل الناموس الإيمان فقط بل يؤكد وقوع الفشل أيضاً. "لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ." (الآية 15). فالنتيجة العملية لناموس موسى هي الإدانة لا الخلاص، لأنه أظهر كم هو مدى بُعد عجز الإنسان عن تلبية معايير الله. والنفس التي توقظها رعود الناموس عليها أن ترجع هاربة للجوء إلى الوعد، لا أن تحاول تسلُّق جوانب سيناء المهتزّة الملتهبة بالنيران.

وبذلك قوّض بولس دعائم الأرض من تحت أقدام أولئك الذين يصرّون على محاولة الحصول على الخلاص. فليس لديهم برٌ مقبول لدى الله، وممارساتهم الدينية غير مجدية لأنه لا الطقوس ولا حتى وصايا الدين تقدر أن تخلّص. فالخلاص بالإيمان وبالايمان وحده، كما أعلن بولس قبلاً، وسيبرهن عنه الآن بشكلٍ قاطع.

ثانياً.قضية الإيمان للخلاص (5:16-25)

يشدّد بولس الآن بصورة صارمة على حقيقة أن الخلاص بالإيمان وحده.

أ. مبدأ الإيمان مشروح بإسهاب (4:16)

أولاً وقبل كل شيء، (1) **الإيمان يقودنا إلى رضا الله**. وبما أن الجهد البشري يعجز عن فعل ذلك، فمن الجلي إن كنا لا بد أن نخلص، يتوجَّب وجود طريقة أخرى . وكما يقول بولس "لِهذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ" (الآية 16أ). وقد سبق فلاحظنا أن النعمة هي عطية لا استحقاقَ لنا فيها. إن الإيمان هو الذي يربطنا بتلك النعمة، وذلك فضلٌ من الله لا نستحقه. إن يد الإيمان هي التي تمتدّ نحو اللامرئي والتي تقبض عليها يد الله الممتدّة بلطف. وبالحقيقة يمكن أن يوصف الإيمان بأنه نوع من الحاسة السادسة. ووظيفته أن يجعل حقائق العالم الروحية ملموسة وواقعية. وبالإيمان يمكن أن نستفيد من عطايا الله وبركاته التي يغدقها علينا. وكما ينص عليها كاتب العبرانيين، "أَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى." (عب 11:1).

ثم **(2) الإيمان يجمعنا بعائلة الله**. يقول بولس، " لِهذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ؛ لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا." (الآية 16). جميع الذين يؤمنون، سواء كانوا يهوداً أم أمماً، هم أولاد إبراهيم روحيّاً وأفراد عائلة الله.

لا يوجد شيء غير مؤكد في الإيمان! والإنسان الذي يشكّ بخلاصه لا ينظر بعين الإيمان إلى عمل المسيح المكتمل؛ وإنما ينظر بشكٍّ إلى أعماله الشخصية- وحسنا ما يفعل. يقول بولس إنه بالإيمان ليكون الوعدُ **أكيدا**. هو يتّسم باليقين لأن الوعد إلهيّ، والإيمان يتمسّك بذلك.

هناك حادثة في حياة كلٍّ من إبراهيم ويعقوب توضح مدى الفارق في الشعور بالأمن عندما يكون الله هو الضامن وليس الإنسان. يسرد علينا سفر التكوين كيف اشترى إبراهيم قطعة عقارية لتكون مقبرة للعائلة. وبعد أن تمّت الصفقة، نقرأ ، "فَوَجَبَ الْحَقْلُ وَالْمَغَارَةُ الَّتِي فِيهِ لإِبْرَاهِيمَ مُلْكَ قَبْرٍ مِنْ عِنْدِ بَنِي حِثَّ" (تك 20:23). إلى أي حد كانت تلك الصفقة وضمانها موءكدين؟ اضطرّ يعقوب، حفيد إبراهيم، بعد عدة سنين إلى استعادة ملكية هذه الأرض نفسها بشرائها ثانية (تك 19:33؛ أع 16:7). إنّ خلاصنا لا يرتكز على وعد الإنسان غير المؤكد وإنما على عهد الله العظيم. إن الإيمان يبهج لأنه هو كذلك.

ب. تفسير مبدأ الإيمان (4:17-22)

بعد ذلك يشير بولس إلى الكيفية التي تسلّم فيها إبراهيم كلمة الله وآمن بها. لاحظ (1) كيف **تسلّم** إبراهيم كلمة الله. يرجع بولس إلى تكوين 17 وإعطاء العهد الإبراهيميّ. "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ، الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ. فَهُوَ عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ، لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قِيلَ:«هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ»."(الآيتان 17-18). ويلفت انتباهنا إلى فطنة إيمان إبراهيم. كان إيمانه في الله الذي يستطيع أن "يحيي" الموتى (يجعلهم أحياء). لقد اتكّل على قدرة الله الكلّية. يبيّن السياق في تكوين 15 أنّ الله لفت انتباه إبراهيم إلى نجوم السماء التي لا تُعدّ قبل التصريح بوعده "هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ". فليس هناك ما هو مستحيلٌ لدى الله الذي يستطيع أن يخلق مائة مليون كون من الأكوان. ولو نظر إبراهيم إلى جسده المائت لاستحال عليه أن يؤمن، لكنه نظر إلى النجوم التي فوق، ونظر إلى الله الذي يستطيع أن يخلق النجوم من عدمٍ، وأن يأمر الموت بأن يزدهر بالحياة. كان لإبراهيم إيمانٌ فطن.

ويزيد تكثُّف إيمان إبراهيم من انتباهنا، لأن إبراهيم، على الرغم من من يأسه من الرجاء آمن بالرجاء. فمن وجهة نظر بشرية كانت قضيته يائسة؛ ولكن قضيته انتزعت من يدي الإنسان كلياً. والآن بعد أن صارت في يدي الله، أصبح الآن في وسع الأمل أن يضيف مرة أخرى صبغته المجيدة من التفاؤل إلى نطاق حياة إبراهيم.

يكفي الآن ما رددناه عن الطريقة التي تسلّم فيها إبراهيم كلمة الله. ويسبر بولس الآن غور الموضوع ليبيّن لنا (2) كيف **آمن** إبراهيم بكلمة الله. لقد آمن بكلمة الله بطريقتين. أولاً، من خلال ممارسة الإيمان بوعد الله. "وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي الإِيمَانِ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا، إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ. وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ، بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا لِلهِ" (الآيتان 19-20). فقد وازن بين الاستحالة البشرية (لأن يصير أباً) وما بين الاستحالة الإلهية (في أن يُقْدِمَ الله على نقض كلمته) وقرّر أنه إن كان الله هو بالفعل الله فلا يستحيل عليه شيء. فلم يكن إيمانه قوياً لأنه مارس إيمانه بوعد الله فقط وإنما لأنه مارس إيمانه أيضاً بقوّة الله. "وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا. لِذلِكَ أَيْضاً: حُسِبَ لَهُ بِرًّا»." (الآيتان 21-22).

وهكذا تمَّ تفسير مبدأ الإيمان لنا. فهو ببساطة أخذ الله على محمل كلامه والسماح له بأن يكون الله فعلاً في جميع الأحوال.

ج. **اختبارنا لمبدأ الإيمان (4:23-25)**

يختتم بولس هذه المناقشة العظيمة بشأن الخلاص بالإيمان، بتطبيق الحقائق التي كان يتحدّث عنها. ويضفي على المبدأ آخر ما توصل إليه من بصيرة جاعلاً منه مبدأ عملياً وذا مغزى لنا اليوم، فمبدأ الخلاص

بالإيمان الذي كان فعّالاً جداً في حالة إبراهيم، علينا أن نختبره نحن أيضاً **(1) من أجل القصد نفسه**. "وَلكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحْدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ، بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا" (الآيتان 23-24أ). من أجلنا أيضاً! إن طريقة الله في خلاص إبراهيم وحسبانه باراً هي أيضاً طريقة الله في خلاصنا وحسباننا أبراراً. فقد وُضِع إبراهيم في حالةٍ لايجدي فيها إلا الإيمان، وهكذا نحن أيضاً.

وهذا المبدأ الذي اختبرناه هو ليس فقط من أجل الغرض نفسه ولكن أيضاً (2) لكي نمارسه **بالطريقة نفسها**. يقول بولس أنه بالنسبة لنا أيضاً "الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ." (الآية 24 ب). واجه إبراهيم استحالة تحوّل الموت إلى حياة، ولكنه مع ذلك آمن بعزمٍ بأنه حتى هذا الأمر لا يستحيل على الله. ونحن أيضاً تواجهنا أساساً "الاستحالة" ذاتها، لأنه ينبغي أن نؤمن بأن الله قد أقام يسوع من الموت (رومية 9:10). عندما كرز بولس بهذه العقيدة في أثينا، عاصمة العالم الثقافية والفكرية (أعمال 32:17) تعرّض للاستهزاء. وحتى في يومنا هذا، هناك العديد من الذين يرفضون الإيمان بأن الرب يسوع قام معجزياً من بين الأموات. ومع ذلك، فإن هذا من صميم العقيدة. نؤمن به، وبالمقابل يحسب الله لنا برّ المسيح (رومية 9:10).

وأخيراً، يصبح الخلاص نافعاً لنا (3) **وفقاً للمبدأ نفسه**. كان خلاص الله في أيام العهد القديم مشابهاً في جوهره لما كان عليه في أيام العهد الجديد. كان قائماً على مبدأ الإيمان نفسه. ويقول بولس عن الرب يسوع أنه "الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (الآية 25). لقد تخلص إبراهيم بالطريقة نفسها التي نخلص نحن بها. فقد تطلّع بالإيمان إلى المستقبل، إلى العمل الذي أكمله المسيح؛ لأن يسوع قال لليهود غير المؤمنين في أيامه، "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يوحنا 56:8). ونحن ننظر إلى الوراء بالإيمان إلى العمل الذي أكمله المسيح ونتمتّع بالخلاص نفسه الذي تمتّع به إبراهيم.

وهكذا تمّت المقارنة والمقابلة بين الطريقتين- الخلاص من خلال **المحاولة الشخصية**، والخلاص **بالإيمان**. وما وجده إبراهيم، وما وجده داود، وجده أيضاً بولس، وعلينا أن نجده نحن أيضاً. إن الخلاص بالإيمان وبالإيمان وحده.

الخلاص أبديّ
21-1:5

أولا. كيف رفعنا الله (5-1:5)

أ. من جهة مكانتنا (2-1:5)

1. لنا قبول (1:5)
2. لنا دخول (2:5)

ب. من جهة حالتنا (5-3:5)

1. كيف عبرنا عن النضج(3:5أ)
2. كيف نما النضج لدينا (3:5ب)
3. كيف تم تقرير النضج بالنسبة لنا (5:5ب)

ثانيا. كيف أحبّنا الله (11-6:5)

أ. الدليل على محبة الله (8-6:5)

1. هي محبة غير مشروطة (6:5)
2. هي محبة لا مثيل لها(8-7:5)

ب. خطة تدبير محبة الله (10-9:5)

1. أعطى المسيح حياته **من أجلنا** (5:9-10أ)
2. أعطى المسيح حياته **لنا** (5:10ب)

ج. ثمار محبة الله (5:11)

ثالثا. كيف أطلق الله سراحنا (5:12-21)

أ. مشكلة الخطيئة أمر مقرر (5:12-14)

1. وجود الخطيئة (5:12أ)
2. أجرة الخطيئة (5:12أ)
3. قوة الخطيئة (5:13-14)

ب. دراسة مشكلة الخطيئة (5:15-21)

1. حلّها هو في عطية الله (5:15-19)
2. حلّها هو في نعمة الله (5:20-21)

من حيث أن عقيدة ضمان المؤمن الأبدي لا تحظى بتحبيذ كثيرين من المؤمنين المخلصين، ومن حيث أنها تبدو موضوع رومية 5، أضحت هناك حاجة لوضع بعض الملاحظات التمهيدية العامة حول هذه المسألة. أولاً، لا يُنكِر أحدٌ بأنه يوجد عدد من النصوص التحذيرية في العهد الجديد التي تبدو أنها توحي باحتمال خسارة الخلاص. ونرى هذه المقاطع بارزة في الرسائل غير البولسية، ولا سيما في رسالة العبرانيين، وهي الرسالة المصاحبة في نواحٍ معينة لرسالة رومية. وأحد التفسيرات المقنعة لهذه المقاطع هو أنها لا تنطبق على المؤمنين الحقيقيّين وإنما على الذين يدّعون المسيحيّة كذباً. ويمكن مطالعة مناقشة كاملة عن هذه المقاطع في كتيّب لأيرونسايد يدور حول هذا الموضوع. هذه المقاطع غير واردة في رسالة رومية التي تدعى الإنجيل بحسب بولس.

ثانياً، يؤمن بعض معلمي الكتاب المقدس المخلصين أن هناك شيئاً كُنْهِيًّا خطيراً في عقيدة الضمان الأبدي. قل لشخص ما أنه مخلَّص وأنه لا يمكن أن يخسر خلاصه أبداً فينفتح الباب على مصراعيه لكل ترخيص لممارسة الحياة المنحلة.

وبما أن هذه النظرة هي أحد المواضيع الهامة في رومية 6 فإنه سيتم معالجتها بأكثر توسع في الفصل التالي.

ثالثاً، ينبغي إدراك وجود تمييز في الكتاب المقدس بين **مكانة** الإنسان كمسيحيّ **وحالته** كمسيحي. فمكانتنا كاملة وغير قابلة للتبديل، ومضمونة بكلمة الله، وبعمل المسيح، وبشهادة الروح القدس. أما حالتنا فهي غير كاملة ومتغيّرة، وتعتمد علينا إلى درجة كبيرة. إن مكانتنا أمام الله هي موضوع رومية 5؛ أما حالتنا فهي موضوع رومية، الأصحاحات 6-8.

أولاً. كيف رفعنا الله (5:1-5)

يبدأ بولس كلامه على الفور عن حقيقة امتلاكنا سلاماً مع الله من خلال عمل المسيح. والسلام يعني ببساطة، أن الحرب قد وضعت أوزارها، وأن أسلحة العصيان قد أُلقِيت جانباً، وأنّ شروط عفو الله قد قُبِلت.

أ. عرضٌ مسبق لمكانتنا (5:1-2)

هناك كلمتان تلخّصان تعليم بولس عن هاتين الآيتين- "قبول" و"دخول". ففي المقام الأول، لنا (1) **قبول**. "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (الآية 1). يقول بولس هنا ببساطة أنه نظراً لعمل المسيح الذي أتمّه والذي عرضه علينا لتوّه في (4:24-25) يمكننا أن نتأكّد تماماً من مكانتنا أمام الله. فالمؤمن مبرَّر. والكلمة في النص الأصلي هي بصيغة الماضي وهي "تشير إلى الوقت المحدّد الذي أصبح فيه كلّ مؤمن مبرراً أمام الله لدى ممارسة إيمانه." فهو في سلام مع الله، ولم يعد يجاهد لكي يكسب

خلاصه ويصارع بتمرد بفعل الإرادة الذاتية. إنه مبرَّر، ولديه شيء لا يمكن للعالم أن يمنحه له أو يسلبه منه- إنه السلام مع الله.

ومكانة المؤمن أمام الله توفر له ما هو أكثر من القبول؛ فهي توفر له **(2) وسيلة الدخول**. يقول بولس: "الَّذِي بِهِ أَيْضًا قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ، إِلَى هذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ، وَنَفْتَخِرُ عَلَى رَجَاءِ مَجْدِ اللهِ." (الآية 2). كلمة "الدخول" هنا تعني "الإحضار، التعريف ". والفكرة هنا في رومية 2:5 تشير بالأحرى إلى قبولنا لدى الله والتمتّع بنعمته كالذين تم تبريرهم."

وقف ذات مرة طفلٌ صغير خارج أبواب قصر باكنغهام في لندن. وأراد إن يتحدّث إلى الملك ولكن حارس البوابة صدّه بشدة. وفرك الطفل خدّه بيده المتّسخة ليمسح دمعة. وفي تلك اللحظة جاء رجل حسن الهندام وطلب من الغلام أن يشرح له مشكلته. وعندما سمع الرجل القصة ابتسم وقال، "هيا، أمسك بيدي يا ابني. أنا سأُدْخِلك. لا تأبهْ بهؤلاء الجنود." أخذ الصبي الصغير بتلك اليد الممتدّة له، ولدهشته رأى الجنود يتخذون موقف التأهب ويرفعون السلاح كلما اقترب صديقه الجديد منهم. وإذ انتهى من الاجتياز بالحراس اقتيد إلى قاعات مغطاة بالسجاد من خلال أبوابٍ عريضة مشرعة ماراً بحشدٍ متألق من الموظفين إلى أن وصل إلى عرش الملك. لقد أخذ بيد أمير ويلز، ابن الملك! وعن طريقه حظي بالدخول للمثول أمام الملك.

إن الحظوة بالقبول وإدراك ان الحرب قد انتهت، وأنّ الله لم يعد ينظر إلينا باستياءٍ وغضب، لأمر مجيد. فمن الأفضل كثيراً أن يكون لنا سبيل الدخول. والذين أمسكوا بيد ابن الملك المثقوبة لديهم بالفعل سبيل الدخول. يا لها من مكانة!

ب. عرض مسبق لحالتنا (5:3-5)

إن مكانتنا كاملة؛ وحالتنا آخذة في التقدم. هذا هو موضوع بولس في الآيات القليلة التالية. وصرخته هي "هيا نحو النضج!" ويبيّن **(1) كيف نقوم بإبداء النضج**. يقول "نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ" (الآية 3). فالصليب والتاج يسيران معاً؛ والحزن والمجد يمشيان يداً بيد، والتمجُّد في الضيقات علامةٌ حقيقية على النضج.

ولكن كيف يتم الحصول على مثل هذا النضج؟ يتابع بولس فيشرح **(2) كيف ينموّ النضج فينا**. هناك عملية ذوبان، وعملية تليين، وعملية قولبة (صياغة)، وعملية نضج. ويقول بولس، "عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي" (الآيات 3ب-5أ). ولم تكن هذه مجرد نظرية يردّدها بولس، فهو يعرف الكثير عن الضيقات وقدرتها على تنمية الأخلاق المسيحية في المؤمن عندما يتم تقبّلها بالروح السليمة. وحين يقتطع صفحة أو صفحتين من مذكراته فإنه يمكن أن يكتب، "مُكْتَئِبِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لكِنْ غَيْرَ مُتَضَايِقِينَ. مُتَحَيِّرِينَ، لكِنْ غَيْرَ يَائِسِينَ. مُضْطَهَدِينَ، لكِنْ غَيْرَ مَتْرُوكِينَ. مَطْرُوحِينَ، لكِنْ غَيْرَ هَالِكِينَ. حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا." (2 كور 4:8-10).

إن قوة الضيقات المنضجة تتضّح بشكل جيد في قصة أيّوب. نرى في سفر أيوب أن هذا الرجل البار قد تولته يدا الشيطان أولاً، ومن ثَمَّ أيدي الناس، وأخيراً صار رهين يدي الله. وقد لقي أيوب بين يدي الشيطان ضيقاً ولّد فيه الصبر. ثم تعرض صبره إلى امتحانٍ شديد عندما وقع في أيدي البشر، ولكنه من خلال ذلك كله اكتسب خبرة. فعلى سبيل المثال، كان من الأسهل بكثير على أيوب أن ينتصر على المآسي التي تلقّاها على يدي الشيطان من أن ينتصر على الانتقادات التي تلقاها من أصدقائه. وفي يد الله، خرج أيوب في النهاية

منتصراً ليصل إلى الرجاء الذي لا يُخزي. وأخيراً إن أيوب الذي نلتقيه في نهاية السفر هو أكثر صلاحاً من أيوب الذي نلتقيه في بدايته.

ثم يبين بولس **(3) كيفية تم تقرير النضج بالنسبة لنا**. "لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (الآية 5 ب). هنا يطالعنا أول ذكر للمحبة وأول إشارة رسمية للروح القدس في الرسالة. إن غرض الله هو إعطاء تأكيد الخلاص الكامل لكل مؤمن، ووكيله في ذلك هو روحه. وقَصْدُ الله أيضاً أن يصوغ كل من هو من خاصته ليكون مشابهاً لشخصه، ليبلغ بكل واحد إلى النضج الكامل. وفي سبيل هذا العمل العظيم أغدق ذات روحه على كل واحد. "وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (في 6:1). لا توجد أنصاف تدابير عند الله؛ ويوماً ما، ستكون حالتنا كاملة مثل مكانتنا.

ثانياً، كيف أحبّنا الله (5:6-11)

إنّ محبة الله هي التي تكفل ضمانتنا الأبدية. وتلك المحبة عينها التي خطّطت لخلاصنا في الأزل، والتي أسلمت الرب يسوع إلى موت الصليب، ستفتح أبواب المجد على مصاريعها لترحّب بنا في موطننا السماويّ.

أ. البرهان عن محبة الله (5:6-8)

إن برهان المحبة هو دائما في ذات عطائها. "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ" (يوحنا 16:3). "أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا" (أف 25:5). " الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي" (غل 20:2). ولا فرق في ذلك إن كان الكتاب المقدس يتحدث عن محبة الله **للعالم، وللكنيسة أو لي،** فإن مقياس تلك المحبة و تجسيدها هو نفسه دائماً؛ فعطية المسيح هي دائماً وأبدا البرهان عن محبة الله. ويبيّن بولس أنّ (1) **محبة الله غير مشروطة**. "لأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ." (الآية 6).

مات المسيح لأجل **الفجّار**. هناك قصيدة قديمة توضح ذلك. تتحدّث أبياتها عن شاب منح حبّه لامرأةٍ شريرة طالبته كبرهانٍ على حبه لها أن يحمل لها قلب والدته لكي تطعمه لكلبها. وأخذ الشابُ السكينَ، وذبح أمه ونزع قلبها. وبينما كان مسرعاً في طريق عودته إلى المرأة الشريرة تعثّر وسقط، وأفلت قلب والدته من قبضته. وفيما كان قلب الأم يتدحرج على الأرض صدر عنه صوت هادئ وضعيف متسائلاً، "هل أُصبْتَ يا ابني بأيّ أذى؟"

لقد مات المسيح لأجل الفجّار! إذا كان من الممكن تجسيد محبّة الأم على هذه الصورة، فما بالك بمحبة الله التي تجلّت في الجلجثة؟ كان في وسع مسامير روما الحديدية في يد المسيح المصلوب المثقوبة أن تصبح صواعق غضب. كان من الممكن أن يصبّ لعنته على عالمٍ مذنب، وأن يستدعي من خلف متاريس السماء اثني عشر جيشاً من جيوش السماء المتجندة بسيوفٍ مسلولة وملتهبة فتتقدّم نحو هرمجدون آنئذ وإلى ذات المكان. ولكن عوضاً عن ذلك ارتفع صوت المسيح الإنسان المحب هاتفاً، "يا أبتاه، اغفرْ لهم لأنهم لا يعملون ماذا يفعلون." لقد مات المسيح لأجل الفجّار، وهذا هو البرهانٌ عن محبة الله. إنها محبة غير مشروطة.

وعلاوة على ذلك، (2) **محبة الله لا مثيل لها**. "فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (الآيتان 7-8). ونحن بعد خطاة! قال يسوع: " لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (متى 13:9). "الْمَسِيح يَسُوع جَاءَ

إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ..." (1 تي 15:1). وذلك ليس لأننا نستحقّ العون والخلاص، فنحن لا نستحق شيئاً سوى غضب الله الملتهب وعقابه الرهيب. انظر إلى ما فعلته الخطيئة بهذا العالم الجميل الحلو الذي باركه الله في يوم الخلق (تك 31:1). لقد أثارت الخطيئة غضب الله ودنّست السماء والأرض على حدٍ سواء. كما أدخلت التمرّد والخراب إلى حيث ملك قبل متعالياً بسموّه. فالعالم مسكون بالشياطين، والمرض، والموت، وتنتشر فيه المقابر، والمستشفيات، والسجون، ومؤسسات الأمراض العقلية. لقد دمّرته الدناءة، والقذارة، والبؤس، والكراهية، والحرب، والمجاعة، والأوبئة، والآفات، والموت، والفساد- وكلها من نتائج الخطيئة.

والإنسان على انسجام وثيق العرى مع الخطيئة، فعندما أرسل الله ابنه ليكون مخلّصاً للبشر بصقوا في وجه يسوع، وحرثوا ظهره بالسوط، وصلبوه معرّى ومتوّجاً بالأشواك على خشبة، سخروا واستهزأوا به إبان آلامه إلى أن وارت الشمس وجهها المضرج بالاحمرار خجلاً عند الظهيرة، واهتزّت الأرض رعباً، وانشقّت صخور الصوان محتجّة، ومع ذلك كله، فإن الله عقد "الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ" (كو 20:1). وهذه بالتأكيد هي واحدة من العبارات المذهلة في كلمة الله. ويمكننا أن نفهمها لو أعلنت لنا أن الله قد خاض حرباً من أجل ذلك الدم الثمين المسفوك وذلك الصليب الملعون؛ بيد أن ما نقرأه هو أن الله عقد صلحاً بواسطة ذلك الدم عينه. إنّ محبة الله لا مثيل لها.

ب. تدبير عطاء محبة الله (5:9-10)

لقد وفرت محبة الله ما يلزم لخلاصنا. يخبرنا بولس كيف **(1) بذل المسيح حياته من أجلنا** (الآيتان 9-10). "فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ! لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ!" فنحن مبرّرون ومصالَحون في الوقت نفسه. لم يرد مرة واحدة أي ذكر في الكتاب أن على الله أن يقوم بالمصالحة، فالعداوة هي من جانبنا نحن فقط، ونحن الذين كنا بحاجةٍ إلى المصالحة مع الله، وليس الله معنا؛ إن ما وفره برّ الله ورحمته هو الفداء الذي جعل المصالحة ممكنة لأولئك الذين يقبلونه (الفداء)." ويقول بولس إننا "نخلص من الغضب". لقد بذل المسيح حياته من أجلنا. هللويا! كما يقول كاتب الترنيمة:

لن يطلبَ الله الأجرة مرتين،
الأولى من يد مخلّصي النازفة
ومن ثَمَّ منّي

لاحظ جيّداً عبارة " فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا" التي تتكرّر مراراً في هذا الفصل. إن عمل المسيح أنجز أكثر من استعادة ما أضاعه آدم. وتتضّح هذه الحقيقة بذبيحة الإثم المطلوبة في ناموس موسى. كان من الملزم شرعاً على المتعدّي لا أن يردّ فقط ما سبّبه من خسارة لضحيّته بل أن يضيف إليها أيضاً تعويضاً يعادل خُمسها. وهكذا يصبح الطرف المتضرّر رابحاً. وعمل المسيح في الجلجثة لم يردّ لله المجد اللامتناهي فقط وإنما كان أيضاً ربحاً للخاطئ الذي صار مؤمنا. كان ممكناً للإنسان أن يبقى في حالة البراءة في جنة عدن للأبد ويظل ابناً لآدم فقط، ولكن بفضل الجلجثة صرنا أولاد الله نتمتّع بعلاقة مع الله أقرب بكثير من تلك التي كان آدم يتمتّع بها.

لقد بذل المسيح حياته من أجلنا. ونحن "نتبرّر بدمه" و"نخلص به من الغضب." ونحن "قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ" ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك. يخبرنا بولس كيف أنّ **(2) المسيح يبذل حياته من أجلنا**. "وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ " (الآية 10ب). وبعبارة أخرى إذا كانت محبة الله قد امتدت إلينا **قبلاً** عندما كنا ما زلنا في خطايانا، فكم بالأحرى **الآن** عندما نرتبط حياتيا مع ابنه. فاتحادنا مع المسيح يضمن

خلاصاً مستمراً ووصولاً نهائياً إلى المجد. إن بذل المسيح حياته **من أجلنا** يخلصنا من **عقاب** الخطيئة، **ومن قوّتها**؛ و كما أنه في يوم ما يخلصنا من **وجودها** أيضاً.

ج. نتائج محبة الله (11:5)

كانت أولى ثمار الخطيئة في التجربة الإنسانية تفادي الله وتجنّب الشركة معه. أسرع آدم وحواء للاختباء لدى استماعهما النبرة الأولى لصوت الله بعد أن كانا قد أكلا من الثمرة المحرمة. وعلى العكس من ذلك، فإن أولى ثمار الخلاص هي النقيض تماماً: هي الابتهاج بالله. يقول بولس: " وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللهِ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ". يمكن للمرء أن يتصور عودة الابن الضال من البلاد البعيدة كابن مصالح ومستردٍّ مفعم بالبهجة بوالده. ولربما هتف، "انظروا إن كان هناك أي أبٍ نظير أبي!" كم بالأحرى ينبغي لنا أن نفتخر أكثر بالله!

ثالثاً. كيف أطلق الله سراحنا (12:5-21)

الخلاص أبديّ، وبعد أن تحدّث بولس عن **ثمار** الخطيئة (مذنوبيّتها وعملها الظاهري في الحياة)، يتابع الآن ليعالج **جذورها** بالرجوع إلى أصل الخطيئة، وإلى آدم والسقوط. ويرى في آدم ممثّلاً للإنسانيّة **المدمَّرة** ويقارنه مع يسوع، آدم الأخير، ممثّل البشرية **المفدية**. فجميع الناس خطاة في آدم؛ وأما في المسيح فهم قدّيسون. في عائلة آدم يسود **الموت**؛ أما في عائلة المسيح فيسود **الخلاص**. في حالة آدم، يركّز الله على **التعدّي**؛ أما في حالة المسيح فيركّز على **طاعته**. في المسيح، تعامل الله مع **الخطيئة** بجذورها وفروعها، وابتدعَ الوسيلة لنقل المؤمن من عائلة آدم وضمّه إلى عائلة الله.

يكتب الدكتور كلارك (R. E. D. Clark) في دفاعيّاته المهمة ضد نظرية التطوّر فصلاً شيّقاً ذا عنوان مثير للاهتمام هو "أناس من أناس". ويتناول الفصل "النظرية التكوينيّة المسبقة" وهي إحدى وجهات النظر التي تحاول أن تشرح كيف يمكن لإنسانٍ ما أو لأي مخلوق آخر أن يولد من بويضة.

ويقول الدكتور كلارك "وسرعان ما وجد التكوين المسبق مكاناً له في اللاهوت والفلسفة. فقد استخدمه سوامردام نتيجة لاقتراح قدّمه مالبرانش ليشرح الخطيئة الأصلية. وقال إنه إن كنا موجودين داخل أبوينا عندما أخطآ فيتبع ذلك أننا قد أخطأنا أيضاً لكوننا جزءاً منهما... وذهب إلى أبعد من ذلك ليقدّم برهاناً شيقا على حقيقة التكوين المسبق من الكتاب المقدّس. فبحسب رسالة العبرانيين 7:9-10، قدّم لاوي أعشاره قبل أن يولد، ولذلك فقد كان موجوداً كشخصٍ صغير جداً داخل إبراهيم عندما قدّم هذا الأخير أعشاراً لملكي صادق، ملك ساليم!"

وفي الواقع، هناك أسباب لاهوتية وجيهة لأخذ هذا الكلام حرفياً (رومية 3:23؛ 5:12). فعقيدة وراثة طبيعة الخطيئة مكتوبة بعمقٍ في كلمة الله. وحتى الآن، بالنسبة للجنس البشري، فإن الخطيئة قد نشأت في آدم، ومن ثَمَّ انتقلت منه إلى جميع ذريته. توجّه نظرية التطوّر ضرباتها القاسية لهذه العقيدة الكتابيّة حتى تكاد تبلغ حقاً إلى صميم الإيمان المسيحي بصورة قلَّ أن يدركها معظم الناس. أبعدْ آدم عن مخطط الأمور فيتوجَّب تمزيق الفصل الخامس من سفر رومية من كلمة الله ومعه ذات صميم تعليم الكتاب المقدس عن سبب وجود الخطيئة، وطبيعتها، ونتائجها.

أ. مشكلة الخطيئة أمر مقرر(12:5-14)

وتتعلّق المشكلة (1) **بوجود** الخطيئة. يقول بولس: "مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ" (الآية 12). فقصة آدم وحواء هي ليست أسطورة أو فولكلوراً أو خرافة ولكنها حدث حقيقيّ في

تاريخ البشرية. يضع الكتاب المقدس اللوم كلّه في خطيئة البشر على عاتق آدم، والد الجنس البشري. فجميع الأجيال البشرية غير المولودة كانت "في صلب آدم" إذا جاز التعبير، عندما سقط. ويتحدّث اللاهوتيّون عن الإنسان من حيث كونه موجوداً في آدم "اتحادياً ووراثياً" أي أن آدم كان يمثّلنا ويحتوينا في الوقت نفسه. لقد خلق على صورة الله وشبهه (تك 1:26-27). إلا أنه عندما ابتدأت أسرة آدم تتوالد بعد السقوط، ورد في الكتاب المقدس صراحة أن "آدم ... وَلَدَ وَلَدًا عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ" (تك 5:3). فنسْلُ آدم لا يحمل صورة الله ومثاله، وإنما صورة آدم الساقط وشبهه.

ثم هناك مشكلة (2) **عقاب** الخطيئة. "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ" (الآية 12). كانت كلمة الله واضحة "مَوْتًا تَمُوتُ" (تك 2:17). أما كذبة الحية الصارخة فكانت، "لَنْ تَمُوتَا!" (تك 3:4). وفي اللحظة التي أخطأ فيها آدم، مات روحياً؛ وبعد سنين مات جسدياً أيضاً. والحكمُ الرهيب "لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ" (تك 3:19) يطالُ البشريةَ جمعاء. "وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (الآية 12) فالجميع أخطأوا في آدم وقد انتقل الموت فورياً ومباشرة من آدم إلى كل فرد من أفراد نسله.

وأخيرا يذكّرنا بولس (3) **بقوة** الخطيئة. "فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ. لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي." (الآيتان 13-14). والحقيقة الرائعة هي أنه رغم أن الخطيئة كانت موجودة في العالم لقرونٍ عديدة فإنها لم تُحسَب رسمياً على الإنسان حتى جاء موسى، لأنَّ الناموس لم يكن قد أعطي حتى ذلك الحين. ومع ذلك مات الناس، والسبب الرئيس لموتهم ليس لأنهم أخطأوا هم بل لأن آدم أخطأ. ومع أن الخطيئة لم تُحسَب على البشر، إن جاز التعبير، إلا أنهم جميعا ماتوا نظيره. كان آدم هو المسؤول عن هذه الحالة المخيفة. أما موت الرضيع فهو دليلٌ كافٍ على أن الموت يسود حتى على الطفل "البريء". بمثل هذه القوة كانت الخطيئة التي أدخلها آدم إلى أبناء جنسه.

هنا إذن تكمن مشكلة الخطيئة، فقد نقل آدم بسقوطه فيروس الخطيئة القاتل إلى جنسه، حتى إلى غير المولودين بعد. نحن لسنا خطاة لأننا نخطئ؛ نحن نخطئ لأننا خطاة. ولأننا أخطأنا في آدم انتقل إلينا الموت. لذلك بعضنا يموتون شباباً، وآخرون مسنّين، ولكننا لابد أن نموت عاجلاً أم آجلاً.

ب. دراسة مشكلة الخطيئة (5:15-21)

هل هناك أي حل لمشكلة الخطيئة هذه؟ طبعا يوجد- الإنسان الثاني هو الجواب، آدم الأخير الذي يستطيع، من خلال طاعته، أن يستعيد كل ما ألقى به آدم الأول عرض الحائط بعصيانه المتعمّد ضدّ وصية الله. والحل ثنائيّ فهو موجود في (1) **هبة** الله. "وَلكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هكَذَا أَيْضًا الْهِبَةُ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا نِعْمَةُ اللهِ، وَالْعَطِيَّةُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي بِالإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، قَدِ ازْدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ!" (الآية 15). وهذا ينبئنا بأن هبة الله تحرّرنا من **الإفلاس**. هذه الفكرة وردت بأكثر وضوح في ترجمة فيلبس إذا تقول، "ولكن هبة الله في المسيح يسوع أمرٌ يختلف جداً عن 'الحساب المنتقل' من خلال خطيئة آدم. فبينما، كنتيجة لخطيئة إنسان واحد أضحى الموت لسبب طبيعي نصيبا مشتركا بين الناس، فإنه بفضل سخاء الله، العطاء المجانيّ لنعمة الإنسان الواحد يسوع المسيح، فاضت محبة الله لصالح جميع الناس." إن "حساب الخطيئة المنتقل" يخلفنا حقاً مفلسين؛ ولكن على النقيض من ذلك، فإن عطية الله تجعلنا أولاده وشركاء في الميراث مع يسوع المسيح."

وعلاوة على ذلك، فإن هبة الله تحررنا من اللوم. "وَلَيْسَ كَمَا بِوَاحِدٍ قَدْ أَخْطَأَ هكَذَا الْعَطِيَّةُ. لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ، وَأَمَّا الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ." (الآية 16). تسعفنا هنا أيضاً ترجمة فيلبس: "وليس تأثير هبة الله مماثلاً لتأثير خطيئة ذلك الإنسان الواحد. لأنه في الحالة الأولى جلبت خطيئة الإنسان الواحد حكماً محتما، وكانت النتيجة دينونة. ولكن في الحالة الثانية التقت خطايا الإنسان التي لا تُحصى مع هبة النعمة المجانية، وكانت النتيجة تبريراً أمام الله." فقد زال ذنب الخطيئة الرهيب.

وبالإضافة إلى ذلك، إن هبة الله تحررنا من العبودية، أي من عبودية الموت. "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ!" (الآية 17). أو كما يعبر عنها جي بي فيلبس:

"لأنه إن كان تعدّي رجلٍ واحد يعني أنَّ على الناس أن يكونوا عبيداً للموت كل حياتهم فإن الأمر لأكثر عظمة أنه بواسطة إنسان آخر، يسوع المسيح، يعيش الناس كل حياتهم كملوك بفضل قبولهم لنعمته وبرّه اللذين هما أكثر من كافيَيْن." وهكذا يعلن بولس بكلماتٍ متألقة الأخبار السارة عن هبة الله التي تحرّرنا من إفلاس الخطيئة، واللوم، وربقة العبودية، من خلال عمل المسيح المكتمل.

ولكن يبدو أن هذا الخبر السار عن خلاصنا الكامل يتعذر تصديقه من جرَّاء عبارة واحدة. لذلك يعيد بولس تكرار هذا الخبر السار عن هبة الله، " فَإِذًا كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ، هكَذَا بِبِرّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ. لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا." (الآيتان 18-19). مجداً لله! فإن الحل يعادل في سعته عظم المشكلة، فالله لم يحبنا ويرفعنا فقط وإنما أطلقنا من خطايانا وتم ذلك مجاناً، وكليا، وإلى الأبد، وكله "من غير مالٍ ولا ثمن".

ولكنّ حلّ مشكلة الخطيئة لا يتوقف على هبة الله فقط ولكن أيضاً على (2) **نعمة** الله. لقد جعلت نعمة الله تلك الهبة ممكنة. وفيما يُقْدم بولس على ختام هذا الفصل العظيم عن ضمانة المؤمن فهو يبيّن لنا شيئاً عن (أ) **غنى** وفرة نعمة الله. عندما أعطى الله أخيراً الناموس كان الغرض منه إظهار مذنوبية الخطيئة بوضوح؛ ولكن على الفور، جسّد الله للخطاة المذنبين نعمته، وفضله غير المستحَق. "وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيَّةُ. وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا." (الآية 20). والذين أخطأوا وكانوا أكثر فجورا هم غالبا الذين يكونون أكثر وعياً لما تعنيه حقا وفرة غنى نعمة الله. وهكذا كتب جون بنيان كتابه **"النعمة المتفاضلة"**، وكذلك ألف جون نيوتن، الذي كان ذات يوم عبد العبيد ترنيمته الفريدة، "ما أعجب النعمة".

إن نعمة الله موضوع لا يستنفذ. كان سام دنكانان، إنساناً بسيطاً ذا مواهب قليلة، ولكن كانت لديه رغبة كبيرة في عمل شيء للربّ. فأخذ على عاتقه ممارسة اقتطاع الصور من البطاقات والمجلات وإلصاق آياتٍ وأشعار مناسبة عليها، ومن ثم يقدِّم هذه الهدايا البسيطة لأشخاصٍ يشعر بأنهم سيتباركون بها. وذات يوم عثر سام على صورة شلالات نياغارا، ولكنه لم يقدر لفترة طويلة أن يجد شعراً مناسباً لها. أخيراً سمع سانكي يرنم ترنيمة، وفي اللحظة التي سمعها عرف أنه قد عثر على الشعر الذي كان يبحث عنه لمدة طويلة. وهذه كلمات ترنيمة سانكي:

هل آمنتَ بالرب؟
لا يزال هناك المزيد مما يتبع
هل قبلتَ نعمته ؟
لا يزال هناك المزيد مما يتبع

يا لنعمة الآب التي يظهرها
لا يزال هناك المزيد مما يتبع
يمنح الله نعمته مجاناً
لا يزال هناك المزيد مما يتبع

أكثر وأكثر وأكثر وأكثر،
دائماً هناك المزيد مما يتبع
يا لحبه الذي ليس له حدود ولا مثيل
لا يزال هناك المزيد مما يتبع

كتب سام هذه السطور تحت صورة شلالات نياغارا، وعنونها بهذه الكلمات المناسبة: "هناك المزيد مما يتبع!" هل هناك توضيح أفضل لوفرة نعمة الله الغنية! "حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا".

لا يقدر أي شيء أن يقف في طريق نعمة الله. إنها ذات سيادة مطلقة، أما الحياة الأبدية فهي مضمونة بالمسيح يسوع ربنا. الحمد لاسمه!

شرح طريقة الانتصار
25:7-1:6

أولا. التحرر من سلطان الموت (11-1:6)

أ. حقيقة موتنا مع المسيح (5-1:6)

1. حقيقته (2-1:6)
2. انتصاره (5-3:6)

ب. سبب موتنا مع المسيح (7-6:6)

1. معقل الخطيئة في الحياة (6:6أ)
2. قبضة الخطيئة الخانقة للحياة (6:6ب-7)

ج. نتائج موتنا مع المسيح (11-8:6)

1. تقدير لانتصار المسيح (10-8:6)
2. تصديق على انتصار المسيح (11:6)

ثانيا. التحرر من سلطان الخطيئة (23-12:6)

أ. الخطيئة، الملكة القديمة أضحت الآن مهزومة (14-12:6)

ب. الخطيئة، السيد القديم، أضحت الآن مخلوعة (23-15:6)

1. حرية جديدة (18-15:6)
2. ولاء جديد (20-19:6)
3. طول عمر جديد (23-21:6)

ثالثا. التحرر من مطالب الناموس (25-1:7)

أ. الناموس والإنسان الروحي (6-1:7)

1. يعرف أن سلطان الناموس ينتهي عند الموت (3-1:7)
2. يبيّن أن سلطان الناموس ينتهي عند الموت (6-4:7)

ب. الناموس والإنسان الطبيعي (13-7:7)

1. الناموس يكشف الطبيعة الخفية للخطيئة (9-7:7)
2. الناموس يكشف الطبيعة البشعة للخطيئة (13-10:7)

ج. الناموس والإنسان الجسديّ (7:14-25)

ليس هناك بالطبع فاصلٌ أدبيّ بين رومية 5 ورومية 6؛ فالفصل الواحد يتابع الجدال الذي ابتدأ في الفصل الآخر. ما يزال بولس يتناول موضوع **الخطيئة** وليس **الخطايا**، ولكنه الآن سيعمل على تبيان أن انتصار المسيح في الجلجثة يحرّرنا ليس من أجرة الخطيئة فقط ولكن من قوتها أيضاً. إن ضمانتنا لا تجعلنا أن نتذرَّع بأي عذر لكي "نستمر في الخطيئة" (1:6)؛ بل على العكس، فنحن الذين كنا يوماً "أمواتاً **في** الخطيئة" صرنا الآن "أمواتاً **عن** الخطيئة". ولشد ما تبعد هذه عن (ادعاء) عقيدة ضمانة المؤمن الأبدية التي تسفر عنها الحرية **في** ارتكاب الخطيئة؛ لأنها في الواقع تضع أمامنا تحررنا **من** الخطيئة. تتردد عبارة "التحرير من الخطيئة" ثلاث مرات في رومية 6 (رو 6:7 و18 و22).

أولاً. التحرر من سلطان الموت (6:1-11)

الجهل، وفقاً لبولس، هو عامل رئيس في إعاقة حياة الانتصار. وتتكرر عبارة "ألستم تعلمون" ثلاث مرات في هذا الجزء من الرسالة (3:6، 16؛ 1:7) مما يساعدنا على تقسيم المقطع إلى أجزائه المكونة له. وتعبير "بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" هو تعبيرٌ رئيس آخر ويرد مرة واحدة في كل من الأقسام التالية (11:6، 23؛ 25:7). إن أول مجال للجهل يتناوله بولس له علاقة بحقل الموت. فالموت الذي كان مرة عدوّنا جُعِل الآن في خدمة المؤمن ليجزي له فوائد انتصار المسيح على القبر.

أ. حقيقة موتنا مع المسيح (6:1-5)

إن فكرة كون المؤمن قد مات بالفعل هي فكرةٌ ثورية بحيث جعلت بولس يبدأ بالتأكيد (1) **على حقيقتها**. "فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟" (الآيتان 1-2). لا يمكن أن يوجد أي شيء أعجز عن التجاوب أكثر من الشخص الميت. تخيّلْ أنَّ إنساناً يحاول أن يستثير ردة فعل من جثة! يمكن التربيت عليها أو إلقاء الأمر إليها أو ركلها ولكن لن يصدر عنها أي رد فعل لسببٍ بسيط هو أنها ميتة لا تتجاوب مع جميع الحوافز. إن الله يريد للمؤمن أن يكون ميتاً تجاه جميع مثيرات الخطيئة.

كان في إحدى الكنائس شمّاس متعصّب مسنّ متشبّث بالطرق القديمة ويستريب بأي شيء جديد. ولشد ما كان متصلباً في نظرته وذا مزاج لاذع وروح جافة، يدين كل من يرفض تقبل آرائه الكتابية. لندعُ هذا الشخص باسم "معاند"، مع أن ذلك ليس هو اسمه الحقيقي. ثم جاء إلى تلك الكنيسة شابٌ عليه مسحة إلهية جديدة، وذو رؤيا، وموهبة، وجاذبية؛ ولديه استيعاب غير عادي لكلمة الله وقدرٌ مميّز من الحكمة. وحظيت خدمة هذا الشاب ببركة خاصة من الله لخلاص النفوس وإنعاش الكثيرين من شعب الله. وبدا من المحتم ألا تتفق بعض آرائه مع آراء "سكوت" المعاندة القديمة، المسيطر على لجنة الشمامسة. وحاول الشماس لسنين عديدة عمل كل ما بوسعه ليثبط همة الشاب ويعارضه وينتقده. وفي يوم من الأيام سأل أحدُ أعضاء الكنيسة الشابَ كيف استطاع أن يتحمل مشاكسة هذا الشماس. فكان رده المذهل، "لقد متُّ يا وليم عن "معاند" منذ خمس سنوات." لقد استوعب هذا الشاب سر موت المؤمن مع المسيح. دعونا نعي هذه الحقيقة- " نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟" ينبغي أن يكون في حياتنا اختبار مماثل لحقيقة موتنا مع المسيح حتى لا تتمكّن الخطيئة من إثارة أي رد فعل فينا على الإطلاق.

وبعد ذلك يؤكد بولس على (2) **انتصارها**؛ ويقدّم توضيحين لشرح الغرض من هذه النقطة. "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟" (الآيتان 3-4).

لدى ووست (Wuest) تعليق مفيد على هذه الآية. "ليست كلمة "اعتمدتم" هنا ترجمة للكلمة اليونانية، ولكنها هي كتابة اللفظة بحروف لغة أخرى (وهي هنا الإنكليزية). وتشير الكلمة في النص الكلاسيكي إلى الحدّاد الذي يغمس قطعة من الحديد الساخن في الماء ليجعلها مرنة؛ وأيضاً عن وضع الجنود اليونانيّين لرؤوس سهامهم، والبرابرة لرؤوس رماحهم في وعاء من الدم... واستخدام الكلمة في الأمثلة السابق ذكرها

يفضي إلى التعريف التالي لكلمة " baptizō": ‘تقديم أو وضع شخص أو شيء في بيئة جديدة أو في اتحاد مع شخص آخر بهدف تغيير حالته أو علاقته عما كانت عليه مع بيئته أو حالته السابقتين.’ وهذا هو استخدامها في رومية 6. فهي تشير إلى عمل الله في إدخال الخاطىء الذي صار مؤمنا في اتحاد حيوي مع يسوع المسيح من أجل أن تكون لدى المؤمن القوة لكسر طبيعته الخاطئة وزرع الطبيعة الإلهية من خلال اتحاده مع المسيح بموته ودفنه وقيامته؛ وبالتالي تغيير وضع ذلك الخاطئ وعلاقته بحالته وبيئته السابقتين، والإتيان به إلى بيئة جديدة هي ملكوت الله."

وبعبارةٍ أخرى، يشير بولس في سيرة حياته التوضيحية، إلى معموديّتنا في المسيح. هذا شيء يحدث عند الاهتداء بالنسبة لما يتعلق باختبارنا. وبالطبع يوجد آخرون ممن يرون أن المعموديّة المشار إليها هنا هي معمودية الماء وليست معمودية الروح.[2] ومهما تكن العقيدة المتبنَّاة فإن الحقيقة التي يسعى بولس إلى تبليغها هي حقيقة موتنا مع المسيح، وذلك بالإشارة إلى تجربةٍ شخصية حقيقيّة وفعليّة.

ويلي ذلك التوضيح الثاني، "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ" (الآية 5). يقول ووِسْت إن الكلمة "مُتَّحِدِينَ" يمكن استخدامها من مثال التوائم السيامية. ويترجمها ساندای (Sanday) بالعبارة، "متحدين بالنموّ" ويضيف، " إن الكلمة تعبّر بالضبط عن العملية التي يصبح فيها التطعيم متحداً مع حياة شجرة. وهكذا يصبح المسيحيّون ‘مطعّمين’ في المسيح".[3] فنحن نصبح، حيوياً، متّحدين معه، ونشترك في ذات حياته.

يسعى بولس في هذين التوضيحين اللذين يستمدّ أحدهما من السيرة واللاهوت، والآخر من الحياة البيولوجية، لنقل الحقيقة الرائعة بأنّ موت المسيح كان موتنا؛ ودفنه كان دفننا، وقيامته كانت قيامتنا. فهو لم يَمُتْ **عني** فقط، ولكنه مات **وكأنه أنا!** فمن وجهة نظر الله، نحن فعلاً في جانب القبر الذي فيه القيامة ولا يبقى علينا سوى أن ندرك هذه الحقيقة ونعمل بها فيكون النصر أكيداً.

ب. السبب في موتنا مع المسيح (6:6-7)

من خلال اتّحادنا مع المسيح بهذه الطريقة الفريدة والرائعة، هدم الله (1) **معقل الخطايا في الحياة**. يقول بولس "عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ". (الآية 6أ). ويتكرّر تعبير "الإنسان العتيق" في أفسس 22:4 وفي كولوسي 9:3 وكذلك هنا "ويعني دائماً الإنسان ذا الطبيعة البشرية الفاسدة القديمة، والميل الفطري للشرّ الموجود في كل البشر. هو الإنسان الطبيعي نفسه في رومية 6:6؛ وطرقه في أفسس 22:4 وكولوسي 9:3. مركزيا، إن الإنسان القديم، في حساب الله، مصلوبٌ، والمؤمن مدعوٌّ للاستفادة من ذلك **اختبارياً** حاسبا بالتأكيد أن الأمر كذلك ‘بخلع الإنسان العتيق’ و‘لبس الإنسان الجديد’."

فالإنسان القديم، إذاً، هو إنسان القدم، الإنسان الذي اعتدنا أن نكون عليه قبل اهتدائنا. هناك شيءٌ ينبغي أن نعرفه عن هذا الإنسان القديم: إنه الآن ميت! لقد صُلِب مع المسيح. إن تشبيه الصلب مذهلٌ لأنه لا يمكن لإنسانٍ ما أن يصلب نفسه. ففي حالة الموت بالصلب، يتطلّب التنفيذ أن يُجرى على يدَيِّ إنسانٍ آخر. وقد عالج الله في الجلجثة مسألة **الذات** وكذلك مسألة **الخطيئة**، بجعلنا أن نموت مع المسيح. هذا شيء ينبغي أن نعرفه، لأنه بدون هذه المعرفة لا يمكننا أبداً أن نأمل في اختبار التحرير من كل ما نحن عليه بولادتنا الطبيعية.

وعلاوة على ذلك، من خلال اتحّادنا مع المسيح، حطم الله (2) **قبضة الخطيئة الخانقة للحياة**. "عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ. لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ" (الآيتان 6-7). وقد عُرّف "جسد الخطيئة" بأنه "أداة تنفيذ أوامر الخطيئة". ويقول دبليو إي ڤاين إنَّ كلمة سوما "تشير إلى الجسد كالأداة العضوية للحياة الطبيعية، وتُستخدم هنا مجازاً بسبب مغزاها الأساسي... إذاً في عبارة، ‘جسد الخطيئة’ تعتبر الخطيئة قوة منظَّمة، وتعمل من خلال أعضاء الجسد، مع أن مركز الخطيئة هو في الإرادة ". ينبغي على المؤمن أن يعتبر جسده ميتاً ما زال هو الأداة التي تعمل الخطيئة من خلاله.

لا **يشعر** الجسد، بطبيعة الحال، بأنه ميت عن الخطيئة، ولكن هذا خارج عن نقطة البحث؛ فالله يقول إنه كذلك. والخاطئ الذي يسعى للخلاص عليه أن يتعلم أن الخلاص لا يعتمد على المشاعر وإنما على حقائق معينة متعلّقة بعمل المسيح وكلمة الله. ينبغي الإيمان بهذه الحقائق، كما ينبغي قبول المسيح بالإيمان. ويمكن بعد ذلك للخاطىء بحسب سلطان كلمة الله، أن يعرف أن خطاياه مغفورة بغض النظر عما يشعر به بهذا الصدد. وهكذا الأمر بالنسبة للقديس؛ عليه أن يقبل حقيقة أن الله قد تعامل مع "جسد الخطيئة" في الجلجثة، ويجب أن يؤمن بأن الله يعني ما يقوله في رومية 6:6، فالمشاعر ثانوية وعرضية تماماً.

اعتاد رجل ما على النهوض في الساعة السادسة صباحاً لكى يستقلّ قطار الساعة السابعة. وكانت زوجته تراه عادة وهو يغادر إلى عمله؛ ولكن ذات ليلة لم تهدأ فيها حركة الأولاد الصغار بصورة خاصة، انتاب زوجته التعب وما كادت أن تغط في نومٍ عميق، حتى دقّ جرس المنبّه، فأنّت قائلة،"هل الساعة السادسة يا عزيزي؟" وحين ردّ عليها زوجها بالإيجاب قالت، "لست **أشعر** أنها الساعة السادسة." وهنا بيت القصيد. قد لا نشعر أنها الساعة السادسة ولكن الشمس والقمر والنجوم والأرض في مدارها وكل نظام السموات يعلن بأنها الساعة السادسة. ولكننا لا **نشعر** أنها الساعة السادسة! وهكذا الحال بالنسبة للحقيقة الكتابية العظمى بأن المؤمن ميتٌ مع المسيح. قد لا يشعر بأنه ميت، ولكن ليس هذا المهم، فالله يقول إنه كذلك، ونظام الفداء بأكمله يعلن أنه حتماً حقيقة.

ما أبطأنا للإيمان بهذه الحقيقة الأساسية العظيمة التي تفتح لنا الباب لحياة مسيحية منتصرة! يُحكى عن رجلين إيرلنديّين، پات ومايك، وجدا أغرب سلحفاة! كان رأسها مقطوعاً تماماً عن جسدها ولكنها استمرّت في الحركة وكأنَّ شيئاً لم يحدث. كان پات يقول إنها ميتة، أما مايك فأنكر ذلك بشدة، وارتفع صوت الجدال شيئاً فشيئاً إلى أن حضر في ذلك الوقت أوبراين. وقرّر الرجلان أنّ يحتكما إليه بالأمر ومهما كان حكمه يكون هو الفيصل النهائي. ألقى أوبراين نظرة على السلحفاة الغريبة وقال، "إنها ميتة- ولكنها لا تعتقد أنها ميتة!" هذه هي بالضبط مشكلة العديد من المسيحيّين: هم أموات ولكنهم لا يصدّقون ذلك. هذه مأساة، لأن الإيمان الكامل بحقيقة هذه الآية ومن غير تحفظ، هو الذي يهدم معقل الخطيئة في هذه الحياة، أي في اللحظة التي يتم فيها الإيمان بها.

ج. نتائج موتنا مع المسيح (6:8-11)

لقد جعل الله الموت يعمل بالنيابة عنا، فهو يشرع لنا الآن باب الانتصار على مصراعيه؛ وإن لم يكن الرب قد أتى بعد، فإنه سيفتح لنا لاحقا باب المجد واسعاً. فقيامة المسيح من الموت حقيقةٌ محرِّرة. ينبغي أن نتعلّم أن (1) **نقدّر انتصار المسيح**. "فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ. عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ" (الآيتان 8-9). يريدنا بولس أن ندرك مغزى موت المسيح وقيامته. فمن المنطق أنه إن كنا متّحدين مع المسيح بموته فنحن متّحدون معه أيضاً بقيامته. فالاثنان يسيران معاً. فالقوة التي أقامت المسيح من الموت (4:1) ما برحت نفسها تعمل في حياة المؤمن اليوم. لا يشير هذا التصريح في المقام الأول إلى القيامة التي ستحدث عند البوق الأخير، ولكنه يشير إلى التطبيق المباشر لقوة الروح القدس الحالية الساكن فينا والذي ينقل لنا بركات قيامة المسيح وفوائدها. ويعود بولس إلى هذا الموضوع في رومية 8.

لا يريدنا بولس أن نعي أهمية قيامة المسيح فقط، بل **عظمتها** أيضاً. "عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ". يكمن أحد العيوب الكبيرة لدى بعض الكنائس في نقص مفهومها عن المسيح. فهي تقدّم المسيح إما رضيعاً بين يدي أمه، أو أنه مازال معلّقاً على الصليب. ولكن المسيح لم يعد بعد في المهد، ولا محمولاً على يدي العذراء، ولا معلّقاً بعد على الصليب أو في القبر. إنه حيّ من الأموات، ولا تطاله سلطة الموت إلى الأبد . وحقيقة أنه لم يعد للموت أي سلطان بعد على المسيح

هي أساس حجة بولس بأن الخطيئة لا تسود علينا. "لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا لِلهِ" (الآية 10). إذا أردنا أن نتمتّع بالانتصار فعلينا أولاً أن نقدّر انتصار المسيح.

إذًاعلينا أن (2) **ندَّعي ملكية انتصار المسيح**. "كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (الآية 11). إن العلم بالأمر (الآية 9) شيءٌ؛ والحساب (الآية 11) شيءٌ آخر. فلدى كثير من الناس معرفة عامة عن حقائق هذه الفصول ولكنهم لم يتمتعوا بخيرها لأنهم أخفقوا في حسبان صحتها اختباريا. وكلمة "احسبوا" تعني أن تعدَّ، أو تدخل في الحساب، أو تأخذ بعين الاعتبار". وإدراكنا لمعناها كمصطلح في المحاسبة يساعدنا على فهم ما يقوله بولس.

لنفترض أن أحد رجال الأعمال قال لمحاسبه، "ما هو المبلغ اللازم لنتمكّن من الإيفاء بكل مرتبات هذا الشهر؟" وبعد قيام المحاسب ببعض المراجعات الحسابية قال، "عشرون ألف دولار، يا سيدي، ولكن الرصيد في البنك في الوقت الحاليّ هو خمسة آلاف دولار فقط." وقد يقول رجل الأعمال، "اكتب الشيكات، ولكن لا تعطِها للرجال إلى أن تتلقى إخطاراً مني بذلك." وبعد ذلك يتّصل رجل الأعمال بالمصرفيّ ويرتّب معه قرضاً بثلاثين ألف دولار، ثم يتّصل بمحاسبه قائلاً، "يمكنك الآن توزيع الشيكات، فالبنك لديه أكثر مما يلزم لتغطية الرواتب." ولكن لو حدث بعد ذلك أن اتصل أحد الموظفين بالمحاسب مطالباً براتبه، وقال له المحاسب، "أنا آسف، لا أستطيع أن أدعك تأخذ هذا الشيك في الوقت الحالي فمجموع الرواتب هو عشرون ألف دولار، ولا يوجد في البنك سوى خمسة آلاف فقط. انظر، يمكنك أن تراجع دفتر الرواتب وترى بنفسك." فأي شيء يكون المحاسب قد أخفق في فعله إن قال ذلك؟ إنه يكون مخفقاً في **الحساب**، أي أخفق أن يأخذ بعين الاعتبار حقيقة أنه قد تم اتخاذ تدابير كافية لتأمين رصيد يغطي أكثر من حاجات الرواتب. وبالطبع، ففي إخفاقه في الحساب يهين ربّ عمله ويضع نفسه في موقف خاطىء.

لقد هيّأ الله في الجلجثة تدابير كافية تفي بحاجة الخاطئ. فقد عالج الله بصورةٍ كليةٍ وإلى الأبد، جميعَ جوانب مسألة الخطيئة. ينبغي أن نحسب أن الأمر كذلك. علينا أن نأخذ هذا بعين الاعتبار في لحظة التجربة. يقول الله إن المؤمن قد مات عن الخطيئة. وهو يؤكّد لنا بأنه، بموت المسيح وباتّحادنا معه، تمّ توفير كل التدابير الضرورية بشأن أية تجربة قد تظهر. وهكذا فقد تحرّرنا بيسوع المسيح ربنا من سلطة الموت، وتحرّرنا أيضاً بذلك من سلطة الخطيئة كما سيبيّن لنا بولس الآن.

ثانياً. تحرّر من سلطان الخطيئة (6:12-23)

في الآيات المتبقية من هذا الفصل يتم عرض الخطيئة أمامنا في توضيحين تصويريّين. فهي تُشبَّه بملكٍ قديمٍ ولكنه الآن مهزوم؛ كما تشبَّه بسيّدٍ قديم ولكنه الآن معزول.

أ. الخطيئة، الملك القديم، مهزومة الآن (6:12-14)

عندما نتأمّل في تحريرنا من سلطان الخطيئة نكتشف ثلاثة مبادئ. هناك (1) **ما ينطوي عليه من مبدأٍ جسدي**. "إِذًا لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ" (الآية 12). تعبّر الخطيئة عن نفسها من خلال أعضاء الجسد، وتتسلَّط عبر هذه القناة على كلٍّ من الإنسان الطبيعي والإنسان الجسديّ. ولكن ينبغي ألا يكون شأن هذا الوضع سمةً من سمات المؤمن؛ لأن جسده قد تحرّر من سلطة الخطيئة. ولكي يتمتّع المؤمن بهذا الانتصار عليه أن يتعاون مع الله ويصمّم بنعمته على أن لا تسوده الخطيئة. يضع بولس هذا الأمر في رسالته الى أهل كورنثوس على النحو التالي: "وَكُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا أُولئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى. إِذًا، أَنَا أَرْكُضُ هكَذَا كَأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ غَيْرِ يَقِينٍ. هكَذَا أُضَارِبُ كَأَنِّي لاَ أَضْرِبُ الْهَوَاءَ. بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا" (1 كور 9:25-27). فالرياضيّ يُخضِع جسده لإرادته لكي يحافظ على لياقته من أجل القتال أو السباق. فهل يمكن للمؤمن أن يفعل أقلّ من ذلك لكي يفوز حتى النصر على الخطيئة؟

بالإضافة إلى ما ينطوي عليه الأمر من مبدأ جسدي، هناك أيضاً (2) **مبدأ أخلاقي**. "وَلاَ تُقَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيَّةِ" (الآية 13أ). ثمة ثلاث كلمات رائعة في هذا الفصل تلخّص سرّ جعل مبادئ الانتصار مطبقة بصورة عملية في الحياة. وهذه الكلمات هي، "عالمين" و"احسبوا" و"قدّموا". يطلب منا بولس بألا نخضع للخطيئة. ينبغي ألا نسمح لعيوننا بأن تنظر بشهوةٍ، ولا لآذاننا بأن تسمع النميمة، ولا لألسنتنا بأن تستخدم البُطل والكذب. لا بدّ من وجودِ فعلٍ إراديٍّ في هذا الصدد لأننا، كوكلاء أخلاقيّين، مسؤولون عن طبيعة الاستخدام الذي نُخضِع أعضاء جسدنا له.

ثم هناك (3) **ما ينطوي عليه الأمر** من **مبدأ روحي**. لا يكفي بأن نصمّم على عدم إخضاع أعضائنا للخطيئة، فقد حاول كثير من الناس استخدام هذا الأسلوب في العيش فحظي بعضهم بنجاح قليل وأخفق آخرون إخفاقا تاماً؛ لأن الانتصار في نهاية الأمر لا يعتمد على التصميم الأخلاقيّ بل على المبدأ الروحيّ. لاحظ الخطوات الثلاث التي تنطوي عليها ترجمة المبدأ إلى ممارسة. ينبغي أن نستسلم **لإرادة الله**. "بَلْ قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ للهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ بِرٍّ ِللهِ" (الآية 13ب). إننا لا نحرز الانتصار إلا بالتسليم لله فقط. فكّر للحظة بآيةٍ من سفر يعقوب يُساء اقتباسها كثيراً: "قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ" (يعقوب 7:4). فالآية ببساطةٍ عندما تُقتبَس بذلك الشكل هي غير صحيحة. لن يهرب الشيطان منا؛ ولن يعتريه أقل خوف منا؛ فهو أكثر من ندٍّ لنا. وما تقوله الآية في الواقع هو هذا: "فَاخْضَعُوا ِللهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ." ذلك يختلف كثيراً. فهو حين نخضع لله نستسلم له، وآنئذ نفتح الباب على مصراعيه لانسكاب روحه علينا. إن روح الله يسكن في كلّ مؤمن، ولكن حين نستسلم له فقط يحرّرنا من قيود الخطيئة.

ثمة مبدأ مهم جداً هنا. نحن بالطبيعة مخلوقون عرضةً للاستسلام عندما نُجرَّب؛ ولكن لاحظ هذا. إننا لسنا مرغمين على الاستسلام للتجربة. وعوضاً عن ذلك، يمكننا أن نخضع لله، وفي القيام بفعل ذلك الخضوع ندرك الانتصار الكامل على كل سلطة الخطيئة.

والمبدأ الروحي التالي هو **التمسّك بكلمة الله**. "فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ" (الآية 14أ). هذه هي كلمة الله، "الخطيئة لن تسودكم". ينبغي أن نتمسّك بشدة بهذا الوعد. كانت خطة الله الأصلية للإنسان أن تكون له السيادة (تك 26:1)؛ ولكن عندما تنازل آدم عن سيادته للشيطان في جنة عدن حكم على نسله بالعبودية للخطيئة. بيد أن الربّ يسوع غزا عالم الإنسان بعد ذلك، وتصارع مع عدوّنا القديم على الصليب، واستردّ لنا سيادتنا المفقودة. قال الرب يسوع، "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ... فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا" (يوحنا 34:8، 36). نحن بحاجة للتمسّك بكلمة الله الواضحة هذه، " فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ".

الخطيئة، وهي الملك القديم أصبحت الآن مخلوعة. هناك خطوة أخرى لإدراك هذه الحقيقة. ينبغي أن نعيش بحسب طريق الله، "لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ" (الآية 14ب). وبعبارة أخرى، إن استمرار انتصار المؤمن المعتوق لا يعتمد على جهوده الخاصة ولكن على غنى نعمة الله الكافية لكل حاجة.

ب. الخطيئة، السيّد القديم، معزولة الآن (6:15-23)

صورة بولس الإيضاحية التالية تدور حول السيد والعبد، فالتحرّر من السيّد القديم يجلب (1) **حرية جديدة**. وتبدأ الحرية الجديدة بموقفٍ. يقول بولس، "فَمَاذَا إِذًا؟ أَنُخْطِئُ لأَنَّنَا لَسْنَا تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ؟ حَاشَا! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟" (الآيتان 15-16). لا يقدر إنسان ما أن يتوقع الانتصار حقاً إن لم يكن يريد الانتصار. ولا يمكن للإنسان أن يتوقّع الانتصار إذا كانت مواقفه متساهلة تجاه الخطيئة. فالله يطالب اليوم بالإخلاص بمقدار ما كان يطالب به حين قال لبني إسرائيل المتمرّدين، "وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي

بِكُلِّ قَلْبِكُمْ" (إر 13:29). ولن يأتي بنا الله إلى نعيم حريّته الجديدة ما لم نُرِدْها فعلاً. فالموقف الذي يزعم بأن النعمة تعطي ترخيصاً للخطيئة يجعل النجاة من قوّتها مستحيلاً. وطالما يظل ذلك الموقف متسامحا (مع الخطيئة) ستبقى الخطيئة هي السيّد، وسنبقى نحن العبيد.

إذا كانت هذه الحرية الجديدة تبدأ بموقف، فإنها تكتمل **بتحقيقه**. "فَشُكْراً ِللهِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَبِيدًا لِلْخَطِيَّةِ، وَلكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا. وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ" (الآيتان 17-18). لقد نزل الرب يسوع منذ نحو ألفي سنة إلى سوق عبيد الخطيئة، ودفع ثمن فدائنا كاملا وحررنا. إن قرارنا بالإيمان بالإنجيل، يحمل نتائج دائمة، شرط أن لا يكون ذلك الإيمان مجرّد موافقة فكرية على الحقيقة وإنما "مِنَ الْقَلْبِ". وينبغي ملاحظة أن التعليم والتحرير يتلازمان. يتحدث بولس عن "صورة التعليم" لكونها تلعب دوراً حيوياً في تحريرنا. وتشير كلمة "صورة" إلى قالب يُسكَب فيه المعدن المنصهر ليأخذ شكله النهائي. إن المؤمن هو المعدن المنصهر، والعقيدة أو تعليم الإنجيل هو القالب. ويذكّرنا ووست (Wuest) بأنها ليست "صورة التعليم هي التي حرّرتكم وإنما صورة التعليم التي تسلّمتموها." فعندما خلصْنا، سكب الله طبائعنا الداخلية في القالب الموصوف في رومية 6. إن الإنجيل لا يحرّرنا من العقاب وسلطة الخطية فقط؛ بل يشكّل صفاتنا أيضاً. لقد حُرّرنا من سيادة الخطيئة وسُلِّمنا للحق. وكما يقول بولس، "وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ".

التحرر من السيّد القديم يحمل معه أكثر من حرية جديدة؛ إنه يجلب (2) **ولاءً جديداً**. ""أَتَكَلَّمُ إِنْسَانِيًّا مِنْ أَجْلِ ضَعْفِ جَسَدِكُمْ. لأَنَّهُ كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ لِلإِثْمِ، هكَذَا الآنَ قَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ لِلْقَدَاسَةِ. لأَنَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ عَبِيدَ الْخَطِيَّةِ، كُنْتُمْ أَحْرَارًا مِنَ الْبِرِّ" (الآيتان 19-20).

ينبغي دائما ملاحظة المقارنات الكتابية التي يحملها التعبير "كما... هكذا الآن". فكّر على سبيل المثال بالتشبيه الذي أورده الرب يسوع في حديثه مع نيقوديموس: "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ" (يوحنا 14:3)؛ أو بالموازنة (التشبيهية) التي ضربها في موعظته العظيمة على جبل الزيتون، "وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ" (متى 37:24). يقول بولس، "كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ ... هكَذَا الآنَ قَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ." لقد كنا يوماً موالين للسيّد القديم وقدّمنا أعضاءنا عبيداً للخطيئة. والآن علينا أن نكون موالين لسيّدنا الجديد الذي اشترانا بذات دم حياته في الجلجثة، وينبغي أن نقدّم أعضاءنا آلاتٍ للبر. وقد سبق بولس فشدّد على أهمية كلمة "قدّموا".

والتحرر من السيّد القديم يوفر لنا(3) **طول حياةٍ جديدة**، وهي في الواقع، في كليتها، نوعية جديدة من الحياة. علينا أن نخجل من طريقة الحياة القديمة. يقول بولس، "فَأَيُّ ثَمَرٍ كَانَ لَكُمْ حِينَئِذٍ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تَسْتَحُونَ بِهَا الآنَ؟ لأَنَّ نِهَايَةَ تِلْكَ الأُمُورِ هِيَ الْمَوْتُ" (الآية 21). ليس هناك أي شيء دائم في حياة الخطيئة القديمة. بل على العكس، فإنها كانت تسرع بنا إلى موت محدد. وبالتباين مع هذا، لدينا التأكيد بالحصول على طريق الحياة الجديدة ، "وَأَمَّا الآنَ إِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ، وَصِرْتُمْ عَبِيدًا ِللهِ، فَلَكُمْ ثَمَرُكُمْ لِلْقَدَاسَةِ، وَالنِّهَايَةُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (الآيتان 22-23). فتحريرنا من الخطيئة يضمن لنا نجاحاً تاماً في هذه الحياة، "ثمراً للقداسة"؛ وضمانة كاملة للحياة العتيدة، "حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا". لقد أخجلنا السيّد القديم وكلّفنا أجرة الموت، أما السيّد الجديد فهو يجعلنا مقدّسين ويعطينا حياة إلى الأبد.

ثالثاً. التحرّر من مطالب الناموس (7:1-25)

لقد سبق بولس فأوضح أنَّ انتصار المؤمن موءسس على مبدأ يختلف عن مبدأ الناموس (15:6). فالناموس يشدّد على الجهد البشريّ. يسعى بولس الآن إلى التأكيد على حقيقةِ عدمِ قدرة أيِّ نظامٍ للجهد البشريّ على الحفاظ على حياة مسيحيّة منتصرة.

أ. الناموس والإنسان الروحي (7:1-6)

يصف بولس الناس بأنهم إما طبيعيّون أو جسديّون أو روحيّون. **الإنسان الطبيعيّ** هو الإنسان غير المخلّص الذي يعجز عن السمو إلى ما هو أعلى مما تستطيع أن ترفعه إليه طاقاته الفكرية أو المعنوية أو الإرادية، فهو محكومٌ من حواسه. **والإنسان الجسديّ** هو الإنسان المخلَّص الذي ما زال، ولو جزئياً على الأقل، تسود عليه قوة الخطيئة، وما برح أيضا تحت سيطرة الطبيعة القديمة. أما الإنسان الروحيّ فهو المؤمن الذي تخضع حياته لقيادة الروح القدس. ويرد عرض أصناف تلك "الفئات" الثلاث في رومية 7.

يعالج بولس أولا (موضوع) الإنسان الروحيّ، ويبيِّن أنه قد تحرّر من الناموس. فالإنسان الروحيّ (1) **يعرف أن قوّة الناموس تنتهي بالموت**. "أَمْ تَجْهَلُونَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ لأَنِّي أُكَلِّمُ الْعَارِفِينَ بِالنَّامُوسِ أَنَّ النَّامُوسَ يَسُودُ عَلَى الإِنْسَانِ مَا دَامَ حَيًّا؟ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَحْتَ رَجُل هِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ بِالرَّجُلِ الْحَيِّ. وَلكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَقَدْ تَحَرَّرَتْ مِنْ نَامُوسِ الرَّجُلِ. فَإِذًا مَا دَامَ الرَّجُلُ حَيًّا تُدْعَى زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُل آخَرَ. وَلكِنْ إِنْ مَاتَ الرَّجُلُ فَهِيَ حُرَّةٌ مِنَ النَّامُوسِ، حَتَّى إِنَّهَا لَيْسَتْ زَانِيَةً إِنْ صَارَتْ لِرَجُل آخَرَ" (الآيات 1-3).

وتصوير بولس الإيضاحي للزواج معبّر جداً، لأنه يؤكد كم كانت مطاليب الناموس صحيحة وفعالة إلى اللحظة التي يبلغ فيها المرء الموت. تخيّل للحظة زواجاً حزيناً أصبحت فيه العهود الزوجية قيوداً بغيضة. ولا مناصَ من التحرر من تلك القيود إلا حين يلغي الموت تلك العلاقة. فالناموس يثبّت رباط عهد الزواج-في عيني الله على الأقلّ، ولكن حالما يموت الزوج تصبح المرأة حرة. فموت الزوج يلغي مركز المرأة كزوجة في نظر الناموس. ويشدّد بولس على حقيقة أن قوة الناموس تنتهي عند الموت. والمؤمن الروحيّ يعرف ذلك، ويرى أنه صحيح من حيث المبدأ والممارسة كليهما.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الإنسان الروحيّ، (2) **يُظهِر أن قوة الناموس تنتهي عند الموت**. فهو لم يعد "يحاول" الانتصار بعد أكثر مما "يحاول" الحصول على الخلاص. فقد اكتشف (أ) **طريق انتصار أكثر إثارة**. ويشدّد بولس في نقاشه على أن قوّة الناموس تنتهي عند الموت فيقول، "إِذًا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ، لِكَيْ تَصِيرُوا لآخَرَ، لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لِنُثْمِرَ لِلّهِ" (الآية 4). فمطاليب الناموس تتحطّم من جرّاء اتحادنا بالمسيح بموته.[7]

إنَّ تصويرَ بولس الإيضاحي شيقٌ حقاً. فقد انتهى الزواج القديم من الخطيئة البغيضة الحميمية التي لا تُطاق والتي أصبحت أكثر سوءاً بالناموس, وانحلّ ذلك الزواج، ليس عن طريق الطلاق بل بالموت. والمؤمن الآن "متزوّج من آخر". نستطيع كلنا كمؤمنين أن نتذكّر اليوم الذي أقبل فيه الروح القدس وأشار إلى ابن الله الحبيب، حاثاً إيانا أن نربط حياتنا بحياته. وسألَنا، "هل تقبل هذا الإنسان أن يكون مخلّصاً لك؟ هل تأخذه في الفقر أو الغنى، في المرض أو الصحة، وفي السراء أو الضراء، وفي هذا الوقت الحاضر وإلى الأبد؟" وكان الجواب السعيد، "نعم، سأفعل". وفي تلك اللحظة المقدسة انحلّ الزواج القديم من الخطيئة، وصار المؤمن متزوجاً من آخر، "لِلَّذِي قَدْ أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ". وأصبح المؤمن الآن للمسيح، يوليه حبّه وولاءه، وعليه أن يعيش وفقا لأوثق شروط العلاقة الحميمة مع المسيح المقام الذي أبطل الخطيئة وانتصر على الموت وأرضى الناموس. يا لها من طريقة شيقة للانتصار!

ولكنّ الإنسان الروحيّ، اكتشف بإظهاره أن قوة الناموس قد انتهت بالموت (ب) **طريقة أشمل في الانتصار**. فلم يعد فشل الجسد **يطارده**. "لأَنَّهُ لَمَّا كُنَّا فِي الْجَسَدِ كَانَتْ أَهْوَاءُ الْخَطَايَا الَّتِي بِالنَّامُوسِ تَعْمَلُ فِي أَعْضَائِنَا، لِكَيْ نُثْمِرَ لِلْمَوْتِ" (الآية 5). وهذه حجة أخذ بولس يطوّرها بأكثر تفصيل في الآيات 7-13. فالناموس له تأثيرٌ وخيم على الطبيعة الجسدية. وهو بالحقيقة يحفزها على العمل ويجعل بذورها القاتلة أن تثمر. إن الله، بتنحيتنا عن مبدأ الناموس، لاشى الآن كلَّ خوف من مثل هذا الفشل.

لم يعد حرف الناموس **يرهب** المؤمن. "وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ" (الآية 6). وبالطبع، ليس الناموس هو الذي أُسلِم إلى الموت بل المؤمن. وبدلاً من أن يسعى المؤمن لكي يتكيّف خارجياً مع "الحرف" (قواعد السلوك الخارجية المنصوص

عليها في الناموس) فإنه، وقد سكنه الروح القدس، يتمّم روح الناموس. ولا تتألف الحياة المسيحية من مجرد الامتثال لقائمة من القواعد والأنظمة؛ إنما هي ذات حياة الرب يسوع وجماله المسبوكين فينا بعمل روح الله.

ب. الناموس والإنسان الطبيعي (7:7-13)

إن كان الإنسان الروحيّ محرَّراً من الناموس، فإن الإنسان الطبيعيّ **مدانٌ** منه. دارت نقاشات كثيرة فيما إذا كان بولس يصف في هذا المقطع اختباره الحاليّ كقديسٍ مهزوم أم اختباره الماضي كخاطئٍ هالك. ومن حيث ان الأفعال الواردة هي في صيغة الماضي، فمن العدل – كما يبدو- الافتراض بأن بولس يعود هنا إلى أيامه قبل الاهتداء. ولكن الأفعال الواردة في الآيات 14-25 هي في صيغة الحاضر وهي تلمح إلى اختبار بولس بعد اهتدائه. فقد سعى في الأيام السابقة لاهتدائه إلى الحصول على الخلاص بجهوده التي لا جدوى منها في حفظ الناموس. ولكن الناموس أدانه فقط. وكان لا بد أن يأتي وقت في أثناء اختباره يجد فيه أنه استنزف تماماً نفسه وكل جهوده الخاصة، واستسلم كلياً للمسيح. هذا هو الاختبار الذي يصفه في الآيات 7-13. إن المماثلة التي يجريها في 14-25 واضحة, فهو كمؤمن عليه كذلك أن يبلغ آخر حد من جهوده الشخصية إذا أراد أن يعرف الانتصار.

فهو كإنسانٍ طبيعيّ غير مخلّص، وجد أن (1) **الناموس كشف عن الطبيعة الخفيّة للخطيئة** وفعل ذلك بطريقتين. فهو أول كلّ شيء، **كشف عن** طبيعة الإنسان الخاطئة. "فَمَاذَا نَقُولُ؟ هَلِ النَّامُوسُ خَطِيَّةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلاَّ بِالنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ:«لاَ تَشْتَهِ»" (الآية 7). إن وظيفة الناموس الموسوي العظيمة هي أن تكشف عن الخطيئة. يحاول الناس أن يستروا الخطيئة، ويجدوا لها الأعذار، ويموّهوها. يدعونها بأسماء محترمة، فالشخص ليس سكّيراً وإنما هو مدمنٌ على الكحول؛ والسُّكر ليس خطيئة وإنما مرض. والشخص ليس كذاباً ولكنه مراوغٌ أو، كما اقترح أحدهم، "منفتح بخيالٍ حيّ"! يتحدّث الناس عن أشخاص أنهم مصابون بعقد, ومخاوف مَرَضية, وموانع؛ ويقولون عن كتاب أنه يتّسم بالجرأة بينما يدعوه الله قذراً. يقولون عن رجلٍ إنه كانت له "علاقة ما"؛ بينما يقول الله إنه ارتكب الزنى. هذه إحدى الخدع التي يلعبها الناس، وهي لعبة قاتلة وخطرة. فمن ذروة الحماقة أن يأخذ المرء زجاجة من عن الرف، ويزيل اللاصقة المقيتة التي تحمل جمجمة وعظمتين متقاطعتين، وحروف سوداء حادة تقول، "سمّ"، ثم يضع لاصقة جذّابة تحمل عبارة "روح النعناع". فهذا ليس من شأنه إلا إخفاء الطبيعة الحقيقية لمحتويات الزجاجة، وإغراء الإنسان غير المستريب للشرب منها فيموت. مثل هذه الممارسة ليست حماقة فقط ولكنها جناية أيضاً؛ ومع ذلك، فهذه هي ممارسة الإنسان المعاصر عندما يواجهه واقع الخطيئة القبيح. وظيفة الناموس هي وسم الخطيئة باسمها الصحيح وكشفها عما هي عليه حقاً.

يقول بولس: "لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلاَّ بِالنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ:«لاَ تَشْتَهِ»". ولعل بولس كفرّيسي ذي ضمير لم يجد صعوبة تُذكَر في حفظ الوصايا التسعة الأولى من الوصايا العشر في الحقبة السابقة لاهتدائه. كان في وسعه أن يقول، "هذه كلها حفظْتُها منذ حداثتي." ولكن الوصية العاشرة كانت تتعامل مع الرغبة الداخلية، وعرف بولس جيداً أن رغباته الداخلية كانت في الغالب خاطئة. فقد أصبح بولس خاطئاً في الرغبات، إن لم يكن في الأفعال، وصار مكشوفاً للعنة الناموس.

إلا أنّ الناموس قام بأكثر من الكشف عن طبيعة بولس الشريرة، فقد أحيا طبيعته الخاطئة. "وَلكِنَّ الْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ. لأَنْ بِدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ. أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ بِدُونِ النَّامُوسِ عَائِشًا قَبْلاً. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا، فَوُجِدَتِ الْوَصِيَّةُ الَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسُهَا لِي لِلْمَوْتِ" (الآيتان 8-9). فقبل أن يأتي الناموس، كانت هناك حرية من ضميرٍ مشتكٍ، وهو نوع من السلام الزائف الذي يجلبه جهل الإنسان بأنه في جفوة مع الله. وقد غيّر مجيء الناموس من ذلك كله. فحدّه المستقيم يكشف اعوجاج الطبيعة البشرية، بل يتّخذ خطوة أبعد من ذلك يرغم فيها كل العصيان الكامن في قلب الإنسان على الظهور علناً. وكما تضيء شمس الصيف على أرض مقفرة وتدفئ ترابها مما يجعل البذور المختبئة تنبت إلى الحياة، لتغطّي البقعة بالأعشاب، هكذا أيضاً ناموس الله، يسطع على قلب الإنسان فيجعل بذور الخطيئة الكامنة تنبت وتكشف عن نفسها. وحقيقة ذلك واضحةٌ بما فيه الكفاية. ألا تثير اللافتة المكتوب عليها،

"ابتعد عن العشب" عصيانَ قلوبنا الكامن وتدفعنا للدوس بقدمنا على الأقل على الأرض الممنوعة؟ ألا تثير إشارة "السرعة القصوى 20 ميلاً في الساعة" رغبتنا في محاولة القيادة بسرعة تزيد عن 30 ميلاً في الساعة بدون أن نُضبَط؟ ألا تثير إشارة "سرعة المراقبة بالرادار" استياءً طفيفاً بأنه ليست لدينا فرصة حقيقية لنكسر القانون بنجاح؟ إن الناموس يكشف الطبيعة الكامنة للخطيئة.

سمع أحد ملاك الأراضي الأغنياء ذات مرة بستاني (حديقته) يلقي اللوم على آدم بسبب الأعشاب التي لعنت التربة, ومن جرّاء العرق الذي تصبّب من جبينه. صرخ البستاني، بينما كان يجاهد في حرّ النهار "اللعنة على آدم"؛ فسأله الغنيُّ أن يعلّل سبب تصرفه. أجاب البستاني، "حسناً، إنه ذنب آدم. فلو لم يخطئ آدم لما كانت هناك أعشاب ضارة أبتلي بها، أليس كذلك"؟ وردَّ ربّ العمل على البستاني بأنه لو كان في مكان آدم لربما أقدم على فعل الشيء نفسه، وهو اقتراح لم يَرُقْ للعامل.

وأجاب السيّد، "حسناً، تعال الليلة إلى منزلي لتناول العشاء وسنرى ما يحدث". وفي وقتٍ لاحق من ذلك اليوم حضر البستاني إلى منزل الرجل الغني، واقتيد إلى غرفة الطعام حيث فُرِشَتْ مائدة كبيرة بكل ما يمكن أن يرغب الإنسان الجائع في أكله. كانت جميع الأطباق مفتوحةً يتصاعد بخارها الساخن مالئاً الجوّ بأكثر الروائح شهية، باستثناءِ طبقٍ كبير واحد مغطى موضوع في وسط المائدة.

كان االبستاني ومضيفه على وشك الجلوس لتناول وجبة الطعام عندما دخل أحد الخدم واستدعى مالك الأرض إلى الهاتف. فاعتذر الغنيّ من ضيفه بقوله، "أرجو المعذرة! سأعود في غضون بضع دقائق. لماذا لا تبدأ في تناول الطعام؟ تفضّل وكُلْ من جميع ما على الطاولة ما خلا الطبق المغطى، فهذا الطبق محجوزٌ لي ولا أريدك أن تلمسه أبداً. هذا أمرٌ!"

ولم يمضِ وقت طويل بعد أن ملأ البستاني صحنه من الخيارات الواسعة من الأطايب التي أمامه حتى ألحّ عليه الفضول بصدد ذلك الطبق المغطى السريّ. وفكّر، "لا بد أن يكون فيه شيءٌ مميَّز لذيذ. إنني أعجب لماذا لا يمكنني الحظوة ببعض ما فيه. إنني لأرغب حتماً أن أعرف ما هو".

واستغرقت عودة المضيف وقتاً طويلاً. وأخيراً إذ لم يعد البستاني قادراً على كبح جماح فضوله، امتدّت يده عبر الطاولة ورفع غطاء الطبق، ليعرف على الأقل عما في داخله. وما أن سحب الغطاء حتى تطايرت من الطبق مئات الأرياش الصغيرة وتناثرت على طول المائدة وعرضها. وعندئذ فقط دخل الغني، وقال له مبتسماً، "اللعنة على آدم!"

وكإنسان طبيعي وجد بولس أيضاً بأن (2) **الناموس يكشف عن الطبيعة البشعة للخطيئة**، ومرة أخرى أقدم على ذلك بطريقتين. أولاً يكشف الناموس **خطورة** الخطيئة. "فَوُجِدَتِ الْوَصِيَّةُ الَّتِي لِلْحَيَاةِ هِيَ نَفْسُهَا لِي لِلْمَوْتِ. لأَنَّ الْخَطِيَّةَ، وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ، خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْنِي" (الآيتان 10-11). فالناموس يتضمّن عقوباتٍ ومبادىء أيضاً. ولديه قدرة على كشف الخطيئة ولكن ليست لديه القدرة على إزالتها، لأنه حتى ذبائح النظام الموسوي لم تكن سوى ظلال. لا يكافئنا الناموس على حفظنا لوصاياه؛ وإنما يعاقبنا على كسرها فقط. هل مِنْ شخص حدث أن أوقفه شرطي السير ذات مرة، وطلب منه الحضور إلى مركز الشرطة لكي يُكافأ على قيادته لسيارته بطريقةٍ منظمة في منطقة السرعة المحدودة، ولتوقّفه بشكلٍ سليم في جميع التقاطعات المشار إليها؟ ليست وظيفة القانون الطبيعية أن تهنّئ المواطن الملتزم به، وإنما أن تكشف عن المتعدّي على القانون وإدانته ومعاقبته. وناموس الله يعاقب بشدة. إن الدراسة الدقيقة للعهد القديم تبيّن أن عقوبة الموت كانت إما تابعةً لكسرِ كلِّ وصيةٍ من الوصايا العشر جميعها، أو مرتبطة بها.[8] هذا هو مقدار خطورة الخطيئة في عيني الله، فهي تحمل عقوبة الموت في هذه الحياة والعقاب الأبدي في الحياة العتيدة.

لنفترض أن مجنّداً حادّ الطبع أقدم على ضرب زميله الجندي في غرفة الثكنة. قد تكون عقوبة تعكير صفو السلام بضعة **أيام** من الاعتقال. ولكنه لو قام بضرب رقيب لكانت عقوبته ثلاثة **أسابيع** من الاعتقال، أما لو أساء إلى ضابط فعلى الأرجح تكون عقوبتة ثلاثة **أشهر**. ولكن لو حاول أن يقوم بضرب رئيس الولايات المتحدة لدى زيارته فإن حرس الرئيس يقتله على الفور. في كل حالة من تلك الحالات ارتكب الذنب نفسه- ضَرْب إنسان آخر. ولكن كلما تزايدت كرامة الشخص المتعدى عليه ورتبته تزايدت نسبة خطورة

الجرم. كل خطيئة هي ضدّ الله (مز 4:51؛ لوقا 18:15، 21) وبالتالي هي فعلٌ بلغ من الخطورة يستحقّ معه لعنة أبدية. إحدى الوظائف الهامة للناموس هي كشف مدى خطورة الخطيئة.

ولكن بولس وجد أن الناموس، عند كشفه عن الطبيعة البشعة للخطيئة، لا يكشف عن خطورتها فحسب بل عن **خطئها** أيضاً. "إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ. فَهَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا! بَلِ الْخَطِيَّةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ" (الآيتان 12-13). هناك على الأقل خمس عشرة كلمة عبرية في العهد القديم بمعنى الخطيئة التي تغطي جميع المجالات الممكنة للمواقف الخاطئة من نحو الله والناس, كما يوجد في العهد الجديد اليونانيّ ما يقارب العدد نفسه من الكلمات المختلفة التي تغطي مثل الأفكار المماثلة للخطيئة كالشر, والفجور, والعصيان, والتعدي, والإثم, والزلة, والذنب. ومثل هذه المفردات الغنية في كلٍّ من العهدين تكشف تماماً ما يفكر الله فيه من نحو الخطيئة بجميع أشكالها. فهي خاطئة جداً. فمقاييس السلوك العالية والمقدّسة التي يطالب بها الناموس تترك الخاطئ مكشوفاً وتائهاً غير قادر عن الدفاع عن نفسه. لا يستطيع الناموس أن يخلّص- فهذا هو اختصاص النعمة. ووجد بولس، من حيثُ أنه خاطئ، أن أفضل جهوده لربح الخلاص هي غير مجدية. فقد جوبهَ بشريعة "مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ" وهي القمم السامية التي يعجز عن تسلّقها؛ وعلاوة على ذلك، فإن نيرانها ورعودها أدخلت الرعب إلى قلبه.

ج. الناموس والإنسان الجسديّ (7:14-25)

إذا كان الإنسان الروحيّ **محرّراً** من الناموس، والإنسان الطبيعي **محكوماً** عليه من الناموس، فإن الإنسان الجسديّ، بالمقياس ذاته، **مغلوبٌ** من الناموس. هناك هوّة كبيرة بين ما يطالب به الناموس وبين ما يقدر الجسد على إنتاجه. لاحظ (1) **مقدار وضوح هذه الهوّة**. "فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ، وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ" (الآية 14). ولا تُستخدَم كلمة "جسديّ" لتصف الإنسان غير المخلَّص وإنما المسيحيّ الذي، مع أنه قد حصل على الخلاص، إلا أنه ما زال يرسف في عبودية قوة الجسد. الناموس روحيّ، "هناك نقص في التكيّف الأخلاقي ما بين الناموس والإنسان الجسديّ. فقد ابتدأ بطرس بالغرق لدى محاولته المشي على الماء لأنه كان في المجال الذي يتلاءم مع الإنسان المشكّك فقط."[9] إن المسيحيّ الجسديّ لا يستطيع أن يتصرّف بالطريقة التي يتوقّعها الله لسببٍ بسيطٍ هو أنه، "مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ" وهي عبارةٌ مستعارةٌ من سوق العبيد.

والشيء التالي الذي يجب ملاحظته هو (2) **كم هو مدى العناية التي تم فيها استعراض هذه الهوّة**. لاحظ التكرار الثنائي لكلمة "لأن". فالهوة توجد أولا **على أساس الإمكانيات المتضاربة.** "لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ، فَإِنِّي أُصَادِقُ النَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. فَالآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذلِكَ أَنَا، بَلِ الْخَطِيَّةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ" (الآيات 15-17). يوجد هنا صراع إمكانيات وهو صراع حقيقيّ جداً. فلكلّ مؤمنٍ حقيقيّ طبيعتان، طبيعة قديمة وهي الطبيعة الآدمية التي ولد فيها، والتي لا يمكنها أن تفعل أيَّ شيء صحيحاً (راجع الآية 18)؛ ولديه أيضاً طبيعة جديدة، طبيعة الله التي لا تخطئ (1 يوحنا 9:3). وهاتان الطبيعتان في صراعٍ مستمر (غل 17:5) لسببٍ بسيط هو أنهما لا تتفقان ولا تتماشيان معاً.

وبالإضافة إلى ذلك، توجد الهوّة بسبب **الأهداف المتعارضة، "**فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا، بَلِ الْخَطِيَّةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ." (الآيات 18-20). وفي مقطعٍ سابق من الرسالة أكد بولس على حقيقة أنه "ليس من يفعل صلاحاً، ليس ولا واحد". وما يشيد به الإنسان على أنه "جيّد" ليس جيداً على الإطلاق، لأنه لا يمكن لأي شيء ينجم عن حياةٍ منعزلة عن الله أن يكون جيّداً. فالمؤمن الجسديّ يجد نفسه على مفترق هدفين متعارضين، فهو يرغب في نوعين مختلفين من الحياة في الوقت نفسه.

كما أن الهوّة موجودة أيضا بسبب **المبادئ المتعارضة**. "إِذًا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟" (الآيات 21-24). يرى بولس هنا ناموسَيْن أو سلطتين روحيّتيْن قيد العمل. هناك ما يمكن تسميته (1) **ناموس سيناء**، ناموس الله. وهذا الناموس مقدّس وعادل وصالح؛ وهو يوجه بولس نحو السماء، وهو يتطلّب الكمال المطلق كمقياس للسلوك لأن الكمال هو المطلب الأدنى لله الذي يتوافق مع ذات قداسته.

ثم هناك ناموس مضادّ يسميه بولس (2) **ناموس الخطيئة**. عندما سقط آدم في جنة عدن وضع الجنس البشري بأكمله تحت هذا الناموس. ويدعوه بولس أيضاً، "ناموس الخطيئة والموت" (2:8). إنّ كلَّ علمٍ بالسلوك البشري يتجاهل قانون الخطيئة لابد في النهاية أن يهيم في ضلالٍ يائسٍ بعيد عن الحق. ومع ذلك، فإن مدارسنا وجامعاتنا تدرس كل قانونٍ معروف لفروع العلوم باستثناء قانون الخطيئة. ولكن الحقيقة تبقى، أن قانون الخطيئة هو الذي يفسّر حقاً سبب ما يقترفه الناس من أعمال. هو في ذات أصل كل المشاكل السلوكية. ويرى بولس أنه في الوقت الذي يوجهه قانون سيناء نحو السماء فإن قانون الخطيئة يجرّه نحو الهاوية. فهو يعمل في المجال الأخلاقيّ تماماً كما يعمل قانون الجاذبية في المجال الماديّ. إنه يزاول قوة شد نحو الأسفل.

ثمّ يصف بولس بعد ذلك مبدأين يراهما يجدَّان في العمل في داخله. (1) هناك ما يدعوه " **نَامُوسَ ذِهْنِي**". ويبدو هذا الناموس متطابقاً عملياً مع ناموس الله في الآية 22. وعلى أيّة حال، فهو يصطف مع ناموس الله، لأن بولس يعترف بأنه، "أَنَا نَفْسِي بِذِهْنِي أَخْدِمُ نَامُوسَ اللهِ" (الآية 25). وبعبارة أخرى، إنّ إنسانه الباطن يبتهج بناموس الله. وكل مؤمن حقيقيّ يعرف ما يتحدّث بولس عنه هنا. فنحن نصادق مصادقة فكرية على نواميس الله. نحن نقرأ الموعظة على الجبل ونقول، "نعم، أودّ أن أعيش كذلك". ندرس حياة يسوع ونقول، "نعم، أودّ أن أكون مثل يسوع". فكل مؤمن يصطفّ عقلياً مع الله بشأن مسألة السلوك.

ولكن هناك مبدأ مضاد يعرّفه بولس بأنه (2) **ناموس في أعضائي** (الآية 23). يبدو أن هذا الناموس متوافق مع ناموس الخطيئة. في الواقع، يقول بولس إنه، "نَامُوس الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي" (الآية 23). فهو ناموس الخطيئة التي تفرض نفسها بقوةٍ على أعضاءِ جسدِ المؤمن لكي تنظر العيون بشهوةٍ في كثيرٍ من الأحيان، ويفلت اللسان في الثرثرة، والأذنان في سماعِ ما هو نجسٌ وغير لائق؛ كل ذلك قسراً عنها.

إن الهوة بين مطالب الناموس وبين ما يمكن أن ينجمَ عن الجسد هي هوةٌ واسعة. فالمؤمن يجد نفسه ممزّقاً بين الإمكانيات والأهداف والمبادئ المتضاربة، ويصرخ، "وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ"؟

يعتقد البعض بأن بولس يستخدم أسلوب القياس هنا. كان الرومان يقومون بإعدام بعض أصناف المجرمين بوحشيّةٍ خاصة. ففي بعض الأحيان، إذا ارتكب إنسان ما جريمة قتل، كان يُربَط يداً ليدٍ، ووجهاً لوجه،مع جثّة ضحيّته ثم يلقيان تحت وطأة حرارة شمس منطقة البحر الأبيض المتوسط. وكانت الجثة، في أثناء تفسّخها، تُسَرِّب الموت إلى الإنسان الحيّ وتصبح له، بالمعنى الحرفي الدقيق "جسد الموت". **ويرى** بولس هنا المؤمن الجسديّ مغلولاً هكذا إلى الطبيعة القديمة وإنساناً شقياً بالفعل. لنفرض أنه كان على عالم أحياء أن يجري تجربة تطعيم فراشة في مرحلة معينة من تطورها بعنكبوت بطريقة يلتحم فيها المخلوقان في واحد، وهكذا ينمو هذا المسخ حتى مرحلة النضج. أي صراعٍ غرائزيٍّ يمكن أن ينشب في مثل هذا المسخ! فجزءٌ من طبيعة المخلوق سيتوق إلى التحليق في فضاء السماء الصافية, بينما يشتهي الجزء الآخر شبكةً في زاويةٍ مظلمة وغذاءً قوامه الدماء. ما الذي يمكن عمله بمخلوقٍ كهذا؟ لا شيء سوى القضاء عليه. هناك منطق في الطريقة التي أجرى فيها الشيطان في جنة عدن عمليةً جراحية شيطانية كهذه على الجنس البشري، فتمَّ تطعيم جزء من شخصيّته، إن جاز التعبير، في شخصية الإنسان وكانت نتيجة هذا الاتحاد هي هذا "الجسد". كان هناك شيء واحد يستطيع الله أن يفعله للجسد وهو الحكم عليه بالموت. وهذا بالضبط ما فعله

بتوحيدنا مع المسيح بموته. إن الجسد فاسدٌ بشكلٍ ميؤوسٍ منه ولا يمكنه أن ينتج شيئاً مقبولاً لدى الله. ورجاؤنا هو في التحرّر منه بالطريقة التي عيَّنها الله. وهذه الطريقة، بالطبع، هي الموضوع الكبير في رومية 6 و8.

الشيء الأخير الذي يقتضي ملاحظته هو (3) عن **كم كان امتداد هذه الهوّة كاملا**. ما هو جواب بولس النهائي؟ عندما تم اقتياده أخيراً إلى النهاية الكاملة رأى طريق النجاة. "أَشْكُرُ اللهَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (الآية 25). فكما أن الحياة الأبدية هي "بيسوع المسيح ربنا" هكذا أيضاً النجاة من الجسد تكون من خلاله. لم يتعامل الربّ يسوع على الصليب بشكلٍ فعّال مع مشكلة الخطيئة ومشكلة الشيطان فقط وإنما مع مشكلة النفس أيضاً. وسيبيّن لنا بولس في الفصل التالي كيف يمكن اختبار هذا الانتصار المشروح بمثل هذاالإسهاب في الفصلين 6 و 7.

اختبار طريق الانتصار

8:1-39

اولا. الناموس الجديد

أ. لا مزيد من الدينونة بسبب الخطيئة (8:1)

ب. لا مزيد من تسلّط الخطيئة (8:2)

ج. لا مزيد من الاستمرار في الخطيئة (8:3-4)

ثانيا. الرب الجديد (8:5-13)

أ. الروح القدس يتحكم بالذهن (8:5-7)

ب. الروح القدس يتحكم بالدوافع (8:8-9)

ج. الروح القدس يتحكم بالأعضاء (8:10-13)

ثالثا. الحياة الجديدة (8:14-39)

أ. التشديد على البنوّة (8:14-17)

1. التبنّي في العائلة (8:14-17)

2. التكيف من أجل العائلة (8:18-27)

أ. في تأثيرها على الخليقة (8:18-22)

ب. في تأثيرها على المسيحيّ (8:23-25)

ج. في تأثيرها على المعزّي (8:26-27)

ب. التشديد على الضمان (8:28-39)

1. المؤمن معيّن مسبقاً للمجد (8:28-30)

2. المؤمن محفوظ للمجد (8:31-39)

أ. أساس هذا الرجاء (8:31-32)

ب. كمال هذا الرجاء (8:33-34)

1. هزيمة خصمنا الكاملة (8:33)

2. دفاع محامينا الكامل (8:34)

ج. نهائية هذا الرجاء (8:35-39)

3. 1. لا يمكن لعدوٍ أن يرعبنا (8:35-37)

2. لا يمكن للخوف أن يلاحقنا (8:38-39)

كان بولس قد انتهى آنئذ من شرح القوانين الروحية التي تصفِّد المسيحيّ الجسديّ إلى عبودية الخطيئة والذات. وقد ألمح إلى أن هناك طريقةً للنجاة من الصراع المستمر المرهق وهي "بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا". وسيبيّن الآن كيف يمكن لطريقة الهروب هذه أن تصبح حقيقة عملية في الاختبار اليومي.

أولاً: الناموس الجديد (8:1-4)

تتوافر للمؤمن بحسب هذا الناموس الجديد حرية كاملة من كلتا عقوبة الخطيئة وسلطتها.

أ. لا مزيد من الدينونة على الخطيئة (8:1)

يبدأ هذا الفصل الثامن العظيم من سفر رومية بعبارة، "لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ" وينتهي بعبارة -"عدم الفصل" (عن محبة المسيح). "إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (الآية 1). أما كلمات "السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ" هي، كما يقول سانداي، مقحمةً على الآية. ويبدو أنها نُقِلت إلى الآية الأولى من نهاية الآية الرابعة إذ أنها تتكرّر هناك أيضاً. لا توجد شروط مرفقة تتعلق بتحرُّرِنا من الدينونة لأن النعمة تكفل لنا ضمانةً غير مشروطة.

إن تعبير"في المسيح" هو أحد تعبيرات بولس المفضّلة. وهو يرد في جميع رسائله ويشير إلى منطقة جديدة نُقِل المؤمن إليها عند اهتدائه. وليس من اليسير استيعاب مفهوم "في المسيح" بمعزلٍ عن وجود مثال توضيحيّ؛ إن العهد القديم هنا ذو فائدة لأن إحدى أعظم وظائفه تسليطه نوراً توضيحياً على العهد الجديد. ولعل البحث الدؤوب في العهد القديم يمكن أن يفضي إلى العثور على إيضاحٍ بياني لأي تعليم أو ومفهوم رئيس في العهد الجديد؛ ومفهوم الضمانة "في المسيح" غير مستثنى منها.

خذ على سبيل المثال قصة نوح. عندما تم الانتهاء من بناء الفلك وتأّمنت وسيلة مثالية للهروب من الغضب الإلهي، صدرت الدعوة، "ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ" (تك 1:7). لقد طُلِي الفلك "من الداخل ومن الخارج بالقار" ومن المثير للاهتمام أن الكلمة العبرية "القار" هي اللفظة المماثلة المستخدمة في أماكن أخرى لتفيد معنى "الكفارة". فبين الناجين في الفلك ومياه الدينونة في الخارج كان الحاجز هو الخشب والقار. وعندما أصبح نوح وعائلته بأمان في الفلك نقرأ "أَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ" (تك 16:7). كان هنا الأمان الكامل. لم يقل الله لنوح لدى الانتهاء من بناء الفلك، "أريدك الآن يا نوح أن تأخذ ثماني دفات خشبية وتسمّرها على عوارض الفلك الخارجية. وما دمت أنت وعائلتك متمسّكين بها فستنجون، ولكن إن أفلتُّموها مرة فستهلكون." لا! أغلق الربّ عليه. وما عنى به لنوح أن يكون "في الفلك" هو ما يعنيه لنا أن نكون "في المسيح". فقد وضعنا الله، في المسيح، في منطقة لا يمكن لغضبه أن يصل إلينا أبداً، ونحن مضمونون بمقدار ما يستطيع المسيح عمله. لم يعد هناك دينونة من جراء الخطيئة.

ب. لا حاجة بعد إلى تحكُّم الخطيئة (8:2)

هذا هو المكان الذي يأتي فيه الناموس الجديد. يقول بولس، "لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ" (الآية 2). تصوَّر عملة نقدية تسقط نحو الأرض بتأثير قانون الجاذبية. إن تلك العملة عاجزة بحد بذاتها عن التغلّب على قوة اجتذاب الأرض السفلي لها لأن السقوط الانجذابيّ هو من ذات طبيعتها. ولكن قبل أن تصل بعيداً، يمدّ أحدهم ذراعه ويمسك العملة بقوةٍ في يده، ثم يرفعها إلى أعلى فأعلى متحدّياً قانون الجاذبية. إن قانون روح الحياة في ذراع ذلك الشخص يتغلّب على قانون الجاذبية. وهذا لا يعني أن القانون الأصلي قد توقّف عن العمل، ولكنه يعني أن هناك قانوناً أقوى قد فرض ذاته. نحن نخطئ بالطبيعة لأننا ضحايا السقوط ولأن من شأن طبيعة الإنسان الساقط أن تخطئ، ولكن "في المسيح يسوع" يعمل قانون أعلى وهو "ناموس روح الحياة"؛ وهذا الناموس يحرّرنا من الناموس الأدنى الذي هو ناموس الخطية والموت. إن محدودية مثال العملة التوضيحي كامنة في أن العملة مجردة من إرادة خاصة بها، بينما هي متوافرة لنا. يمكن لنا أن نخفق في التمتع بالتحرّر من سيطرة الخطيئة لعدم الإيمان أو العصيان.

ج. ينبغي الكف عن الاستمرار في الخطيئة (8:3-4)

لا يمكن أبدا التحرّر من سيطرة الخطيئة بفضل جهودنا الذاتية في حفظ الناموس. "لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ" (الآيتان 3-4). كان الناموس "ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ". ليس لأن الله يطالب الإنسان بأكثر مما يستطيعه، بل لأن الله لا يمكن أن يرضى بأقل من الكمال المطلق؛ والإنسان ببساطة، لم ولا يستطيع أن يعيش بالجسد على مستوى مطالب ناموس الله.

ولكن، من ثَمَّ جاء المسيح في جسدٍ يماثل أجسادنا، إلا أن جسده كان بلا خطيئة، غير ملوث بالسقوط. عاش لأكثر من ثلاثة وثلاثين عاماً في جسدٍ لحميّ بدون أن يخضع مرة واحدة إلى فكرة خاطئة أو ينطق بكلمةٍ سيئة أو يرتكب فعلاً غير لائق. كانت حياته إدانة "للخطيئة في الجسد". إن الناس الذين يظنون أن حياة المسيح أعطيت لنا كمجرّد مثال يقترفون خطأ جسيماً، فحياته إدانة كلية لنا. وهي كحجاب الهيكل تحجزنا عن محضر الله؛ ومثل الحجاب الذي انشقّ إلى اثنين هكذا أيضاً كان على جسد المسيح أن يتمزّق في الجلجثة. وكما أن حياته الطاهرة كانت ضرورية لتكميل خطة الفداء إلا أنها لم تكن هي التي تخلصنا بل موته. فقد أعرب الربّ يسوع بحياته عن إمكانية حفظ ناموس الله في حياة بشرية، حياة يحياها في اللحم أي في الجسد. ومن خلال معجزة سكنى المسيح في المؤمن فإن طبيعة الحياة التي عاشها يسوع يمكن أن تُستولَد ثانية فينا بروحه. فهي لا تثمر **بواسطتنا** بل **فينا** إن كنا "سالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ".

ثانياً. الرب الجديد (8:5-13)

تبيّن لنا دراسة الفصل السابع من رومية مقدار هيمنة لفظة "أنا" وضمير المتكلم المتصل المفرد "ي". وبالمقابل فإن الروح القدس يهيمن على الفصل الثامن من رومية وقد ورد ذكره فيه ما لا يقلّ عن 19 مرة، فالرب الجديد في حياة المؤمن هو روح الله القدوس.

أ. الروح القدس يتحكَّم بذهن المؤمن (8:5-7)

"فَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، وَلكِنَّ الَّذِينَ حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لِلهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ" (الآيات 5-7).

نجد في قصة إسحق مثالاً رائعاً عن الذهن الجسديّ العامل في حياة المؤمن. فمزاولة **استخدام** الذهن الجسديّ تجسَّدَ في حُبِّ إسحق لِلَحْمِ الصَّيْد. تتكرّر في تكوين 27 كلمات "صيد" أو"أطعمة شهية" أو "أكل" حوالي عشرين مرة. والسرّ في هذا كله هو ما نقرأه في فصلٍ سابق حيث قيل عنه، "فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْدًا" (تك 28:25). لا نقرأ أن إسحق أحبّ عيسو لأنه رجل الله القدّيس، لو فعل لكان ذلك أمراً مختلفاً، ولكن لا يوجد في النص تصريح مثل هذا. لم يكن عيسو رجل الله؛ وفي الواقع استطاع التسلط على أبيه بفضل إشباع شهيته وحبِّه المفرط للطعام.

وتتّضح **عيوب** الذهن الجسديّ في أخطاء إسحق المتعاقبة المدونة في تكوين 27. في أول الأمر، ظنّ أنه كان مشرفاً على الموت (تك 2:27) في حين أنه عاش أربعين سنة أخرى على الأقل، وخذلته حواسه الواحدة تلو الأخرى. فقد كان أعمى أو يكاد، وخدعته حاسة الذوق لأنه ظنّ أن طبيخ لحم المعزى المغلي هو لحم صيد مشويّ مطيب بالتوابل. أما يداه اللتان لمستا جلد المعزى الذي ارتداه يعقوب جعلتاه يظن خطأ بأنه يلمس يدي عيسو المُشعرتين. كما اشتمَّ رائحة الحقل في يعقوب، فاعتقد أنه عيسو. وحاسة السمع فقط هي الوحيدة التي لم تخدعه ولكنه لم يثق بها.

ويتضح **عداء** الذهن الجسديّ في تصميم اسحق على منح البركة الأبوية لعيسو في الوقت الذي عرف فيه جيداً أنّ مشيئة الله هي أن تكون من نصيب يعقوب (تك 25:23-26؛ 27:1-4، 24-33). "لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لِلهِ".

هناك أمثلة لا تحصى في الكتاب المقدس عن عمل الذهن الجسديّ وعداوته. فكّر في إبراهيم وزواجه من هاجر؛ وفي اختيار لوط لسدوم؛ ومعاهدة يشوع مع الجبعونيّين؛ وإبقاء شاول على ماشية عماليق؛ وزواجات سليمان السياسية؛ وهروب يونان إلى ترشيش؛ وقطع بطرس لأذن ملخس. هذه وسواها من الأمثلة العديدة الأخرى تسعف على توضيح هذا المبدأ. هناك طريقة وحيدة لتفادي الأخطاء التي يرتكبها الذهن الجسديّ وذلك بأن يكون لنا "فكر المسيح" (في 2:5؛ ا كور 2:16). والطريقة الوحيدة ليكون لنا فكر المسيح هي في السماح لروح المسيح بأن يسيطر على الذهن.

ب. الروح القدس يتحكّم في دوافع المؤمن (8:8-9)

هناك فرق كبير بين أن يكون الإنسان "في الجسد" وأن يكون "في الروح". يشير بولس مباشرة إلى هذا الأمر، "فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ" (الآيتان 8-9). فمعنى أن يكون المرء في الجسد هو أن يكون مدفوعاً برغبات الجسد، أما كونه في الروح فمعناه أن يكون مدفوعاً بحوافز روح الله. ويميّز هذا المقطع ما بين الإنسان المخلَّص والإنسان غير المخلَّص لأن غير المخلَّص لا يتمتّع بسكنى الروح القدس فيه.

إنَّ الاستسلام إلى الروح القدس وحده يضمن رضا الله عن دوافعنا، فكما قال إرميا، "اَلْقَلْبُ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ، مَنْ يَعْرِفُهُ؟ أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى ..." (إر 17:9-10). لا يمكن للمؤمن مهما حَسُنَت نيّته أن يقيّم دوافعه الخاصة بشكلٍ سليم ما لم يشعّ الروح القدس وحده بنور الكتاب على ضميره. نحن في حاجةٍ أن نصلي:

امتحنّي يا إلهي واختبرْ أسراريَ
وافحصنْ أعماقَ قلبي وأنرْ أفكاريَ
وانظرن إن كنت تَلْقَى فيّ ميلاً باطلاً

واهدِني ربّي طريقاً أبدياً كاملاً

امتحنْ قلبي وفكري أنتَ عَلّامُ الغيوبْ
واغسلنْ قلبي وقدّسْ عملي وامحُ الذنوبْ
وأنرْ مخدعَ نفسي حيثُ أهوائي تثور
واكشفنْ لي يا إلهي هولَ أدناسِ الشرور

فأرى ما كنتُ قبلاً من حياتي جاهلا
وأرى حبَّك أيضاً في يسوع شاملا

ج. الروح القدس يتحكَّم بأعضاء المؤمن (8:10-13)

ناقش بولس في رومية 7 ناموس الذهن وناموس الأعضاء. وشرع يبيّن لنا الآن كيف يستطيع روح الله أن يقيم جسد المؤمن من الموت، ثم بالتالي، يتحكم بذات أعضاء جسد المؤمن، ويحقّق له النصر في هذا

المجال. "وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ. وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ. فَإِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ نَحْنُ مَدْيُونُونَ لَيْسَ لِلْجَسَدِ لِنَعِيشَ حَسَبَ الْجَسَدِ. لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ" (الآيات 10-13).

تشير دائما عبارتا "الفاسد" و "غير الفاسد" إلى الجسد. فهذا "الفاسد" سيلبس عدم فساد عند القيامة (1 كور 15:53-54). ولا يزال الجسد عرضة للموت في سياق الأحداث الطبيعي، من جراء الخطيئة. إن الروح القدس يحيي روح الإنسان عند التجديد، وستُلبَس أيضا أجسادنا هذه عند القيامة بحياةٍ خالدة.

استخدام اسم "يسوع" هنا (الآية 11) مدعاةٌ للاهتمام لأن المكان الوحيد الآخر في الرسالة الذي يرد فيه هذا اللقب المفرد هو 26:3. إن اسم "يسوع", بالطبع, هو اسم المسيح الإنسان. ويريد بولس أن يلفت الانتباه إلى حقيقة أن يسوع كان ذات مرةٍ في موقف الضعف إلا أن الله أقامه من الموت بالروح القدس. والروح نفسه، الذي أقام يسوع، يسكن فينا! وفي حين أن هذه الآيات تشير بشكلٍ رئيس إلى القيامة العتيدة فإنها تنطوي أيضاً على أنَّ الروح القدس يستطيع أن يعطينا الغلبة على ناموس أعضائنا حتى الآن. ويطالب بولس في موضعٍ لاحق من الرسالة أن يقدِّمَ المؤمن جسده لله كذبيحةٍ حية (1:12). وعمل الاستسلام هذا هو أحدُ أهمِّ الخطوات لبلوغ حياة الانتصار، فجسد المؤمن هو هيكل الروح القدس (1 كور 3:16-17؛ 6:19-20) الذي يرغب في أن تكون له السيادة الكاملة على هيكله. وحالما يتولى ا روح الله السيطرة على جسد المؤمن فإنه آنئذ يصبح قادرا على إضفاء النُّصرة على الخطايا، الأمر الذي ينطوي على استخدام أعضاء الجسد.

ثالثاً. الحياة الجديدة (8:14-39)

إن منح ناموس جديد يحرر من الخطيئة يستدعي أيضاً سيادة رب جديد ليس هو سوى الأقنوم الثالث من الثالوث الإلهيّ. ومن الجلي أن تعقب ذلك حياة جديدة. وموضوع بولس في بقية هذا الفصل الكبير يدور حول هذه الحياة الجديدة وما تنطوي عليه من بنويّةٍ وأمن.

أ. التركيز على البنوّة (8:14-27)

إنها لحقيقة أساسية من حقائق الإنجيل أن على الإنسان أن يولَد ثانية قبل أن يمكن اعتباره ابناً لله (يوحنا 1:11-13؛ 3:3-8؛ 1 بطرس 1:23-25؛ 1 يوحنا 3:9؛ 4:7؛ 5:1، 4، 18). على أية حال، إن ولادة المرء في عائلة الله بمعجزة التجديد هي شيء، وأن يصبح ابناً بالغاً فهو شيء آخر. لا يتحدّث بولس كثيراً عن الاهتداء ككونه الولادة الجديدة، ولكنه يتحدّث مطوّلاً عن موضوع البنوّة والنضج الروحيّين.

يناقش بولس أولاً مسألة (1) **تبنِّينا في عائلة الله**. إن فكرة التبني القانوني في عائلة هي مفهومٌ رومانيّ أكثر مما هي فكرة يهوديّة أو يونانيّة. ويبدو أن الرومان ربطوا التبني كلياً بالوضع المدني الشرعي. إن الروح القدس هو الذي يجعل من المؤمن ابناً بالغاً في عائلة الله. هناك ثلاثة آراء مرتبطة بهذه الحقيقة. فالمتبنّون في عائلة الله هم مقودون بالروح، لأن بولس يقول، "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ" (الآية 14). وأحد الأدلة على البنوة في العائلة الإلهية هو تعاون المؤمن مع خدمة روح الله المرشدة والقائدة. وليس هناك أي شكّ أن الله يُسَرُّ بقيادة أولاده. وقد أعدَّ لإسرائيل في أيام العهد القديم عموداً من السحاب الناريّ لقيادتهم في البرية المقفرة. كانت قيادتهم واثقةً ومستمرة وجليّة، إذ كان في وسع حتى أصغر

طفلٍ أن يرى متى يتحرّك العمود السحابي وإلى أين. وتختلف مبادئ إرشاد المؤمن اليوم، ولكنها مع ذلك ما برحت واضحة. يفتقر العديد من المؤمنين إلى حسٍّ واضح بالقيادة الإلهية في حياتهم. وقد يكون العائق الأكبر للشعور المستمرّ بالقيادة الإلهية هو النقص في وقت الخلوة اليومية الهادئة مع الله. كيف يمكن لله أن يتحدّث إلينا إن كنا لا نتأمّل في كلمته؟ **والعائق الرئيس الثاني** هو رفض إتباع قيادة الروح حين يتم إعلانها. فأولاد الله يتعاونون مع قيادة الروح.

وهؤلاء المتبنّون كأولاد في عائلة الله لا يقودهم الروح القدس فقط بل هم **محبوبون أيضا من الله**، "إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يَا أَبَا الآبُ. اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ" (الآيتان 15-16). والصرخة "يا أبا الآب" مثيرة للاهتمام جداً. يقول لنا دبليو إي ڤاين أن "'أبا' هي صرخة الرضيع، وهي اللفظة الضعيفة البسيطة للثقة المجرّدة من المنطق وناجمة عن تأثير الشعور وليس عن المعرفة. وهي كلمة آرامية (يقابلها بابا بالعربية). وكانت شكلاً من أشكال الألقاب التي حظّر اليهود على العبد أن ينادي بها ربّ العائلة. وليست كلمة 'أب' (پاتر باليونانية واللاتينية) ترجمة لكلمة 'أبّا'، بل هي طريقة أخرى في التسمية. وهي رابطة علاقية يدركها بذكاء من يتلفظ بها. هي كلمة الثقة البنويّة، والتواصل والطاعة، والتجاوب مع محبة الله الآب اللطيفة والتعبير عنها والتمتّع بها. إن هذين التعبيرين معاً يعبّران عن المحبة وثقة الطفل الذكية" [2].

لقد استخدم الرب يسوع ذات هذا التعبير في جثسيماني، "يا أَبَا الآبُ" (مرقس 36:14). فمن خلال معجزة التجديد، تم حصولنا على أقرب علاقة حميمة مع الآب السماوي، وهي نوع العلاقة الحميمة التي تمتّع بها يسوع نفسه. و"شهادة الروح" في هذا السياق ذات مغزى. يرد ذكر وظيفة روح الله ثلاث مرات في العهد الجديد. فهو يشهد لنا (عب 15:10)، وفينا (1 يوحنا 10:5)، ومعنا (رو 16:8). إن الحقيقة، والإيمان، والمشاعر، بادية على التوالي في هذه المراجع الثلاثة. وهنا بالطبع، هي المشاعر لأن شهادة روح الله مع أرواحنا تتيح الفرصة لهتاف صرختنا البهيجة " يَا أَبَا الآبُ".

وأكثر من ذلك، فإنَّ هؤلاء الذين أصبحوا متبنِّين في العائلة يرفع الابن من مقامهم. "فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ" (الآية 17). وكلمة "إِنْ" هنا مماثلة لـ "إِنْ" في الآية 9، فالفرضية التي تم اعتبارها حقيقة واقعة هي، ولا شك، قائمة على فرضية. وقد تكون عبارة "بالنظر إلى" أو "من حيث أنّ" ترجمة أفضل لدى بعض السلطات اللاهوتية. وتؤكّد آيات كتابية أخرى مثل 2 تسالونيكي 10:1؛ و1 كورنثوس 23:15؛ وكولوسي 4:3؛ و1 يوحنا 2:3 حقيقة كون جميع المؤمنين "سيتمجّدون معاً" مع المسيح.

إنّ شرط التمتع بالميراث هو التألم "**مع** المسيح"، وليس مجرد التألم فقط. ويبدو أن بولس يعتبر تحقيق هذا الشرط أمراً مسلّماً به. ومن الجدير بالملاحظة أن المكان الوحيد الآخر في العهد الجديد الذي يرد فيه تعبير "التألم مع" موجود في 1 كورنثوس 26:12: "فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ". والسياق في كورنثوس الأولى له علاقة بوحدانية جسد المسيح. ليس التألم في جسدٍ موضوعَ اختيارٍ بل شيئاً تقتضيه بالضرورة علاقة أحد أعضاء الجسد بكل عضو آخر. ومن حيث أنّ المسيح هو رأس هذا الجسد يترتّب على ذلك أن الأمور التي تؤلم الرأس ستؤلم الأعضاء أيضاً. فالتبني, إذًا, في عائلة الله ينطوي على قيام المسيح برفع مقامنا لكي نتمكّن في مشاركته في آلامه ومجده، في أوجاعه وميراثه، وفي صليبه وتاجه.

ومن حيث أن التبني في عائلة الله امتيازٌ لا يُقدَّر بثمن، فإنه ينطوي على عملية إعداد (أو تلمذة). ينبغي أن يهيّئنا الله لدعوتنا العليا والمقدّسة. لذلك يناقش بولس بعد ذلك (2) **تكيفنا من أجل أن نكون من عائلة**

الله. أولاً هناك تبنٍّ؛ ثم تكيّف. ومن حيث أن التكيّف قد يكون عمليّةً مؤلمة فإن "الأنين" ورد هنا ثلاث مرات في السياق المباشر. تصوّرْ رجلاً مثقّفاً غنيّاً يتبنى صبياً من أحد الأحياء الفقيرة في مدينةٍ عظيمة، ويضمّه إلى عائلته. بعد التبنّي يأتي التكيّف. سيكون الصبي غير مهيَّءٍ كلياً ليكون عضواً لائقا في عائلته الجديدة، لذلك سيعهد به متبنيه إلى أيدي االمربين ليتلقَّن كيف يتكلّم وكيف يتصرّف في مجتمعٍ مهذّب. ستزعجه هذه العملية، وقد تستغرق سنوات قبل أن يصبح لائقا بمصيره السامي. ولكن من أجل صالحه يتابع وليّ أمره بصبرٍ تهذيب الصبيّ وتعليمه مع أن العمليّة قد تكون في بعض الأحيان بطيئة. هذا بالضبط ما يعمله الله معنا في هذا العصر.

والتكيف من أجل عائلة الله له أهمية عريضة. يتحدث بولس عن **أنين الخليقة** (الآيات 18-22) من حيث أنه وثيق العرى بالعملية- "فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (الآية 22). لقد ورّط سقوطُ الإنسان كلَّ الخليقة، على الأقل، فيما يتعلّق بهذا الكوكب، ومن جملته العالم النباتيّ لأن التجربة تمحورَتْ حول شجرة؛ وكذلك الخليقة الحيوانية لأن التجربة أتَتْ عن طريق حية؛ وبالطبع اشتركت في ذلك الخليقة البشرية لأن التجربة عُرضت على الإنسان. وقد شملت اللعنة التي تبعت السقوط جميع الخليقة. يقول بولس، "إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ" (الآية 20). لا ترد كلمة "بطل" في العهد الجديد إلا هنا، وفي أفسس 17:4، وفي 2 بطرس 18:2. وهي تعني في هذا المقطع من رومية: "البؤس المخيّب للأمل". وتستخدم الكلمة اليونانية نفسها في الترجمة السبعينيّة لترجمة الكلمة العبرية "باطل" في سفر الجامعة. فهي تصف شيئاً لا يرقى إلى القياس الذي وضع لأجله، لذلك تئنّ الخليقة.

ومن الجليّ أنه كان هناك وقت لم تكن الخليقة كلّها تئن فيه أو تتمخّض متألمة. ويشير د. إل ميرسون داڤيس إلى أن الفصل الثالث من سفر التكوين يؤكّد على ثلاثة بنيانات كأمثلة عن اللعنة العامة التي وقعت على الطبيعة. ويقول إن هذه "جميعها تمثّل بشكلٍ غريب الإجهاض, والصراع المهلك." فالحية، على سبيل المثال، تُحرَم من أطرافها فيقضى عليها بالزحف على بطنها؛ والشوك هو الأغصان والأوراق الذابلة، والصفة المقيتة لتلك الأشواك ناجمة عن حالة كأس الزهرة الذاوية.

يخبرنا بولس أنّ "انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ" (الآية 19)، أو كما يترجمها فيلبس، "تقف الخليقة كلُّها على رؤوس أصابع قدميها لترى المشهد الرائع لأولاد الله القادمين إلى مُلكِهم."[4] هناك أيامٌ مشرقة بانتظار الخليقة بأكملها (إش 6:11-9؛ 65:25؛ رؤ 22:3)، لأنه سيأتي الوقت الذي تزول فيه اللعنة وتستردّ الخليقة بهاءها الأصيل. وكما يقول بولس، "فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" (الآية 18). وله مقطع مماثل في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: "لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا" (2 كور 17:4). وما يدعوه بولس بِـ "خفّة ضيق" سيذهل أغلب المسيحيين المعاصرين (2 كور 11:23-33). علينا أن ننتظر لنرى ما سينطوي عليه "ثقل المجد الأبديّ" لأنه من المؤكد أنه سيدمِّرنا لو عرفناه الآن.

ثم يتحدّث بولس بعد ذلك عن **أنين المسيحيّ**، ويشير إلى أن المسيحيّ يئنّ لأنه لم يتلقَّ بعد جسده الممجّد. "وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا. لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلَصْنَا. وَلكِنَّ الرَّجَاءَ الْمَنْظُورَ لَيْسَ رَجَاءً، لأَنَّ مَا يَنْظُرُهُ أَحَدٌ كَيْفَ يَرْجُوهُ أَيْضًا؟ وَلكِنْ إِنْ كُنَّا نَرْجُو مَا لَسْنَا نَنْظُرُهُ فَإِنَّنَا نَتَوَقَّعُهُ بِالصَّبْرِ" (الآيات 23-25).

إن فكرة كوننا مخلّصين بالرجاء فكرةٌ مذهلة للوهلة الأولى إذ أننا عادة نعتقد أنّ الخلاص بالإيمان وليس بالرجاء. وبالطبع ليس للإشارة هذه أية علاقة بخلاص النفس ولكن بفداء الجسد، وهي مرتبطة بما

يسميه بولس في مكان آخر، "الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (تيطس 13:2). يميل المسيحيّون إلى ربط "الرجاء" مع عدم اليقين، ولذلك يعتبرونه لفظة غثة. فمن غير المقنع جداً أن تسأل شخصاً إن كان مخلَّصاً فتتلقى ردّاً، "هذا ما أرجوه"؛ لأنه في هذه الحالة، يغتصب الرجاء مكان الإيمان. ولكن الرجاء يأتي في محلّه عندما يرد في سياقه الصحيح. لنفترض أن أماً كان عليها أن تقول لابنها العاصي بأن العقاب سينزل به حالما يعود والده من عمله إلى البيت. ولنفترض أيضاً أن أحداً سأل الصبي في وقتٍ ما خلال النهار، هل تظنّ أنك ستُعاقَب عندما يرجع والدك إلى البيت؟" قد يقول الصبي، "أعتقد ذلك" ولكن من غير المرجّح أنه سيقول، "أرجو ذلك!" ليس للرجاء علاقة بالمستقبل فحسب، ولكنه أيضاً مرتبط بشيء يدعو للمسرة.

في هذه المرحلة من اختبارنا، نئنّ من جراء محدوديّات الجسد وتجاربه، ولكن سيأتي اليوم الذي يتغيّر فيه جسد تواضعنا، "الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (في 21:3). هذا جزءٌ من فدائنا؛ ومع أننا لا نزال نرجوه إلا أنه أمر موءكد كمثل تأكدنا من قيامة المسيح.

ولكن من السهل نسبياً فهم أنين الخليقة وأنين المسيحيّ عندما يوضعان بإزاء الأنين الغامض الذي يذكره بولس لاحقاً- **أنين المعزّي**. "وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا. وَلكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ" (الآيتان 26-27). لنا شفيعٌ عند الآب في السماء في شخص الربّ يسوع (1 يوحنا 1:2)، ولنا شفيع أيضاً في قلوبنا يستطيع أن يضع أعمق احتياجات نفوسنا بصورةٍ مكشوفة أمام عين الله.

يشعر معظمنا بالعجز، على الأخص، بشأن الصلاة. نقف أحياناً في هلعٍ أمام نفور قلوبنا العميق من الصلاة. فنحن نتلو صلواتنا من غير رغبة كافية ونادراً ما نصلّي حقاً. وليس هناك فضلٌ عظيم في تلاوة الصلوات؛ فحتى غير المخلص يستطيع أن يفعل ذلك. لا يمكن أن يصلّي بالحقّ إلا المؤمن الذي يعلّمه روح الله، ذلك، لأنّ خدمة الصلاة هي خدمةٌ روحية بحتة حتى أننا نقف بحاجةٍ عميقة شديدة إلى الروح القدس، ليعين ضعفاتنا في هذه المسألة.

لا ترد كلمة "يعين" المذكورة في هذا المقطع في أي مكان آخر في العهد الجديد إلّا في إنجيل لوقا 40:10 حيث يولِّد استخدامها أكثر إنارة. فهي موجودة في قصة مريم ومرثا عندما كان الربّ يسوع ضيفاً في منزلهما. كانت مريم جالسة عند قدمي السيّد، بينما كان ضجيج قرقعة الطناجر والأواني في المطبخ الصادر عن مرثا مسموعاً. من الواضح أن انزعاجها كان يتفاقم. لماذا وجب عليها أن تعمل كخادمةٍ في جلي الصحون بينما جلست مريم على السجادة في غرفة الاستقبال؟ وانفجرت فجأة، "يَارَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ **تُعِينَنِي!**». هذه هي الفكرة بالضبط وراء استخدام الكلمة في رومية 8. ما نحتاج إليه في الصلاة هو العون- وهو نوع العون العمليّ، الواقعيّ، اليوميّ الذي احتاجت إليه مرثا في المطبخ. واسم "المعزّي" نفسه الذي استخدمه الرب يسوع عندما وعد بعصرٍ جديد للروح القدس، يعني حرفياً "الشخص الذي يدعى ليقف بإزائنا لتقديم المساعدة." ونوع العون الذي يقدّمه هو العون الذي يقدّمه الطبيب حين يُدعى ليكون إلى جانب المريض في سريره؛ ونوع العون الذي يقدّمه رجل الإطفاء حين يُدعى إلى (إطفاء نار) بناءٍ يحترق؛ ونوع العون الذي يقدّمه محامٍ حين يُدعى ليقف إلى جانبنا للدفاع عن قضيّتنا. يا للروح القدس من معين!

ويعبّر هذا العون عن نفسه في "أَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا" أو كما يترجمها جي بي فيلبس، "إن روحه فينا يصلّي في الواقع من أجلنا بتلك الأشواق المؤلمة التي لا تجد كلمات أبداً."[5] والكلمة المستخدمة "لأنّات" هي stenagmos ولا ترد إلا هنا وفي أعمال 34:7 عندما استخدمها استفانوس في دفاعه أمام السنهدريم. كان استفانوس يستعيد ذكرى دعوة موسى ويكرّر الكلمات التي استخدمها الله في تلك المناسبة: "إِنِّي لَقَدْ رَأَيْتُ مَشَقَّةَ شَعْبِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ **أَنِينَهُمْ**..." يا له من إيحاء! فعبء الإسرائيليّين المضطهدين لم يجدْ له تعبيراً إلا في الأنين. والروح القدس، في تعبيره عن تثقّله بحالتنا الروحية، يئنّ بنفس النوع من الأنين. آه من الأشياء التي في حياتنا والتي تحزن روح الله القدوس بكل تأكيد!

لا يمكن الشكّ في أن صلوات الروح القدس فعالة. يذكر بولس ثلاثة أسبابٍ وجيهة جدا توجب ذلك. أولاً، يعرف الله **قلوبنا** ويفحصها لأنه وحده يستطيع أن يفعل ذلك. ثانياً، يعرف الله **فكر** الروح القدس: "يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ." وثالثاً، يصلّي الروح بحسب **إرادة** الله. وفي يوم ما سيعطي هذا الأنين مكانه للمجد لأننا، نحن المتبنّين في العائلة، سنكون موءهلين كلياً لنصبح لائقين للانضمام إلى تلك العائلة، ونقبل أجسادنا الممجّدة، وندخل إلى خليقة الله الجديدة.

أ. التأكيد على الضمان (8:28-39)

إن الآيات الختامية في هذا الفصل تسهب بشكلٍ أكمل في تفاصيل موضوع كبير هو الضمان الأبديّ للمؤمن. فالمؤمن (1) **معيَّن سابقاً للمجد** (الآيات 28-30). وهذا التعيين السابق لا يمكن تغييره، لأنه يشمل اللحظة الراهنة من الزمن بالإضافة إلى نهايتي الأزل والأبدية اللتين يتعذّر بلوغ بُعْديْهما. ويربط نفسه بشواغل الحياة اليومية للناس، لأن بولس يذكّرنا بأنّ "كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (الآية 28). هذه آية عظيمة، تُقتبَس غالباً في أوقات الشدة، إلا أنه ينبغي التأمل فيها في ضوء سياقها. فكما تعمل أسنان العجلات في قطعة ميكانيكية معقدة، هكذا تعمل كل الأشياء معاً للخير للمدعوّين من الله، لسببٍ بسيطٍ هو أن مقاصد الله لا يمكن إحباطها. ومع أننا قد لا نراها الآن كذلك إلا أن كل شيء سيرُى يوماً ما متلائماً مع خطة الله الكاملة.

ويتضح المبدأ بصورة جميلة في قصة يعقوب. كان يجني حصاد سنوات شبابه. فقد اختفى أثر يوسف ؛ ولحق العار برأوبين؛ وأهين يهوذا؛ وكسر شمعون ولاوي قلبه؛ وتنجّست دينة؛ وحتى شمعون أضحى الآن في السجن؛ وماتت راحيل المحبوبة؛ وهدّدت المجاعة العائلة. ثم ورده المطلب من مصر بوجوب حضور بنيامين الشاب ليمثل هناك أمام الحاكم الرهيب قبل الحصول على أيةِ مؤنٍ إضافية. وبكى يعقوب الشيخ: "أَعْدَمْتُمُونِي الأَوْلاَدَ. يُوسُفُ مَفْقُودٌ، وَشِمْعُونُ مَفْقُودٌ، وَبَنْيَامِينُ تَأْخُذُونَهُ. **صَارَ كُلُّ هذَا عَلَيَّ**" (تك 36:42). لشد ما كان مخطئاً! "هذه الأشياء" وغيرها كثيرا كانت تعمل سراً لمصلحته كما برهنت عنه نهاية القصة، " كُلّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ".

وحقيقة كوننا معيّنين سابقاً للمجد لا يمكن تغييرها لسببٍ آخر. فالتعيين السابق لا يرتبط فقط بشواغل حياة الناس اليومية فقط وإنما **بمشورة الله الأبدية** أيضاً. "لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا" (الآيتان 29-30). والكلمات الرئيسة في هذا المقطع العظيم، والتي يجب الاعتراف بتعذر فهمها3، هي "سبق فعرفهم" و"سبق فعيّنهم" و"دعاهم" و"برّرهم" و"مجّدهم". وهي تشتمل على الماضي الأزلي مروراً بلحظات الحاضر العابرة وحتى الأبدية العتيدة. وهي تُسلِّط التركيز الحاد على كل مشكلة الاختيار الإلهي الصعبة ضد إرادة الإنسان الحرة، وهي مشكلة ليست لدينا إجابات مطلقة عنها في هذا الجانب من المجد.

يظن البعض أن عبارة "سبق فعرفهم" هي مفتاح المشكلة. فالحجة تقول إن كل المعرفة مبنية على الحقيقة ولكن الحقيقة غير مبنية على المعرفة. ينبغي إثبات الحقيقة قبل أن تصبح معروفة. إن المعرفة الإنسانية هي إلى حدٍّ كبيرٍ معرفةٌ ترد بعدَ حقيقةٍ معطاة، ولكن الله غير محدود بالمعرفة اللاحقة. فهو كليّ المعرفة ولذلك يملك المعرفة المسبقة. ولكن لا فرق سواء كانت المعرفة لاحقة أم مسبقة فهي مبنية على الحقيقة. وعلى سبيل المثال، قَبِلَ جون براون المسيح مخلّصاً في يومٍ معين من تاريخ حياته الشخصية وبذلك أسّس حقيقة يمكن أن تُعرَف. وصار أصدقاؤه وأقرباؤه يعرفون هذه الحقيقة بعد أن حدثت، ولكن الله يستطيع أن يرى الحقيقة نفسها قبل أن تحدث بأسبوع وشهر وسنة ومن الأبدية أيضاً. ومع ذلك فإن معرفة الله، مثل معرفة أصدقاء جون براون، مبنية على حقيقة قبول جون براون للمسيح. "الَّذِينَ **سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ** سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ".
هناك خطأ واحد فقط في هذا الخط من التفكير. فالنص يتابع فيقول، "وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، **فَهؤُلاَءِ** دَعَاهُمْ أَيْضًا". وبتبسيط المشكلة إلى أدنى حدّ، يمكن صياغتها كما يلي: هل اختارني الله لأنني اخترتُهُ أم اخترتُه لأنه اختارني؟ فإن قلت إن الله اختارني لأنه، بفضل قدرته على معرفة المستقبل مسبقاً رآني أختار المسيح، فذلك يسلب الله من سيادته. ومعنى ذلك أنه ليس لدى الله بديل إلا أن يختار الذين يختارون المسيح- أي أن اختياره مرهون باختيارنا. وهذا يلقي بالمبادرة على الإنسان. ولكنّ الله ذو سيادة يتصرف بحسب مشيئته الخاصة، وكما يوضح بولس في فصلٍ لاحق، ليس الله ملزَماً لأحد (9:15-23). ومن ناحية أخرى، إن قلت إنني اخترت المسيح لأنه اختارني فإن ذلك يسلب نفسي من إرادتي الحرة (أي مسؤوليتي الأخلاقية) وهذا يجعلني مجرّد دمية، وتصبح الإرادة الإنسانية آنئذ خرافة.

هل يمكن التوفيق ما بين إرادة الله وإرادة الإنسان، أم ينبغي علينا أن نظل دائماً ندور وندور في حلقات حول هذه المسألة؟ من الواضح أنه لا توجد إجابة قاطعة. ولو وجدت لما قسمت هذه المشكلةُ المسيحيّين لعدة قرون. ومع ذلك فقد يساعدنا أحد الإيضاحات لكي نرى أن الله في أثناء ممارسة إرادته السياديّة لا يحرم الإنسان بالضرورة من إرادته الحرة. تخيّل رجلين يلعبان الشطرنج؛ أحدهما محترف في هذه اللعبة والآخر مجرد هاوٍ (مبتدئ). يعرف المحترف مئات الحركات لبدء اللعبة ومتابعتها وإنهائها، بينما يلعب الهاوي بصورة عشوائية منتقلاً من حركةٍ إلى حركة تالية بقليلٍ من المهارة ومحدودية في التخطيط. لكلا اللاعبين إرادة حرة في اختيار الحركة التي يرغبان فيها ولكن المحترف، من غيرِ انتهاكٍ بأي شكل من الأشكال لإرادة خصمه الحرة، كان يستخدم كل حركةٍ يقوم بها الهاوي ليحشره في الزاوية ويستولي على مَلِكِه.

هكذا الحال تماماً في لعبة الحياة. فلكل واحدٍ منا إرادةٌ حرة نمارسها بألف طريقة. والخيارات التي نتّخذها تقرر طريقة تحرّكنا في الحياة. ولكنَّ الله فوقنا وفوق خياراتنا وما بعدها. وهو يهيمن على كل تحرّكاتنا لكي يجعل كلاً منها يتوافق مع إرادته السائدة. عندما يصبح أحد الناس مسيحيّاً، يقول الله له في الواقع ، "إن إرادتي لك الآن يا ابني هي أن تفوز في لعبة الحياة هذه. سأخبرك عن أي التحرّكات التي ينبغي أن تُقدم عليها. إذا كنت حكيماً فإنك تجعل حياتك تتوافق مع إرادتي." لا ينتهك الله أبدا إرادة الإنسان الحرة. وحتى عندما يقرّر أخيرًا مصيرَ نفسٍ ضائعة لتطرح في مغاور اللعنة، فإن ذلك يظل منسجما مع مبدئه. وفي النهاية، يقول الله بالفعل لرافض المسيح، "لمْ تُرِدْ لابني أن يكون مخلّصاً لك؛ اخترتَ أن تتنكر للرب يسوع فلا تعطيه مكاناً في حياتك. الآن أنا أُكرمُ اختيارَكَ. ستعيش إلى الأبد بدونه؛ وستقضي الأبدية بدون الله وبدون المسيح وبلا رجاء." وهكذا تكون للإنسان إرادته الحرة ولله سيادته. قد لا يكون هذا الإيضاح كاملاً إلا أنه يساعدناعلى إدراك كيف يمكن التوفيق بين الاثنين.

I. يأتي بنا الله إلى (أ) **دائرة حكمته**. سبق فعرفنا- كل الخير والشرّ؛ وكل ما يرضيه وكل ما يسبّب له الألم. ثم يضعنا (ب) **تحت سيادة إرادته**.لقد سبق فعيَّننا للمجد، لنتغيّر إل صورة ابنه. ويأتي بنا (ج) **إلى صوت كلمته** ويناديناِ. ثم يأتي بنا (د) إلى **ظلّ جناحه**. يبرّرنا ويوقفنا أمامه بحالة من الكمال، وعدم الدنس، والنقاوة، والطهارة بحيث لا توجد قوة على الأرض أو الجحيم أو السماء تقدر أن تشتكي علينا. وأخيراً، يأتي بنا (هـ) إلى **بهاء عالمه**، ويمجّدنا. والحقيقة أن صيغة الفعل هي في الماضي. وهي تقول أن الذين دعاهم، "فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا." لسنا مضطرين للانتظار حتى نموت لمعرفة ما إذا كنا سنمضي للسماء أم لا. فبحسب مشورة الله الأبدية، نحن قد تمجَّدنا! المؤمن معيّن مسبقاً للمجد.

ولكن ماذا عن السنوات التي انقضت بين اهتداء المؤمن ونهاية حياته؟ أليس هناك احتمالٌ أن يسوء أمرٌ ما أو يقع خطأ ما في خلال هذه السنوات من الامتحان والتجارب مما يجعله يخسر خلاصه؟ لا! لأن المؤمن ليس معيَّنا مسبقاً فقط للمجد وإنما هو (2) **محفوظٌ للمجد** (الآيات 31-39). تسبر الآيات الختامية من هذا الفصل العظيم غور جميع السبل الممكنة للابتعاد عن الخلاص الذي بالمسيح يسوع لتجد أن كلاً منها مغلقٌ ومحروسٌ بنعمة الله. يأخذ بولس بعين الاعتبار في هذه الآيات (أ) **أساس رجائنا في المجد**، ويراه غير متزعزع. "فَمَاذَا نَقُولُ لِهذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟ اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (الآيتان 31-32). إن أساس رجائنا هو نعمة الله وعطيّته. "إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا؟" وكلمة "إنْ" في هذه العبارة ليست في أية حال دلالة على الشكّ أبداً. ليس هناك تساؤل عما إذا كان الله معنا أم لا، ولكن الكلمة تعني **"من حيث أنّ"** الله معنا فمن علينا؟" فقوّة أي عدوٍّ محتملٍ هي ضعفٌ مطلَقٌ بالمقارنة مع قدرةِ الله الكليّة.

يقوم رجاؤنا في المجد على حقيقة أن الله، بفضل لطفه معنا قد أعطانا ابنه. لم يشفق على ابنه! لقد أدرك الشاعر المشيخي والواعظ الاسكتلدني، ومؤلف أفضل ترانيمنا المحببة هوراتيوس بونار، روح رومية 32:8 عندما قال:

مبارك الله إلهنا،
الذي وهبنا جميعا ابنه المحبوب جداً،
عطية العطايا، (بل) كل العطايا في واحد؛
مبارك الله، إلهنا!
فأي شيء يبخل به؟
الذي وهب مجانا عطيته التي لا تشترى،
وغير المستحقَّة، المغفلة، وغير المسعيِّ وراءَها،
فما هو الذي يبخل به؟
لم يشفقْ على ابنه!
وهذا ما يلاشي كلَّ خوف مشرئب،
وهذا ما أمر كل فكر قاس أن يختفي؛
لم يشفق على ابنه!
إن الله هو الذي يبرر!
من هو الذى (يجرؤ) على إبطال غفرانه أو نعمته؟
أو من يستبدل قيد الخطيئة المكسور؟
إن الله هو الذي يبرر!

كان جبل الموريّا أعلى موضع في اختبار إبراهيم (تك 22)، فرئيس الآباء الرحال هذا الذي ابتدأ سيره مع الله بالتخلي عن **أبيه**، انتهى به الأمر بالتضحية **بابنه**. وبين هاتين الذروتين لأزمتي اختباره، رَفَضَ

السكنى في سهول الأردن المسقية جيداً؛ وهدايا ملك سدوم؛ وأبعد هاجر المصرية؛ وحتى نبذ ابنه المحبوب إسماعيل. ولكن التضحية بإسحق كان أعظم عمل أحادي قام به في حياته كما أقرّ به الله نفسه. "لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي" (تك 12:22). والكلمة المستخدمة في الترجمة السبعينية مقابل "تمسك" تماثل الفعل اليونانيّ نفسه المترجم بمعنى "يشفق" في رومية 32:8. فكما أنَّ إبراهيم لم يمسكْ إسحق هكذا الله لم يمسكْ يسوع عنا. ومن المحتمل جداً أن بولس كان يقوم بموازنة مقصودة. ومن الصعب الاعتقاد بأن إبراهيم قد أمسك أيَّ شيءٍ عن الله بعد عدم إمساكه لابنه؛ كما أنّه من الصعب أن نرى كيف يمكن لله أن يمسك عنا أيَّ شيء بعد أن أعطانا ابنه. فكل ما هو ضروري لتبريرنا وتقديسنا وتمجيدنا قد بذله الله في عطية ابنه.

كان لأحد الرومان الأغنياء ابنٌ أحزن قلبه، وعبدٌ حظي بإعجابه. وقرّر وهو على فراش الموت أن يحرم ابنه من الميراث ويترك كلّ شيء لعبده مارسيلوس. استجمع الأوراق ودعا ابنه ليخبره بما قد فعله. وقال له، "لقد أورثت كلَّ شيء للعبد مارسيلوس، ولكن يمكنك أن تختار شيئاً واحداً من أملاكي لك." فأجاب الابن، "سآخذ مارسيلوس". عندما نأخذ المسيح فإننا نأخذ الكلّ. وقد أدرك تشارلز وسلي الفكرة وعبّر عنها في ترنيمته المعروفة، "يسوع، حبيب نفسي."

أنتَ يا مسيحي كلُّ ما أريد وفيك أجدُ كلَّ شيء بل يزيد

ثم يتأمل بولس بـ (ب) **ملء رجاء مجدنا**. لا يوجد أي احتمال في رفع أية شكوى ضدنا. يؤكّد بولس في هذا الصدد على هزيمة عدوّنا المطلقة. "مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ." (الآية 33). هناك حادثة درامية مسجلة في سفر زكريا 3 توضح هذا. نرى هناك يهوشع، رئيس الكهنة، واقفاً مقابل ملاك الرب والشيطان عن يمينه ليشتكي عليه. كان يهوشع يرتدي ثياباً متّسخة، وهي أعظم صورة تعبيرية عن عدم كفاءاته الشخصية أمام محضر الله. لم نعرف شيئا عما كانت عليه حجج الشيطان، ولكن يبدو أن السياق يومىء بأنه كان يجادل الله بشأن نجاسة يهوشع وعاره. إن الشيطان كذاب ومخادع، ولكن من المؤسف أن نقول، إنه (في أغلب الأحيان) عندما يتخذ موقف المشتكي على إخوتنا لا يحتاج إلى استخدام الأكاذيب (رؤيا 10:12) فهناك أسس كثيرة لادعاءاته الحقة علينا. ولم تكن لدى يهوشع كلمة يقولها دفاعاً عن نفسه، ولكن الله تولّى قضيته حتى قبل أن يتمكّن من الكلام. "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ يَا شَيْطَانُ! لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ الَّذِي اخْتَارَ أُورُشَلِيمَ! أَفَلَيْسَ هذَا شُعْلَةً مُنْتَشَلَةً مِنَ النَّارِ؟»...فَأَجَابَ وَكَلَّمَ الْوَاقِفِينَ قُدَّامَهُ قَائِلاً: «انْزِعُوا عَنْهُ الثِّيَابَ الْقَذِرَةَ». وَقَالَ لَهُ: «انْظُرْ. قَدْ أَذْهَبْتُ عَنْكَ إِثْمَكَ، وَأُلْبِسُكَ ثِيَابًا مُزَخْرَفَةً». فَقُلْتُ: «لِيَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً طَاهِرَةً». فَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ الْعِمَامَةَ الطَّاهِرَةَ، وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابًا وَمَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفٌ" (زك 3:2-5). "مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اَللهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ".

إن ملء رجائنا في المجد لا يعتمد فقط على هزيمة عدوّنا الكاملة وإنما أيضاً على **دفاع محامينا الكامل**. "مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا" (الآية 34)؛ وحتى لو رفعت شكوى، فمن الذي سيدين؟ فالقاضي هو الرب يسوع وليس أحد سواه، ذات الشخص الذي يجعل الدينونة مستحيلة (1:8). لقد مات يسوع؛ وقام؛ وصعد إلى السماء؛ وهو يشفع- وكل هذا من أجلنا! دع العدو يقدّم ما شاء من الشكاوى؛ فالردّ الكامل هي يد شفيعنا المُقام المثقوبة. هذا كلّ ما هو مطلوب، فالمؤمن محفوظٌ للمجد.

يبيّن بولس في ختام مناقشته (ج) نهائية رجائنا بالمجد ويعلن أنه لا شيء، لا شيء مطلقاً، يمكن أن يزعزع ضمان المؤمن. "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا" (الآيات 35-37). وبكلمةٍ أخرى، لا يمكن لعدوٍ ما أن يخيفنا! فهؤلاء الأعداء السبعة، في كثيرٍ أو قليل، كانوا عدوّ المسيحيّين المشترك منذ أيام الكنيسة الأولى. لقد واجههم بولس نفسُه جميعاً وعرف من اختباره الشخصيّ أنه ليس لأيٍّ منهم قوةٌ على اختطاف النفس من المسيح؛ بل على

النقيض، اجتذبوا القلبَ المؤمنَ ليكون أكثر قرباً من الرب. وليس سماح الله بها برهاناً على أنه توقّف عن محبتنا، "لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ" (عب 12:6).

وُصِف الشيوعيّون بأنهم "كرجال أموات في رحلة"؛ ولكن المسيحيّين حسبوا أنفسهم "مثل غنمٍ للذبح" قبل أن يتبنّى تلاميذ ماركس ولينين هذه النظرة في علاقاتهم مع العالم بوقتٍ طويل. وفي هذه الأشياء جميعها لا يمكننا أن نكون المنتصرين فقط بل "يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا". يشرح بطرس ما يعنيه هذا. فقد قبض عليه هيرودس وأصدرَ عليه حكم الموت على أن ينفَّذ به في الصباح التالي. كان يعقوب قد تمّ إعدامه على يدي هيرودس، وعرف بطرس أن الهيرودسيين لا يكنّونُ أي رحمة. ولو نظرنا إلى زنزانته في تلك الليلة ورأيناه مستعداً للموت بنبلٍ وجرأة من أجل المسيح؛ لعاينَّا منتصراً، ولكننا عوضاً عن ذلك، نراه ملتحفاً ببطانيّته ونائماً بسلام، بازدراءٍ تامٍ لمخطّطات هيرودس (أع 12:1-10). لقد كان بطرس أكثر من منتصر!

ويقول بولس، "فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلُوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (الآيتان 38-39). وبكلمات أخرى، لا يمكن لأي خوفٍ بأن **يرعبنا!** هل يستطيع **الموت** أن يفصلنا عن محبة الله؟ بالطبع لا! فالموت يُدخِل المؤمن إلى المجد نفسه. والموت إنما يقدّم لنا خدمة بجعلنا "أَنْ نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ" وبالتالي "نَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ" (2 كور 5:8). هل تستطيع **الحياة** أن تفصلنا عن تلك المحبة؟ لا، بالتأكيد لأن يسوع قال، "وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت 28:20). كان هذا النص هو نص ديفيد ليڤنغستون، فقد قال إف. دبليو. بورهام، "عندما كانت حياة ليڤنغستون، تتعرّض للأزمات كان يدوّن المرة تلو المرة في مذكّراته (ما ورد في) متى 28:20 مرفقة بهذه الكلمات، 'وهي كلمة رجلٍ شريف يتحلى بأشدّ الصرامة والكرامة القدسية، لذلك فلا بدّ من نهاية للأمر'."[6]

هل يمكن **للملائكة** أن تفصلنا عن محبة الله؟ لا! "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ؟" (عب 1:14). فهي تتجَمْهر في العالم غير المنظور لتساعدنا في رحلتنا نحو موطننا السماوي. هل يمكن **للرؤساء والقوات؟** لا، لأننا إذ نتدجَّج بكلِّ سلاح الله، نستطيع أن نجعلهم يهربون منا (أف 6:12-17)؛ وهذا لسببٍ بسيطٍ وهو أن المسيح قد سبق له أن "جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ" أي في صليب الجلجثة (كو 2:15).

هل يمكن **للأمور الحاضرة** أن تفصلنا عن محبة الله؟ لا، طبعاً، لأنه هو **الكائن** والذي يسكن الأبدية في الوقت الحاضر (خروج 3:14؛ يوحنا 8:58). إذًا، ماذا عن **الأمور المستقبَلية؛** هل يمكنها أن تقف حائلاً بيننا وبين محبة الله؟ لا، لأن الرب يسوع هو الآتي، وله كل الأشياء الآتية والمستقبل العتيد والمتسامي (يوحنا 1:14-3؛ رو 20:22). هل يمكن **للعلو أو للعمق** أن يفصلانا عن محبة الله التي في المسيح يسوع؟ لا، لأنه نزل إلى أعمق الأعماق من أجلنا وصعد إلى أعلى الأعالي وهو متوّج هناك في ذروة قمة المجد.

لا يستطيع أي عدوّ أن يرعبنا؛ ولا أي خوف أن يرهبنا! هل يمكن لأية خليقة أخرى أن تفصل بيننا وبين الله؟ لا، لأن الخليقة في النهاية هي مجرّد خليقة والذي يحفظنا في محبّته هو الخالق "الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ" (9:5). لذلك سواء، أكانت الأشياء ناجمةً عن الاختبار أم كائنات من عالم الأرواح؛ سواء كانت أشياء متعلّقة بالوقت أم بالمكان، فلا شيء يمكن أن يفصلنا عن محبة الله. المحبة التي أخذت زمام المبادرة في رفعنا من طين الحمأة سترفعنا إلى ردهات السماء. فما الذي يمكننا أن نطلبه بعد أكثر من ذلك؟

الجزء الثاني
صعوبات الإنجيل

36:11-1:9

معاملات الله السابقة مع إسرائيل

33-1:9

أولاً. معاناة بولس من أجل الشعب اليهوديّ (1:9-3)
ا. ما هو مبلغ جدية التصريح بها (1:9أ)
ب.ما هم مبلغ أهمية الشهادة هذه (1:9ب)
ج. ما هو مبلغ دقة تقييمها (2:9-3)
ثانياً. تحليل بولس لمشكلة اليهود (4:9-33)
ا. كيفيّة رؤيته للمشكلة (4:9-29)
1. معاملات الله الرحيمة مع إسرائيل (4:9-5)
2. معاملات الله الحكومية لإسرائيل (6:9-29)
ا. بناءً على حكمته الفائقة (6:9-13)
ب.بناءً على إرادته السياديّة (14:9-24)
ج. بناءً على كلمته المنطوقة (25:9-29)
ب.كيفية تلخيصه للمشكلة (30:9-33)
1.حصل الأمم على البر- بالإيمان (30:9)
2.حاول اليهود الحصول على البر- ولكنهم فشلوا (31:9-33)
ا. مشروحة بالتحديد (31:9-32)
ب.الشرح كتابياً (33:9)

وصل بولس الآن إلى نهاية الجزء الرئيس الأول من رسالته. وقد ناقش **مبادئ** الإنجيل، جامعاً معاً الخيوط المتنوعة التي تشكّل صورة نسيج خطيئة الإنسان وخلاصه وتقديسه. ويناقش في الفصول الثلاثة التالية صعوبات الإنجيل، ولا سيما من حيث علاقتها بالشعب اليهوديّ.

لقد قطع الله عهوداً فائقة العظمة والقيمة لإبراهيم وإسحق ويعقوب، ولموسى وداود وسليمان. وتمحور العديد منها حول شخص المسيّا، الرب يسوع المسيح، الذي قتله اليهود في الجلجثة. وبدافع محبته أتاح الله للأمة فرصةً ثانية لترجع عن قرارها الرهيب ولتقبل المسيح مخلّصاً بالتوبة والإيمان. ويسجّل سفر أعمال الرسل هذه الفرصة الثانية في التاريخ الذي يلعب فيه بولس نفسه دوراً رئيساً، إلا أن اليهود كانوا عنيدين، فالحكم الأصليّ الذي حُكِم به على يسوع الناصريّ أيّده يهود الوطن أولاً ومن ثمّ يهود الشتات، ورفضوه مرة أخرى.

عندما كتب بولس الرسالة إلى أهل رومية، كان الهيكل ما برح قائماً والذبائح ما زالت تقدّم، كما استمرّت ممارسة الطقوس اليهودية المفصّلة التي لم تعد تعني شيئاً. ولم يبدأ بعد ظلّ مصير الأمة في تعتيم الأفق. إلا أن بولس عرف أن المسيحيّة كانت هي رنة إعلان نعي اليهودية. وعرف، حتى قبل تجديده، أن النظامَيْن لا يمكن أن يتعايشا، ومن هنا جاءت كراهيّته المريرة للمسيحية وغيرته لتحطيمها في تلك الأيام. ثم عرف كمؤمنٍ ناضجٍ ورسول الأمم بالذات بأن عليه مواجهة صعوبات الإنجيل من حيث علاقته باليهود. ماذا

عن كل تلك المواعيد القديمة؟ هل أُبطِلت الآن؟ أين يقف اليهود في علاقتهم مع الله في هذا العصر الجديد؟ لا يمكن لأيّ شرح مفصّل للإنجيل أن يتفادى أسئلةً كهذه. لهذا السبب تظهر الكلمات المعترضة الكثيرة في هذه المرحلة من الرسالة.

ينظر بولس في هذه الفصول إلى الماضي أولاً، ثمّ إلى الحاضر وأخيراً إلى المستقبل. ويبيّن في كل فصل من الفصول التالية بأن المفتاح إلى جميع معاملات الله **الماضية** مع إسرائيل هو **سيادة** الله؛ وأن المفتاح إلى جميع معاملات الله **الحاضرة** مع إسرائيل هو **خلاص** الله؛ وأنّ المفتاح إلى جميع معاملات الله **الموعود بها** مع إسرائيل هو **صدق** الله. ثم يزن بعناية معاملات الله القديمة مع إسرائيل ويجد أن جميع هذه المعاملات مبنية على مبدأ السيادة الإلهية البسيط.

أولاً، ألم بولس من أجل الشعب اليهوديّ (9:1-3)

ليست المشكلة التي يتصارع معها بولس في هذه الفصول مجرّد اهتمام أكاديميّ له، وإنما هي مشكلة يشترك فيها عاطفياً وبعمق، وتجعل قلبه يلوب بأعمق الأوجاع وأمرّها.

ا. ما هو مدى جدية التصريح بها (9:1أ)

يؤكّد بولس حبّه لأمّته بهذه الكلمات، "أَقُولُ الصِّدْقَ فِي الْمَسِيحِ، لاَ أَكْذِبُ". لقد عمد اليهود إلى ضربه، وسجنه وشتمه ومعاقبته. وحيثما ذهب أثاروا الجمع ضدّه. وحتى اليهود المسيحيين أضافوا إلى أعبائه (حمل) فرض نظامٍ أدنى من المسيحية على الذين هداهم إلى المسيح والذي تتعارض فيه القوانين والفرائض اليهودية مع الإنجيل على الرغم من قرار مجمع أورشليم الذي أعتقهم منها (أعمال الرسل 15). وربما توقّع بولس أن صراحة حبِّه ستُرفَض لذلك يعلن حبه بلغة متوقية مع تأكيدات جدية.

ليس مثل هذا النوع من الحبّ طبيعيّاً؛ وإنما هو فائق للطبيعة ومن ثمر الروح (غل 22:5). ونفس هذا الحبّ الفائق للطبيعة يحفز المرسلين في يومنا هذا لكي يعملوا باجتهاد في مناطق البرص والمبغَضين والبدائيّين والقبائل الخطرة؛ ويرسلهم إلى الأحياء الفقيرة من مدن العالم الكبرى. إن هذا النوع من الحب هو الذي يسجل الصفحات المتألقة من تاريخ الكنيسة. وهو الذي يُرسِل پاتون إلى أكلة لحوم البشر في نيو هبرايدس؛ ولڤينغستون ليشقّ طريقاً في براري أفريقيا؛ وجدسون إلى أدغال بورما. هذه هي المحبة التي لا تستطيع مياه كثيرة أن تطفئها، والمحبة التي هي أقوى من الموت، ومحبة 1 كورنثوس 13. إنها محبة المسيح التي انسكبت بتدفق في قلوبنا بالروح القدس، وهي المحبة التي دفعت ابن الله لينزل من أعلى السماء ويموت معانيا من العذاب، والدم، والعار على صليب الجلجثة. يقول بولس، " أَقُولُ الصِّدْقَ فِي الْمَسِيحِ، لاَ أَكْذِبُ" في الوقت الذي يؤكّد فيه على محبته لأهله اليهود.

ب.ما هو مبلغ أهمية شهادتها هذه (9:1ب)

إن ما يوشك بولس على قوله بشأن محبته لشعبه هو مذهلٌ جداً، وحافلٌ بأسماء التفضيل، وهي ثورويّة جداً حتى أن بولس يشعر بأنه ينبغي أن يدعو شاهداً فوق العادة لكي يشهد على صدقه في البيان الذي يوشك على التصريح به. "أَقُولُ الصِّدْقَ فِي الْمَسِيحِ، لاَ أَكْذِبُ، وَضَمِيرِي شَاهِدٌ لِي بِالرُّوحِ الْقُدُسِ". فضميره يشهد، بدعمٍ من الروح القدس، على حقيقة ما سيقوله. ولا يمكن دائماً الوثوق بضمير الإنسان أو الاعتماد عليه ولكن يمكن الوثوق بالضمير الذي يحييه الروح القدس ويجعله حساساً. لم يكن ضمير بولس منطلقاً على هواه، ولكن الروح القدس كان يعلّمه وينيره. لذلك فقد كان قادراً على الشهادة الموثوق بها على مصداقية اعتراف بولس.

ج. ما هو مبلغ دقة هذا التقييم (9:2-3)

والآن نأتي إلى البيان المتعلّق بألم بولس. "إِنَّ لِي حُزْنًا عَظِيمًا وَوَجَعًا فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ. 3فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ". يشير ألفورد إلى أن كلمة "محروماً" هذه هي "أناثيما" ويقول، "إنها لا تشير أبداً إلى مجرّد استبعاد وحرمان، ولكن هي دائماً ابتهال

للهلاك- لعنة. وقد بُذِلت محاولات شتى لشرح أبعاد المعنى هنا عن طريق فهم معنى **الحرمان**؛ أو حتى **الموت الطبيعي** فقط؛ ولكن الحرمان ينطوي على اللعن والتسليم للشيطان: ومجرد تمنّي الموت الطبيعي هو بمجمله، كما يلمح إليه كريسوستوم ببلاغة، أدنى من كرامة العبور بالموت."[1] فحماس بولس الملتهب لربح نفوس الناس، ولا سيما أبناء قومه، بلغ درجة جعلته يقول بصدقٍ ووعي وإخلاص إنه مستعدٌ، لو كان ذلك ممكناً، للمضي إلى الجحيم واحتمال اللعنة الأبدية، إن كان من شأن هذا أن يقود أقرباءه إلى معرفة المسيا، الرب يسوع المسيح، المخلّصة. ولا غرابة أن بولس كان رابح نفوس ناجحاً على هذه الصورة.

ثانياً. تحليل بولس لمشكلة اليهود (9:4-33)

إن تحليل بولس لمشكلة اليهود واضح وشامل. فهو لا يشبِّع الفكر بصورة كلية فقط بل هو واقعيّ ومثير للتحدّي أيضاً. أولاً، يخبرنا عن كيف ينظر إلى المشكلة، وبعد ذلك يلخّص لنا النتائج التي توصّل إليها.

أ. كيف ينظر بولس إلى المشكلة (9:4-29)

إذ يتأمل بولس في مشكلة رفض اليهود للمسيح وما يثيره ذلك من علامة الاستفهام التالية بما يتعلق بمستقبل وضع اليهود الخاصّ في سياق التدبير الإلهيّ فإن أول شيء يراه هو (1) **معاملات الله الرحيمة مع إسرائيل في الماضي**. فهو لا يجد أى شكٍ في أنّ الشعب اليهودي قد ميّزه الله بمعاملاتٍ خاصة في السابق. ويقول بولس عنهم، "الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ، وَلَهُمُ الآبَاءُ، وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ." (الآيتان 4-5).

هذه أعظم قائمة ً من الامتيازات. فكلمة "**إِسْرَائِيلِيُّونَ**" لم تكن فقط الاسم القوميّ، لكنها كانت أيضاً اسم شرفٍ أيضاً (تك 28:32؛ هو 3:12؛ يو 47:1؛ 2 كور 22:11؛ في 5:3). أما كلمة **التَّبَنِّي** فقد تشير إلى خروج 22:4 وهوشع 1:11 حيث تحدّث الله عن إسرائيل وبيَّن أن الأمة كانت تتمتّع بعلاقة مميّزة مع الله على نقيض باقي الأمم. وكان **المَجْد** هو سحابة السكينة النارية التي استقرّت على خيمة الاجتماع وعلى الهيكل في وقتٍ لاحق (خر 40:34-35؛ 1 مل 8:10-11؛ 2 أخ 5:13). وتضمنت **الْعُهُود** العهد الإبراهيميّ (تك 12:1-3؛ 15:1-7؛ 17:1-8)؛ وإعادة تجديد هذا العهد مع إسحق ويعقوب (تك 26:2-5؛ 28:1-3، 12-15)؛ والعهد الموسويّ الخاص بالناموس (خروج 20-21) والأرض (تث 29-30)؛ والعهد الداوديّ (2 صم 7:16؛ 1 أخ 17:7-15؛ مز 89:27)؛ والعهد الجديد (إر 31:33؛ حز 34). أما **الاشْتِراع** فهو الناموس الموسويّ الذي هو أعظم قانون تشريعيّ أُعطِي، وأساس كل القوانين التشريعيّة فيما بعد. أما **العبادة** فكانت طقوس العبادة الاحتفالية المرتبطة بالناموس والواردة في سفرَيْ الخروج واللاويين. و**المَواعيد** هي المواعيد المسيحيانية والألفية العظيمة التي حيكت في نسيج العهد القديم وصوفه. أما **الآباء** فكانوا آباء الشعب والشخصيات الهامة التي تشكل قصصهم الشهيرة التراث الوطنيّ للشعب اليهوديّ وألياف العهد القديم الحية.

ومع عظم هذه الامتيازات جميعها، كان هناك امتيازٌ واحد يغطّي عليها جميعاً. وكعادته، احتفظ الرسول بولس بأفضل الخمر الجيدة إلى الختام. "وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ" (الآية 5). وأي شيء يمكن أن يقال أكثر من ذلك؟ فقد تم تتويج معاملات الله الرحيمة مع إسرائيل بأعلى وأنبل شرفٍ يمكن تصوُّر إسباغه على أيّ شعب. فبالنسبة إليهم جاء المسيح، وقد وُلِد من أمٍّ يهودية وترعرع في بيتٍ عبراني.ارتاد مجمعاً يهودياً وتلقى تربية يهودية؛ عاش واشتغل في الأرض الموعودة خادماً "خراف بيت إسرائيل الضالة" (مت 24:15). "إلى خاصّتِهِ جاءَ وخاصَّتُه لم تقبلْه" (يوحنا 11:1). غنّى لحبيبته أغنية الكرمة لكنَ عنب إسرائيل كان عنباً رديئاً (إش 1:5-7).

لقد أُعجِب بولس بمعاملات الله الرحيمة الماضية مع إسرائيل، تماما كما أعجب أيضاً بـ (2) **معاملات الله الحكومية الماضية مع إسرائيل**. فقد عاين بشكلٍ واضح أن النعمة لا تُعطى مطلقاً على حساب الحكم، وأنّ معاملات الله السابقة مع إسرائيل كانت دائماً تتوافق مع حكمته، وإرادته، وكلمته. فلا تَقَلُّبَ في طرق الله؛ بل إنها تتبع مبادئ ثابتة وبارة.

كانت معاملات الله السابقة مع إسرائيل مؤسَّسةً على **حكمته الفائقة**، فالله يعلم الذين له. "وَلكِنْ لَيْسَ هكَذَا حَتَّى إِنَّ كَلِمَةَ اللهِ قَدْ سَقَطَتْ. لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ" (الآيتان 6-7أ). إنّ رفض الله لغالبية اليهود لا يعني أن مواعيده قد أخفقت، لأنّه بحسب حكمته لم يكن اليهود المرفوضون مشمولين بالمواعيد البتة. فعدد الذين هم "من إسرائيل" لا يتحدّد عن طريق النسل الطبيعيّ بل بحكمة الله.

ويضرب بولس على ذلك مثلين لتوضيح ما يعني، وكلاهما مأخوذان من تاريخ الآباء المبكر، ويستهدف كل منهما تبيان أن الولادة في عائلة الآباء لم تكن بحدّ ذاتها تمنح الامتياز الروحيّ تلقائياً. أولاً، يتناول قصة إسماعيل وإسحق. فكلاهما وُلِدا في العائلة نفسها، ولكن واحداً منهما اختير والآخر رُفِض. ثم يأخذ قصة عيسو ويعقوب. وهذان أيضاً وُلِدا في العائلة نفسها ولكن مرة أخرى، اختير واحدٌ منهما ورُفِض الآخر. وهاك ملخّص بولس لهاتين القصتين: بَلْ «بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً. لأَنَّ كَلِمَةَ الْمَوْعِدِ هِيَ هذِهِ:«أَنَا آتِي نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ». وَلَيْسَ ذلِكَ فَقَطْ، بَلْ رِفْقَةُ أَيْضًا، وَهِيَ حُبْلَى مِنْ وَاحِدٍ وَهُوَ إِسْحَاقُ أَبُونَا. لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ، وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاخْتِيَارِ، لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو، قِيلَ لَهَا:«إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ». كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ»" (الآيات 7ب-13).

لقد اختارت حكمة الله إسحق فيما رفضت إسماعيل، كما اختارت يعقوب ورفضت عيسو. وفي كلتا الحالتين بيّن التاريخ اللاحق ما للخيار الإلهيّ من حكمة بعيدة المدى. فمن إسماعيل تحدرت أمم العرب، خصوم إسرائيل الألداء حتى يومنا هذا. ومن عيسو أتى أدوم وهو أشدّ جيران إسرائيل القدماء انتقاماً. ومع مرور الوقت، اتخذ إسماعيل وعيسو مواقف شخصية عدائية لأمور الله، بينما اتخذ إسحق ويعقوب مواقف شخصية حبية لأمور الله.

يعتمد اختيار الله على حكمته المتفوقة، وليس على جدارة شخصٍ ما. وفي الحالتين اللتين أوردهما بولس، وُلِد كل من الرجلين في عائلة آباء المؤمنين، وكان الأب في كل حالة منهما يرغب في رؤية الابن المرفوض يرث الموعد. فإبراهيم ترجّى الله من أجل إسماعيل (تك 18:17)؛ وإسحق فعل قصارى جهده لكي يهب البركة الأبوية لعيسو (تك 27:1-4، 30-33). والنقطة التي استهدفها بولس هي أن الله في تعاملاته مع إسرائيل، تعامل معهم بخطوط حكومية تتوافق مع حكمته وسيادته، ولم يقصد البتة أن يُحسَب جميع الأولاد الطبيعيّين لإبراهيم وإسحق ويعقوب أولاداً للموعد.

وبالإضافة إلى ذلك، لم ترتكز تعاملات الله الماضية مع إسرائيل على حكمته المتفوقة فقط ولكن أيضاً على **إرادته السياديّة**. فالله ليس مُلزَماً بشرح طرقه للناس. فهو ذو سيادة ويفعل ما يسرّه. وبما أنه الله فكل ما يفعله هو دائماً على صواب ولا يمكن للناس شرعياً أن يسألوه عنه فهم محدودون في الفهم والمعرفة، كما أنّ الخطيئة أضعفت من قدراتهم الأخلاقية والروحية. والمقطع التالي من سفر رومية هو أحد أهم المقاطع في الكتاب المقدّس عن موضوع سيادة الله. يرجع بولس من جديد إلى تاريخ الشعب اليهوديّ مبينا الله في سيادته صافحاً عن إسرائيل المخطئة (الآيتان 14-15) ومعاقباً لفرعون المخطئ (الآيات 16-18). وكلا المثالين هما أكثر ما يبعث على الاستنارة.

فالإيضاح الأول مستمدّ من حالات عصيان إسرائيل في البرية. فما كاد ناموس موسى أن يعطى على ألواح حجرية حتى وجد بعد نزوله من جبل سيناء أن أمة إسرائيل قد ارتدّت عن الربّ بصياغتها العجل الذهبي (خروج 32). فما كان منه إلا أن أقدم على عملٍ ذي مغزى عميق حطّم فيه لوحي الحجر، وطحن العجل الذهبي حتى صار ناعماً ثم ذرّ رماد العجل الملعون على مياه شُرْبِهم، وأرغم الأمة العاصية على الشرب منه. ثم أصدر تحدّيه الكبير قائلاً، "من للربّ فإليَّ؟" ولم يستجبْ له سوى سبط لاوي. فأمر موسى اللاويّين أن يُخضِعوا المتمرّدين للسيف، ثم مضى بعدها يتوسّط أمام الله نيابةً عن بقية الشعب بطريق مضرمة تشبه صرخة بولس الأليمة المتّقدة في رومية 9 (راجع خروج 32:31-33). إلّا أن غضب الرب

كان عنيفاً جداً، وأعلم موسى بأنه من الآن فصاعداً لن يعود يقود الأمة بل سيعيّن الله لهم ملاكاً ليقوم بذلك بدلاً منه.

ومرة أخرى توسّط موسى لدى الله بألقاب الجلالة والعظمة، وأجابه الله بكلمات يقتبسها بولس هنا ليبيّن سيادة الإرادة الإلهية في العفو عن شعبه. "فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا! لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى:«إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ». فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ لِلهِ الَّذِي يَرْحَمُ" (الآيات 14-16). فما هو استنتاج بولس؟ لقد استنتج بأن الله أظهر رحمة لإسرائيل، فالأمة خسرت كل حق لها بالبركة ومع ذلك أظهر الله رحمته لها. وهكذا فإن سيادة الله لا تستبعد رحمته. فإنّ أي واحد على الإطلاق يقبل إلى البركة يكون بفضل رحمة الله وحده. وحادثة الرحمة هذه تخفّف إلى حدٍّ ما من وطأة توضيح بولس التالي وهو المتعلّق بتقسية قلب فرعون وقصاصه.

"لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ:«إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ». فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ" (الآيتان 17-18). هناك طرفا نقيض علينا دائماً تفاديهما.. فالطرف الأول يتعلّق بالمبالغة في التشديد على رحمة الله والاستخلاص بأن الله ألطف من أن يحكم على إنسان بدينونة العذاب الأبدية. أما طرف النقيض الآخر فهو في الغلو في التركيز على قسوة الله بشكل يجعله (في هذه الحالة على سبيل المثال) المسؤول عن عناد فرعون. ومن حيث أنه لا يوجد في الكتاب ما هو "مِنْ تَفسيرٍ خاصّ" (2 بطرس 20:1) فإنه يجب ألا نعزل أيّ كلامٍ إلهيّ عن سياقه وعن الأجزاء الأخرى من كلمة الله التي تلقي ضوءاً على الموضوع. ولذا، فإنه من المهم بشكل خاص تناول الصورة الكتابية الكاملة لدى معالجتنا لجزءٍ صعب مثل هذا. يرد السرد التاريخيّ لمعاملات الله مع فرعون في سفر الخروج 1-14.

ويزجي إلينا ألفرد إدرشايم أفضل مساعدة في شرحه ماذا حصل بالفعل عندما قسّى الله قلب فرعون. فهو يقول، يتردد تعبير التقسّي من حيث علاقته بفرعون عشرين مرة خلال سرد هذه القصة. ومع أنّ نسختنا الإنكليزية لا تستخدم سوى كلمة "تقسّى" إلا أن النصّ العبريّ في الأصل يستخدم ثلاث عبارات مختلفة تعني واحدة منها (كما في خروج 3:7) بشكل حرفي جعل الشيء قاسياً أو بلا حسّ؛ وتعني الثانية (كما في خروج 1:10) **إغلاظ** الشيء، أي جعله غير قابل للتأثّر؛ أما الثالثة (كما في خروج 4:14) فتعني **التشديد**، بحيث يصبح غير قابل للإزاحة. ومن المدهش أنه من ضمن المقاطع العشرين التي تتحدّث عن تقسّي فرعون فإن عشرة منها بالضبط التي تتحدّث عن التقسّي معزوة إلى فرعون نفسه وعشرة تُنسَب إلى الله، وأنه في كلتا الحالتين فإن المصطلحات الثلاثة قد تم استخدامها. وهكذا فإن عدد المرات التي جُعِل فيها القلب ‘قاسيا’ وغليظاً‘ و‘شديداً’ هو العدد نفسه الذي تكرر بالتمام بذات المصطلحات المنسوب إلى فرعون كما إلى الله...." وبمتابعة ذلك، فإنه باستثناء المقطعين اللذين فيهما العامل الإلهي في التقسية قد تمَّ إعلانه مسبقاً لموسى كتعليمات له، نجد بأن عمليّة التقسّي في غضون تطوّر تاريخ القصة، في الدرجة الأولى هي معزوة لفرعون نفسه. وهكذا قبل الضربات العشر وعندما أثبت هرون أولاً مهمته الإلهية بتحويل العصا إلى ثعبان، ‘اشتدّ قلب فرعون’، أي من تلقاء نفسه (خروج 13:7-14). وبشكلٍ مشابه، وبعد كل ضربةٍ من الضربات الخمس الأولى (خروج 22:7؛ 15:8، 19، 32؛ 7:9) تُعزى التقسية إلى فرعون نفسه. وأول مرة نقرأ فيها ‘أنّ الربّ قسّى قلب فرعون’ كانت فقط بعد الضربة السادسة عندما استمر فرعون بمقاومة (الله). ولكن حتى بعد ذلك، لا بدّ أن مجال التوبة بقي مفتوحاً لأننا نقرأ ثانية بعد الضربة السابعة (خروج 34:9) أن فرعون ‘اشتدّ قلبه’؛ ولا يُنسَب الفعل حصرياً لله إلا بعد الضربة الثامنة فقط.

"علاوة على ذلك، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار مراحل **تقدّم** التقسّي الناجم عن فرعون، الذي بواسطته أصبحت خطيئته أخيراً مهيأة للدينونة، لا لأنه قاوم فقط طلب موسى، حتى بالنظر إلى الآيات المعجزية التي شهدت لمهمّته؛ بل لأن يد الله أصبحت أكثر تجلياً خطوة فخطوة. حتى أنه صار أخيراً باعترافه االذاتي ‘لا عذر له’. وإذا كان السحرة المصريّون تمكّنوا بطريقة معينة من تقليد الآية الأولى المتمثّلة بتحويل العصا إلى ثعبان إلا أن عصا هرون ابتلعت عصيّهم (خروج 12:7). ولكن بعد الضربة الثالثة اعترف

السحرة أنفسهم بعجزهم عن الاستمرار في المنافسة قائلين، 'هذا أصبع الله' (خروج 19:8). وإن ظلت هناك بقية من الشك في ذهن فرعون فلا بدّ أنه انتفت بالأدلة بعد الضربة الخامسة (خروج 7:9) عندما 'أرسل فرعون وإذا مواشي إسرائيل لم يمتْ منها ولا واحد'. على أن بعض المصريّين على الأقل استفادوا من هذا الدرس وحال الإعلان عن الضربة السابعة جمعوا ماشيتهم وخبأوها من البرد والنار المتوقعين (خروج 20:9-21).

"وأخيراً، بعد الضربة السابعة، اعترف فرعون نفسه بخطيئته وخطئه (خروج 27:9) ووعد بإطلاق إسرائيل (خروج 28:9). ومع ذلك، بعد كل هذا، قسّى قلبه مرة أخرى عند زوال الضربة (خروج 35:9). هل يمكننا أن نعجب أنه بعد مثل هذا العصيان المستبد والذي لا عذرَ له ألّا يكون (هذا العصيان) جاهزاً للدينونة التي حلّت عن طريق التقسي الإلهي لقلب فرعون؟ بلا ريب إن منافسة مثل هذه ما بين الكبرياء وجرأة المخلوق وجبروت الرب الإله، لا بد لحق هذا الإعلان الإلهيّ أن يتم الجهر به علنياً. 'وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ' (خروج 16:9)."[2]

وبعد أن أعطى بولس **أمثلة** عن سيادة إرادة الله يُقدّم بعد ذلك شرحاً عن تلك الإرادة السيادية. ليس الله مرغماً ليقدم حسابا للإنسان، لأنه من حيث هو الله فهو لا محدود ومستقل (الآيات 19-24). "فَسَتَقُولُ لِي:«لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ؟ لأَنْ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟»" (الآية 19). قد يبدو أن بعض الانزعاج قد ساور المعترض. ويمكن إعادة صياغة السؤال. "إن كانت إرادة الله أن يقسّي الخاطئ، فيستمر الخاطئ في خطيئته، فهو لا يقاوم إذاً، ولكنه يمشي بحسب إرادة الله." هذا الموقف خاطئ من وجهتين على الأقل. ففي المقام الأول، يفترض أن الإنسان، وهو مجرّد مخلوق، له من الحكمة ما يكفي لكي يشكّك في الله الخالق، وفي المقام الثاني، يتجاهل حقيقة أن سيادة الله يتم التعبير عنها دائماً بشكلٍ بار وملطَّفة في كل وقت بالرحمة.

ما أشدّ غباء الإنسان حين يُنصِّب نفسه في مواجهة الخالق. ويوضح الرسول بولس ذلك بالإشارة إلى مثل الفخاريّ. فكما أن الفخاريّ يجب أن يمنح السيادة المطلقة على الطين، هكذا يجب أن يكون لله السيادة المطلقة على الإنسان. "بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ أَلَعَلَّ الْجِبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا:«لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هكَذَا؟» أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟ فَمَاذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ، احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ. وَلِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ، الَّتِي أَيْضًا دَعَانَا نَحْنُ إِيَّاهَا، لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الأُمَمِ أَيْضًا؟" (الآيات 20-24).

هناك تغيير لافت للنظر في شكل التعبير المستخدم لوصف الأشخاص المعيّنين للهلاك، والأشخاص المعيّنين للمجد. فالمعيّنون للهلاك هو "مُهَيّئون للهلاك"، ولكن لم يقل إن الله عيّنهم للهلاك، وكأن الله قد سبق وأعد تلك الأواني للغضب بالمقارنة مع تلك التي أعدّها للرحمة.[4]

لا يخلق الله الناس لكي يدينهم، ولكن عندما يتصرّف الناس كما تصرّف فرعون فإن الله بالتالي يتعامل معهم بحيث أن الشر الفطريّ يكشف عن نفسه بطريقةٍ يصبحون معها أهدافاً مهيأة لعقابه.

ويختم بولس الحجّة الكاملة لهذا القسم بالتأكيد على حقيقة أن الأمم هم موضوع رحمة الله تماماً كما كان اليهود- وهي حقيقةٌ هامة يجب أخذها بعين الاعتبار. فخلاص الأمم لم تكن فكرة طارئة على الله. (في الواقع، لقد أحسن أحدهم حين قال، إن كلّ المخلّصين ليسوا نتيجة أفكار طارئة على الله ولكنهم في تدبيره المسبق!) وسيقوم بولس الآن بالبرهنة عن طريق إيضاح مستمد من العهد القديم بأن معاملات الله الحكومية مع إسرائيل لم تكن أبداً على حساب محبته لجميع البشر.

إن معاملات الله السابقة مع إسرائيل آنئذ كانت مرتكزة عل حكمته المتفوقة وإرادته السيادية، كما كانت أيضاً مؤسسة على **كلمته المنطوقة**. فكلمة الله تنبّأت بوضوح شديد عن بركة الله المطلقة (التي

ستتجلى) في نهضة عظيمة للأمم. "كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضًا:«سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي، وَالَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً. وَيَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ: لَسْتُمْ شَعْبِي، أَنَّهُ هُنَاكَ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ الْحَيِّ»" (الآيتان 25-26). لقد عمد الرسول بولس إلى الكلمات التي نطق بها أصلاً النبيّ هوشع المنكسر القلب على أمة إسرائيل الزانية وكيَّفها لتفي بغرضه. فما من شعبٍ أمميّ سابقاً دعي أبداً بشعب الله. والرب نفسه أشار مرة إلى الأمم على أنهم "كلاب" (عبارة تستوجب الدراسة في سياقها، مرقس 7:24-30).[5] أما الآن في المسيح فقد ارتفع اليهود والأمم إلى مقامٍ أسمى جداً من أي شيء ستعرفه أمّة إسرائيل على الإطلاق. فنحن أبناء الله الحيّ!

والعهد القديم نفسه الذي تنبّأ ببركة الله القصوى على الأمم يتحدث أيضا بوضوح هنا عن بركة الله على بقية يهودية صغيرة، "وَإِشَعْيَاءُ يَصْرُخُ مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ:«وَإِنْ كَانَ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ، فَالْبَقِيَّةُ سَتَخْلُصُ. لأَنَّهُ مُتَمِّمُ أَمْرٍ وَقَاضٍ بِالْبِرِّ. لأَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ أَمْرًا مَقْضِيًّا بِهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَمَا سَبَقَ إِشَعْيَاءُ فَقَالَ: «لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا نَسْلاً، لَصِرْنَا مِثْلَ سَدُومَ وَشَابَهْنَا عَمُورَةَ»" (الآيات 27-29). إن طرق الله متساوقة بصورة كاملة. تاريخياً، لم يُحسَب جميع نسل الآباء كإسرائيليّين. فشعب الله الحقيقيّ كان على الدوام مجرد بقية؛ أما بالنسبة للآخرين، فيتعامل الله معهم عاجلاً أم آجلاً بحسب دينونته العادلة.

إن دراسة العهد القديم تبين بوضوح طرق الله مع البشر. كان الله ينتظر بصبرٍ وطول أناة؛ ثم يتصرّف فجأة، فيجلب عمل دينونة قصيرة. فالطوفان، ودينونة سدوم وعمورة، وإهلاك المتمرّدين في البرية، والاجتياحات الأشوريّة، ولاحقاً البابليّة، جميعها توضح هذه النقطة. وبعد حادثة الجلجثة، انتظر الله مدة أربعين سنة وبعدها فجأة، اجتاحت جيوش تيسباسيان وتيطس الأرض كالطوفان جالبة على أمة إسرائيل نهاية شنيعة. فالله يعمل طبقاً لكلمته المنطوقة، وفي وسط الدينونة يذكر الرحمة، مبقياً دائماً لنفسه بقية أمينة، هي إسرائيل الحقيقيّة. فإن حكمة الله، وإرادته، وكلمته جميعها تتفق على أن الله يتعامل بكلا الرحمة والدينونة تماشياً مع المبادئ البارة ضمن نظرةٍ مسبقة واحدة، وقوةٍ قاهرة، وعدلٍ متّسق. وهذه هي الطريقة التي ينظر فيها بولس إلى المشكلة.

ب. كيفية تلخيص بولس للمشكلة (9:30-33)

يجمع بولس مختلف خيوط المواضيع معاً بوضوحٍ واختصار. فليس لدى اليهود حقّ المطالبة بالخلاص على أساسٍ وطنيّ. كان طريق الخلاص سهلاً لكنهم رفضوا السير فيه. لقد ركضوا حقاً، ولكن نزولاً في الطريق الخطأ، في حين أن الأمم إذ سمعوا الإنجيل تجاوبوا بسرور، وهكذا حصلوا على الخلاص الذي سعى اليهود إليه عبثاً. يؤكّد بولس على أن **(1) الأمم أدركوا الحقّ-بالإيمان**. "فَمَاذَا نَقُولُ؟ إِنَّ الأُمَمَ الَّذِينَ لَمْ يَسْعَوْا فِي أَثَرِ الْبِرِّ أَدْرَكُوا الْبِرَّ، الْبِرَّ الَّذِي بِالإِيمَانِ" (الآية 30). في الحقيقة، لم يكن الأمم يسعون وراء البر عندما وصلتهم الأخبار السارة المتعلّقة بالإنجيل. كانت مدن الأمم مراكز الخرافات والذنوب والأوثان. ومع ذلك، فما كادوا يسمعون بشارة الإنجيل حتى قبلوها بالمئات والآلاف، مرة بعد مرة، (وكما قال بولس)، "رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ، لِتَعْبُدُوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ" (1 تس 1:9-10).

وفي حين قبلت الأمم الإنجيل بكل فرح فإن يهود تلك المدن نفسها، ما خلا قلة من المؤمنين، انقلبوا ضدّ المرسلين بكراهية، وغضب, ومرارة، ورجموهم, وشتموهم، وأثاروا شغباً ضدّهم، ولاحقوهم من مدينةٍ إلى أخرى. يشدّد بولس على أنّ **(2) اليهود سعوا في أثر البر- ولكنّهم أخفقوا**. "وَلكِنَّ إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ يَسْعَى فِي أَثَرِ نَامُوسِ الْبِرِّ، لَمْ يُدْرِكْ نَامُوسَ الْبِرِّ! لِمَاذَا؟ لأَنَّهُ فَعَلَ ذلِكَ لَيْسَ بِالإِيمَانِ، بَلْ كَأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. فَإِنَّهُمُ اصْطَدَمُوا بِحَجَرِ الصَّدْمَةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «هَا أَنَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ، وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى». (الآيات 31-33). كان كلّ إسرائيليّ يعتقد أن اقتناء ناموس موسى هو كل ما هو مطلوب منه ما دام هو يحاول أن يعيش بحسبه. كان ذلك هدفاً بعيد المنال يطمح إليه. ومما أضاف إلى مأساة انحراف اليهود أنه عندما جاء المسيح، الذي تحدّث عنه الناموس والأنبياء جميعاً، عثروا به. لقد أراد اليهود مسيحاً مقاتلاً، أسداً؛ ولكن الله أرسل حملاً. أراد اليهود عرشاً؛ لكن الله أعطى صليباً.

إذًا حتى الآن, بالنسبة إلى معاملات الله السابقة مع إسرائيل، فإنه تعامل مع اليهود بحسب سيادته.

معاملات الله الحاليّة مع إسرائيل

21-1:10

أولا. الإعلان عن المسيح كمخلّص (4-1:10)

أ. بولس يعلن أن اليهوديّ ضالّ (1:10)

ب. . بولس يشرح سبب ضلال اليهوديّ (4-2:10)

1. بسبب ممارساته الدينية المضلّلة (2:10)

2. بسبب مساعيه الدينية المضلّلة (4-3:10)

ثانيا. قبول المسيح كمخلّص (15-5:10)

أ. اعتبار المسيح مخلصاً (9-5:10)

1. المشكلة المتأصّلة في الحصول على البرّ بالناموس (5:10)

2. المبادئ المتأصّلة في قبول البر من خلال الرب (9-6:10)

أ. الممنوعان المعقولان (7-6:10)

1. لا تحاول أن تُحدِر المسيح، أي تعيد التجسّد (6:10)

2. لا تحاول أن تُصعِد المسيح، أي تعيد القيامة (7:10)

ب. الترتيبات البسيطة(9-8:10)

1. الكتاب أسهل الكتب حصولاً عليه (8:10)

2. المخلّص هو أسهل شخص للوصول إليه (9:10)

ب. الاعتراف بالمسيح كمخلّص (15-10:10)

1. القيمة الإثباتية للاعتراف بالمسيح (13-10:10)

أ. يقدّم تعبيراً شخصيّاً عن ربوبية المسيح (11-10:10)

1. هو إيمان كاشف (10:10)

2. هو إيمان مؤكِّد (11:10)

ب. يقدّم إعلاناً علنياً لربوبيّة المسيح (13-12:10)

1. هو ربّ الكلّ (12:10)

2. هو ربّ للكلّ (13:10)

2. القيمة التبشيرية للاعتراف بالمسيح (15-14:10)

ثالثا. المسيح يُرفَض كمخلّص (21-16:10)

أ. عدم إيمان اليهوديّ هو غير منطقيّ (20-16:10)

1. يمكنهم أن يؤمنوا (18-16:10)

2. ينبغي أن يؤمنوا (20-19:10)

ب. عدم إيمان اليهوديّ يتّصف بالعناد (21:10)

إن المفتاح لمعاملات الله السابقة مع إسرائيل هي سيادته، ومفتاح معاملاته الحاضرة هي خلاصه. فالله يقدّم الخلاص اليوم لليهوديّ بالشروط نفسها التي قدّمها للأمميّ، ولا يفرّق على أساسٍ قوميّ. وفي هذا التدبير، ليس اليهوديّ ولا الأمميّ بل الكنيسة هي قناة الله للبركة للجنس البشري. إن امتيازات اليهوديّ وحقوقه الخاصة قد عُلِّقت. إن أراد يهوديّ اليوم أن يحظى برضا الله فينبغي عليه أن يأتي إلى الجلجثة كخاطئٍ ضالٍّ ويقبل مسيحه مخلّصاً وربّاً. هذا هو موضوع الفصل العاشر من سفر رومية.

أولاً. الإعلان عن المسيح كمخلّص (1:10-4)

لقد رفض اليهود على صعيد وطني يسوعَ الناصريّ واستجلبوا لعنة الله على الأمّة (متى 25:27). يحتاج اليهوديّ بشكلٍ فرديّ إلى إدراك حالته الضائعة تماماً مثل أي إنسان آخر، وإلى الانضمام إلى البقية، أي إسرائيل الله الحقيقيّة، عن طريق قبول المسيح شخصياً.

أ. بولس يعلن أن اليهوديّ ضالّ (1:10)

من غير أن يضيّع بولس أية كلمات سدى، يقبض بإحكام على المشكلة التي تواجه كل يهودي في هذا التدبير. ويقول، "أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ" (الآية 1). إن كلمة "الإخوة" الملطّفة هنا تخفّف كلاً مما سبق ومما يتبع من عبارات. قد يستخدم بولس نغمةً رقيقة الصوت ولكنه لن يخفف ولو للحظة واحدة من الحق! فاليهوديّ يحتاج إلى الخلاص.

ب. بولس يشرح سبب ضلال اليهوديّ (2:10-4)

يعمل بولس على توضيح سببين أساسيين لضلال اليهوديّ، وهما سببان ينطبقان بالمعنى العام على كثير من الأمم أيضاً. فاليهوديّ ضالّ بسبب **(1) ممارساته الدينية المضلّلة**. "لأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلهِ، وَلكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ" (الآية 2). "والغيرة لله" أمرٌ عظيم ما دامت موجّهة بشكلٍ سليم؛ ولكن الأمر يضحي مأساويّاً إن دفعت الغيرة المرء في طريق دينيّ خاطئ. كان بولس يعرف تماماً عما يتحدث عنه هنا. ففي كلامه مع الملك أغريباس في وقتٍ لاحق استطاع أن يشهد بقوله، "فَأَنَا ارْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَصْنَعَ أُمُورًا كَثِيرَةً مُضَادَّةً لاسْمِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ. وَفَعَلْتُ ذلِكَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ، فَحَبَسْتُ فِي سُجُونٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْقِدِّيسِينَ، آخِذًا السُّلْطَانَ مِنْ قِبَلِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ. وَلَمَّا كَانُوا يُقْتَلُونَ أَلْقَيْتُ قُرْعَةً بِذلِكَ. وَفِي كُلِّ الْمَجَامِعِ كُنْتُ أُعَاقِبُهُمْ مِرَارًا كَثِيرَةً، وَأَضْطَرُّهُمْ إِلَى التَّجْدِيفِ. وَإِذْ أَفْرَطَ حَنَقِي عَلَيْهِمْ كُنْتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي فِي الْخَارِجِ" (أعمال الرسل 9:26-11). ثم أيضا عندما هو نفسه زُجَّ في سجن في رومية من أجل المسيح، استطاع أن يكتب إلى أصدقائه في فيلبي مستعيداً ذكريات أيامه قبل الاهتداء. "مَعَ أَنَّ لِي أَنْ أَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ أَيْضًا. إِنْ ظَنَّ وَاحِدٌ آخَرُ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى الْجَسَدِ فَأَنَا بِالأَوْلَى. مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ. مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ. مِنْ جِهَةِ الْبِرِّ الَّذِي فِي النَّامُوسِ بِلاَ لَوْمٍ. لكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا، فَهذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً" (فيلبي 3:4-7).

كان بولس نفسه قد وصل إلى نقطةٍ أدرك معها أخيراً أن كل ما افترض أنها أصولٌ دينية لم تكن في الحقيقة سوى أعباء ينبغي أن ينقلها جميعاً من حساب رصيد الربح إلى حساب رصيد الخسارة. كان عليه أن يشطبها كأمور تافهة ويضع المسيح مكانها. فقبل اهتدائه، كانت له "غيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة" مع أنه تلقى أفضل تعليم متاح في أيامه، يتمحور حول الكتاب.

لا شيء يمكن أن يكون أسوأ من ممارسة دينية مضلّلة. توجد بلدة في كندا تتفرّع منها أربعة طرق. يسير أحدها شمالاً إلى أن ينضم إلى طريق ألاسكا العامّ. ويسير الثاني جنوباً باتجاه الحدود الأميركية. ويتجه آخر شرقاً نحو سفوح جبال الروكي حيث يصل إلى نهاية شديدة الانحدار. وينطلق آخر غرباً باتجاه المحيط الهادئ. لنفترض أن سائقاً أراد أن يقود سيارته باتجاه الجنوب إلى الحدود الأميركية ولكنه بدلاً من أن يستحوذ على الإرشادات المحدّدة قرّر أن يسلك الطريق الذي يستحسنه أكثر من سواه. وبدا له أن الطريق الشماليّ أفضلَها له، لذلك باشر انطلاقته بفرح على طول هذا الطريق بالسرعة القصوى. هذه هي حالة الغيرة المضلّلة. وكلما أسرع في قيادته وابتعد عن طريقه، ازداد نأيا أكثر فأكثر عن المكان المطلوب. هكذا ينغمس أناس كثيرون في أنشطةٍ دينية حماسية غير مبالين بحقيقة كون غيرتهم مضلّلة، وبالفعل تسرع بهم إلى طريقٍ خاطئ تماماً. "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً، وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ" (أم 12:14).

واليهوديّ ضالّ ليس فقط بسبب ممارساته الدينية المضلّلة ولكن أيضاً بسبب **(2) مساعيه الدينية المضلّلة.** "لأَنَّهُمْ إِذْ كَانُوا يَجْهَلُونَ بِرَّ اللهِ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ يُثْبِتُوا بِرَّ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يُخْضَعُوا لِبِرِّ اللهِ. لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ" (الآيتان 3-4). كانت مهمة اليهودي العظمى هي أن يبني لنفسه صرحاً للبر بقوته الذاتية على أساس مراسيم سيناء- وهي مهمة مستحيلة تماماً. فالعثور على البر لا يكون في سيناء وإنما في الجلجثة؛ هو لا يكمن في قبول مبدأ وإنما في قبول شخص؛ وليس في خدمة الوصايا وإنما في الخضوع للمسيح. إن الخضوع لبرّ الله معناه تخلي الإنسان عن "بره" الذاتي والإقرار بالفشل الكامل. هذا شيء يرفضه عادة اليهوديّ وجميع الأشخاص (المتمسكين بالطقوس الدينية) أي "المتديّنين". ولكن من غير مثل هذا الخضوع فإن الإنسان ليس ضالاً فقط بل هو ضال بلا عذر لأن المسيح قد تم إعلانه كمخلّص.

ثانياً. قبول المسيح مخلّصاً (10:5-15)

يبيّن بولس بعد ذلك أن هناك شيئاً يسبق قبول المسيح وشيئاً يتبعه. فقبول المسيح يسبقه اعتبار منصف له، ويتبعه الاعتراف الصريح به.

أ. اعتبار المسيح مخلصاً (10:5-9)

قبل أن يوجهنا بولس نحو الجلجثة يود منا أن نلقي نظرة أخيرة على سيناء ونفكّر من جديد **(1) في المشكلة المتأصّلة في الحصول على البرّ بالناموس.** "لأَنَّ مُوسَى يَكْتُبُ فِي الْبِرِّ الَّذِي بِالنَّامُوسِ: «إِنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا»" (10:5). والاقتباس من لاويين 18:5، ويشير إلى أنّه للحصول على الخلاص بالناموس، ينبغي على الإنسان أن يعيش بحسب جميع مفاهيم الناموس من غير أن يتعدَّى على أيٍّ منها. وإن كان الإنسان قادراً على القيام بذلك، يصبح في وسعه أن يكسب طريقه إلى السماء. وهذا يؤكد على المشكلة المتأصّلة في الناموس، لأنه لا يمكن لأحدٍ أن يعيش مثل هذه الحياة الكاملة. إن آية "إِذَا فَعَلَهَا الإِنْسَانُ يَحْيَا بِهَا" ليست سوى تعزية مفعمة بالغم للشخص الذي يدرك عجزه عن العيش بحسب الناموس الإلهيّ. ويقول بولس لليهوديّ، ليس الناموس الذي عليك التماسه للبرّ، إنما **الرب**؛ ليس موسى وإنما المسيح- وهو بالذات من رفضتَهُ قبلاً.

وللتأكيد على هذا التباين يوضح (2) **المبادئ المتأصّلة في قبول البر من خلال الربّ.** لاحظ (أ) **الممنوعين المعقولين اللذين يؤكد عليهما.** "وَأَمَّا الْبِرُّ الَّذِي بِالإِيمَانِ فَيَقُولُ هكَذَا:«لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ: مَنْ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟» أَيْ لِيُحْدِرَ الْمَسِيحَ، «أَوْ: مَنْ يَهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟» أَيْ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ" (الآيتان 6-7). والاقتباس مأخوذ من سفر التثنية 30:11-14 وهو ليس مجرداً من صعوباته. ويجادل البعض بأن بولس يقتبس كلمات موسى المتعلّقة بالناموس ويعدّلها لتنطبق على الإنجيل، إلا أن التباين ليس بين الناموس والإيمان وإنما بين البرّ الذي ينبع من الاثنين. وبالإضافة إلى ذلك، يتوغَّل بولس في روح النص الأصليّ. فكما قال موسى إنه لا حاجة لأحدٍ أن يذهب إلى السماء لكي يأتي بالناموس هكذا أيضاً يصح القول بأنه لا حاجة لأحدٍ أن يصعد إلى السماء لكي يُحدِر المسيح إلى الأسفل. وكما قال موسى، إنه لا حاجة لأحدٍ لأن "يعبر البحر" لكي يجد الناموس, فكذلك لا حاجة لأحدٍ لكي يفتّش في الأعماق ليجد المسيا.

لاحظ أيضاً (ب) **الشرطين البسيطين اللذين يؤكّد عليهما.** "لكِنْ مَاذَا يَقُولُ؟ «اَلْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ» أَيْ كَلِمَةُ الإِيمَانِ الَّتِي نَكْرِزُ بِهَا" (الآية 8). فكما كان الوصول إلى كلمة الله بالغ السهولة في أيام موسى هكذا الكتاب المقدس الآن، هو أسهل الكتب حصولاً عليه. لا تنصّ الرسالة المسيحية على وجود أية مستحيلات لتسخر من الخاطئ كمثل إحدار المسيح من السماء أو إصعاده من الهاوية. وعبارة "كَلِمَةُ الإِيمَانِ" تشتمل على رسالة الإنجيل بجملتها بما فيها بشارتها المجيدة بأن المسيح **قد** نزل من السماء؛ وصعد من عالم الأموات. وأعظم معجزتين في الإيمان المسيحيّ هما **التجسّد** الذي يخبرنا بأن المسيح نزل من

السماء، **والقيامة** التي تخبرنا بأنه قام من القبر. ولا ينبغي إلا الإيمان بهما في القلب. يقول الكتاب، إنّ "كَلِمَة الإِيمَانِ" هي الأكثر سهولة (من بين الكلمات الأخرى) للوصول إليها.

ولكن المخلّص هو أسهل شخص للوصول إليه أيضاً. يقول بولس: "لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ" (الآية 9). وينصبُّ التركيز على يسوع ربًّا، أي على ألوهيّته؛ وكذلك التركيز أيضاً على البرّ بالإيمان على النقيض من البر الذي بالأعمال. وفي صميم رسالة الإنجيل نجد التأكيد المنتصر المدويّ المتعلّق بالرب يسوع إذ "أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ." وقيامة المسيح من الأموات هي إحدى أفضل الحقائق المبرهنة في التاريخ. ولا يمكن لأيّةِ نظرية تعليلها. فهي الصرخة العظيمة في الكنيسة الطفلة، والحقيقة المشهود لها جداً، والتي لا يمكن لأحد أن ينكرها. لقد صرخت الكنيسة الأولى، "لقد شوهد! لقد شوهد!" وعرف كلّ إنسان أن هذا صحيح (1 كور 5:15-8).

ثم يقول بولس، "وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ." إن القلب هو محط استهواء الإنجيل في المقام الأول أكثر من الرأس. فالله لا يطلب مجرد الموافقة الفكرية فقط على العقيدة وإنما التكريس الشخصيّ ليسوع كربّ. وفي الفكر العبريّ، "القلب" تضمَّن الإنسان بجملته. ومن المثير للاهتمام مقارنة رومية 9:10 مع 2 كور 4:4-6. فالشيطان يعمي **الفكر** ولكن الله ينير **القلب**.

إن المخلص هو أكثر الناس سهولة للوصول إليه. ينبغي الإيمان به في القلب والاعتراف به بالفم. يقول بولس، "إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ." وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي رفض اليهود الإقدام عليه, وهذا ما يرفضون حتى اليوم القيام به. فهم لا يعترفون بألوهية يسوع. فمثل هذا الاعتراف هو الدليل الدائم الوحيد على أن التغيير قد حصل في النفس. ويبدو أن الاعتراف هو ذو اتجاهين: إلهيّ وإنسانيّ أيضاً، ولدى بولس المزيد ليقوله بشأن هذا الموضوع في الآيات التالية.

ب. الاعتراف بالمسيح كمخلِّص (10:10-15)

قيمة الاعتراف بالمسيح هي (1) إثباتيّة. فهي تُقدِّم في المقام الأول (أ) تعبيراً شخصيّاً عن ربوبية المسيح. توجد هنا قيمتان: واحدة تتضمن إعلاناً عن إيمانٍ شخصيّ، والثانية تعرب عن تأكيد لإيمانٍ شخصيّ. "لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ" (الآية 10). وهنا يوجد تغيير في ترتيب "القلب" و"الفم" لأن بولس يتبع في الآية 9 الترتيب الذي اعتمده موسى, أما في الآية 10 فهو يتبع ترتيب الاختبار. يأتي الإيمان قبل الاعتراف, "والاعتراف" هنا ليس مطلباً ناموسياً. هو ليس شيئاً ينبغي فعله لكي نخلص. إنه نتيجة طبيعية للإيمان الحقيقي. قال يسوع، "مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّم الفَم" (مت 34:12).

يقول ستِفْلِر، "إذا كان أحد يؤمن في القلب، فهذا الإيمان يأتي به إلى البرّ، أي الموقف الصحيح أمام الله؛ وإن كان الآن يعترف علناً في حياته بتمسّكه بيسوع، فإن ذلك الاعتراف يقود لخلاصٍ نهائي. وهكذا يتحلّل الخلاص إلى عنصريه، ثقة القلب التي تولّد الاعتراف الصادق، ومع ذلك فالعنصران متّحدان؛ لأنّ الاعتراف من غير إيمان هو إما خداع ذاتيّ أو رياء، كما قد تكون الثقة بدون اعتراف جبناً (يوحنا 38:19)." ويأخذ دبليو إي ڤاين موقفاً مماثلاً: "لقد أعطي الآن الترتيب الحقيقيّ: الإيمان أولاً ثم الاعتراف. ينبغي، لكي يخلص الإنسان أن يُحسَب له البر ، وهذا يعتمد على الإيمان؛ ولكن الإيمان يقود بالضرورة إلى الاعتراف. وغياب الاعتراف يعبّر عن الافتقار إلى الإيمان." ويماثل ذلك ما ورد في تعليق سانداي: "البداية الحياة المسيحية جانبان: داخلياً، تغيير القلب الذي يتضمنه الإيمان؛ وهذا يقود إلى البرّ، وهو موقف القبول أمام الله: وخارجيّاً، يتضمن ‹الاعتراف بالمسيح مصلوباً...›، وهو موقف القبول أمام الله: وتعني خارجياً ‹الاعتراف

بالمسيح مصلوباً....'[3] ويستطرد سانداي إلى ما هو أبعد بكثير عندما يقول إن هذا الاعتراف يتم عند المعمودية.

إذاً أول قيمة لتقديم الاختبار الشخصيّ عن ربوبية المسيح تكمن في حقيقة كونه إعلاناً للإيمان. وهذا يحدث، بلا شك، بالاتجاه القلبيّ أولاً نحو الله، ولكن يتفّق العديد من الشرّاح على أنه أيضاً ظاهريّ وبشريّ. وتكمن القيمة الثانية في حقيقة كونه تأكيداً على الإيمان. "لأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ:«كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى»" (الآية 11). وهذا لا يعني ما تشير إليه نسخة " Authorize" الإنكليزية بأن المؤمن لن يخزى من الاعتراف بالمسيح أمام الناس، ولكنه يعني بالأحرى أن كل من يؤمن بالرب يسوع "لاَ يُخْزَى" أو كما يضعها جي بي فيلبس، "لن يخيب أمله." الاقتباس هو من سفر إشعياء .16:28

إن قيمة الاعتراف بالمسيح هي قيمة إثباتية لا لأنها تعبّر تعبيراً شخصياً عن ربوبية المسيح فقط ولكن لأنها أيضاً تعطي **(ب) إعلاناً علنياً لربوبية المسيح**. ويبدو أن تأكيد بولس هنا هو ذو شقّين. فهو يسترعي الإنتباه إلى حقيقة كون المسيح رباً للكل: "لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ، لأَنَّ رَبًّا وَاحِدًا لِلْجَمِيعِ، غَنِيًّا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِ" (الآية 12). وقد أثبت بولس في موضعٍ سابق من الرسالة بأنّ "الجميع أخطأوا." وها هو الآن يبيّن بأنَّ في إمكان الجميع أن يخلصوا. ليس هناك فرقٌ أو تمييز بين اليهوديّ والأمميّ لا في مسألة الخطية ولا في طريقة الخلاص. إن ربوبية المسيح في مسألة الخلاص هذه تنطبق على الاثنين بالمقدار ذاته.

ثم يشير بولس إلى أن يسوع هو ربٌّ للجميع: "لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ" (الآية 13). هل يمكن لرسالة الإنجيل أن تُختَزل أبدا في تعابير أبسط من هذه؟ أين يمكن أن يوجد في نطاق آية واحدة قصيرة عبارة أفضل في مداها من ("كُلَّ مَنْ")، وفي بساطتها من ("يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ") وفي جوهرها ("يَخْلُصُ")؟ ففي وسع كل إنسان يستطيع أن 'يدعو'، يهودياً كان أم أممياً، صغيراً أم كبيراً، عبداً أم حراً، غنياً أم فقيراً، مثقّفاً أم بسيطاً- كل إنسانٍ يمكن أن 'يدعو'. إن الاعتراف بالاسم، أي الاعتراف بيسوع رباً يقدم تعبيراً شخصياً وإقرارا علنياً عن حقيقة كون المسيح يُخلّص. وهنا تكمن قيمته الإثباتية.

وهذا يؤدي، بطبيعة الحال، إلى حقيقة كون قيمة الاعتراف بالمسيح هي **(2) تبشيرية**. فبما أن الخلاص هو متوافر لجميع الناس بالمسيح، إذاً ينبغي أن يُعلَن لجميع الناس. "فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلاَ كَارِزٍ؟ وَكَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«مَا أَجْمَلَ أَقْدَامَ الْمُبَشِّرِينَ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِينَ بِالْخَيْرَاتِ»." (الآيتان 14-15).

ثالثاً. رفض المسيح كمخلِّص (10:16-21)

يعود بولس الآن إلى الحقيقة المحزنة التي تشغل فكره في جميع هذه الفصول. لقد رفض اليهوديّ المسيحَ كمخلِّص. وقبل أن يختتم بولس المقطع الذي يعالج معاملات الله الحالية مع إسرائيل، يبيّن كم أنّ عدم إيمان اليهوديّ بالرب يسوع المسيح، هو غير منطقي وصارم.

أ. عدم إيمان اليهوديّ في المسيح هو غير منطقيّ (10:16-20)

يؤكد بولس بأن عدم إيمان اليهوديّ بالمسيح هو غير منطقيّ لسببين. (1) **يمكنهم أن يؤمنوا**. لاحظ (أ) أنّ **القوة الفريدة** لكلمة الله تجعل الإيمان بالمسيح ممكناً. "لكِنْ لَيْسَ الْجَمِيعُ قَدْ أَطَاعُوا الإِنْجِيلَ، لأَنَّ إِشَعْيَاءَ يَقُولُ:«يَارَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟» إِذًا الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ، وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللهِ [في الأصل **بكلمة المسيح**]" (الآيتان

16-17). يندب بولس مع إشعياء (إش 1:53) ما لشعبه من عدمِ إيمانٍ غير منطقيّ، لأن الإنجيل ليس شيئاً جديداً؛ بل هو متجذِّرٌ ومتأصّلٌ بثباتٍ في العهد القديم.

الإيمان **بالخبر (بالاستماع)**. فبعد نشر الرسالة فقط يمكن للتجاوب أن يُضرم. إن الكارثة الكبرى هي أن الناس يرفضون الاستماع. لقد رفضت إسرائيل أن تسمع، ونادى الرب يسوع مرة تلو مرة، "مَنْ لَهُ أذنان للسمَعِ فلْيَسمع" (متى 15:11؛ 9:13، 43). وغالباً الذين يوافقون على الإنصات يخفقون في الاستماع، إلا أن كلمة الله المنشّطة تضمن إحياء إيمان الذين يسمعون ويتجاوبون. ويشدّد بطرس على حقيقةٍ مشابهة عندما يقول "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ" (1 بطرس 23:1). ولذلك، فمن حيث أن هناك قوة في كلمة المسيح للذين يسمعون، فإن عدم إيمان اليهودي هو أمرٌ غير منطقيّ.

وليست القوة الفريدة لكلمة الله فحسب تجعل الإيمان ممكناً، ولكن **(ب) الإعلان العالمي للكلمة** يجعل الإيمان ممكناً. يقول بولس: "لكِنَّنِي أَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا؟ بَلَى! «إِلَى جَمِيعِ الأَرْضِ خَرَجَ صَوْتُهُمْ، وَإِلَى أَقَاصِي الْمَسْكُونَةِ أَقْوَالُهُمْ»" (الآية 18).

عدم إيمان اليهود غير منطقيّ ليس فقط لأنه بإمكانهم أن يؤمنوا ولكن لأنهم (2) **ينبغي أن يؤمنوا**. ويحاجج بولس إن الأمم قبلوا الإنجيل، وهذه الحقيقة وحدها يجب أن تحرّك الضمير اليهوديّ. "لكِنِّي أَقُولُ: أَلَعَلَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعْلَمْ؟ أَوَّلاً مُوسَى يَقُولُ:«أَنَا أُغِيرُكُمْ بِمَا لَيْسَ أُمَّةً. بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُكُمْ». ثُمَّ إِشَعْيَاءُ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولُ:«وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي، وَصِرْتُ ظَاهِرًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا عَنِّي»" (الآيتان 19-20). ينوِّه بولس بموسى وإشعياء كشاهدَيْن على أن الكتب المقدسة العبرية نفسها أنبّأت باهتداء الأمم. ينبغي أن يؤمن اليهود إن لم يكن لأي سبب آخر سوى مجرد الغيرة من حقيقة أن الأمم قد سرقوا المسيرة منهم، إن جاز التعبير.

ب. عدم إيمان اليهودي في المسيح متشدد (21**:10**)

على الرغم مما أسبغه الله من امتيازات على أمة إسرائيل، وعلى الرغم من طول أناته، وعلى الرغم من دعواته وتحذيراته المتكرّرة، فإن اسرائيل ثابرت على التمرّد والاحتجاج. وكما يقول الرب من خلال إشعياء: "طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مُعَانِدٍ وَمُقَاوِمٍ" (الآية 21). وتعني كلمة "عدم مطيع" "رافض للاقتناع" مما يشدّد على صرامة عدم الإيمان اليهوديّ.

إذًا إلى الآن، إن الله من جهة معاملاته الحالية مع إسرائيل، يتكلّم مع اليهوديّ كفرد. فهو يعرض عليه الخلاص على نفس الأساس الذي يعرضه على الأمميّ. إن الأمم يزدحمون بكثرة للدخول إلى الملكوت ولكن، بالمقارنة، لا يبالي بدعوة الإنجيل سوى قلة من اليهود.

معاملات الله الموعود بها مع إسرائيل

11:1-36

أولا. عدالة الله في التعامل مع إسرائيل (11:1-10)

أ. بولس يتخذ نفسه مثالاً على ذلك (11:1)

ب. بولس يتخذ التاريخ مثالاً على ذلك (11:2-10)

1. معاملات الله مع الأقلية المؤمنة (11:2-6)

2. معاملات الله مع الأغلبية العمياء (11:7-10)

ثانيا. بُعْد النظر الإلهي في معاملاته مع إسرائيل (11:11-29)

أ. يتصرّف الله باستنكار (11:11-22)

أ 1. ولكن من غير التغافل عن استرداد إسرائيل المستقبليّ (11:11-16)

2. ومن غير التغافل عن افتداء الأمم الحاضر (11:17-22)
ب. يتصرّف الله بصورة تدبيرية (11:23-29)
1. إن من ضمن قدرة الله أمر استرداد إسرائيل (11:23-24)
2 . إن من ضمن مقاصد الله أمر استرداد إسرائيل (11:25-29)
أ. ضمانته النِينيوية (11:25)
ب. ضمانته المسيحيانية (11:26
ج. ضمانته التعاقدية (11:27-29)

ثالثا. أمانة معاملات الله مع إسرائيل (11:30-36)

أ. رحمة طرق الله (11:30-32)
1. رحمته على الأمم (11:30)
2. رحمته على اليهود (11:31)
3. رحمته على العالم (11:32)
ب. جلالة طرق الله (11:33-36)
1. تفوقُ كلَّ الاستدلالات البشرية (11:33-35)
2. تفوقُ كلَّ التداخلات البشرية (11:36)

إنّ مفتاح معاملات الله الموعود بها مع شعب إسرائيل هو صدقُهُ. فالمواعيد الجليلة التي قطعها الله لإبراهيم ونسله فيما يتعلق بالعائلة العرقية العبرية، ولداود ونسله بما يختص بالعائلة الملَكيّة لم تُلغَ وإنما تأجّلت فقط, وجميعها كانت تتمحور حول المسيح، وستبقى معلّقة إلى حين مجيئه الثاني. إن تحقيقها النهائيّ ينتظر مجيئه ثانية حين ترحِّب به أخيراً الأمة التي رفضته، كمسيحها وقريبها الفادي. وكما رأينا، يقدّم الله الخلاص في عصرنا الحاضر لليهوديّ كما للأمميّ على أساس فرديّ. والذين يقبلون يسوع مخلّصاً يصبحون أعضاء في الكنيسة، وورثة لما ينصّ العهد الجديد عليه من امتيازاتٍ وصلاحيات. ويمكن تلافي الأخطاء في تفسير الفصل 11 من سفر رومية بملاحظة أن موضوعها ليس الكنيسة، وإنما الأمة اليهودية، والشعوب الأممية أيضاً التي تشغل، في هذا العصر التدبيريّ، مكان الامتياز الدينيّ الذي خسره اليهود غير المؤمنين.

يبيّن بولس في الفصل الحادي عشر أنه بالرغم من أن اليهودي قد خسر امتيازاته الدينية الوطنية في الحقبة الراهنة، فسيأتي الوقت الذي يحيي الله فيه المواعيد من جديد ويحقّقها. فالمسيحيّ ليس وارثاً للمواعيد اليهودية المتميّزة ولكنه بالأحرى **النسل السماوي لإبراهيم** (تك 15:5-6؛ غل 3:8، 29) وشريكاً لبركات العهد الإبراهيمي الروحية (تك 15:18). فاليهود هم الشعب **الأرضيّ** لله، وستتمّ المواعيد العظمى المحبوكة في نسيج العهد القديم بشأن مملكة أرضية حرفية. "لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ" (رو 11:29). إن الله لا يغيّر رأيه. ويحدّد بولس في هذا الفصل عدالة الله وبُعْدَ نظره وأمانته في معاملاته مع إسرائيل، شعبه القديم.

أولاً. عدالة الله في التعامل مع إسرائيل (11:1-10)

يبدأ بولس بتوضيح أن الله يتعامل مع الشعوب على أساس مبادئ ثابتة. وعلاوة على ذلك، فإن حكمه السائد مشوب دائماً بالنعمة.

أ. بولس يتخذ نفسه مثالاً على ذلك (**11**:1)

إنّ عدم تخلّي الله عن شعبه القديم واضح تماماً في اهتداء شاول الطرسوسيّ الذي كان ألدّ أعداء الإنجيل من قبل، ومُضطهِد الكنيسة الرئيس. "فَأَقُولُ: أَلَعَلَّ اللهَ رَفَضَ شَعْبَهُ؟ حَاشَا! لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِسْرَائِيلِيٌّ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ" (الآية 1).

ب. بولس يتخذ التاريخ مثالاً على ذلك (11:2-10)

بعد ذلك يقسم بولس اليهود إلى فئتين، أقلية مؤمنة وأغلبية عمياء أو متصلّبة. وهو يريد من إخوته أن يروا أنّ معاملات الله مع اليهود كانت عادلة ومتّسقة تماماً. تأمل أولاً في (1) **الأقليّة المؤمنة**. تستنتد تعاملات الله مع هذه البقية المؤمنة على حكمته التي لا يسبر لها غور (الآيات 2-4) وعلى عمله التام (الآيتان 5-6). "لَمْ يَرْفُضِ اللهُ شَعْبَهُ الَّذِي سَبَقَ فَعَرَفَهُ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ فِي إِيلِيَّا؟ كَيْفَ يَتَوَسَّلُ إِلَى اللهِ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: «يَارَبُّ، قَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ وَهَدَمُوا مَذَابِحَكَ، وَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي!». لكِنْ مَاذَا يَقُولُ لَهُ الْوَحْيُ؟ «أَبْقَيْتُ لِنَفْسِي سَبْعَةَ آلاَفِ رَجُل لَمْ يُحْنُوا رُكْبَةً لِبَعْل»" (الآيات 2-4). ندَّت شكوى إيليا ضدّ إسرائيل من شفتيه في أحلك ساعات اكتئابه الشخصيّ وسط الارتداد الوطنيّ المخيف. والقصة واردة في 1 ملوك 18-19.

إنّ الانتصار العظيم على جبل الكرمل الذي يشير إليه بولس، تسبّب في توجيه ضربة مدمرة لبنية سلطة إيزابل ولعبادة البعل الشيطانية التي استندت إليها. لكن هذا النصر لم يكن مكتملاً. لم ترسل إيزابل الماكرة جميع أنبيائها إلى لقاء الكرمل بل أبقت على سبيل الاحتياط أربعمائة نبيّ من أنبياء الغياض. وهكذا كانت مستعدة لمواجهة نصر إيليا، الأمر الذي فعلتْهُ بطاقةٍ وعزم، مزعزعة بذلك حتى أعصاب النبيّ الحديدية. لقد هرب! وعندما استجمع قواه في النهاية وجد نفسه منهكاً بعيداً عن مشهد الصراع وتحت صخور حوريب التاريخية. ثم ارتمى النبيّ خجِلاً ومحبَطاً. وما لبث أن همس صوت الله المتحنِّن في مسامع رجله، "ما لَكَ هَهنا يا إيليّا؟" (1 ملوك 19:9)

ورداً على ذلك صلّى النبي متوسّلاً، حسبما يذكر بولس بدقة، ضدّ إسرائيل. ثم جاءت الريح والزلزلة والنار، وكانت كلٌّ منها تتلاءم مع مزاج النبي؛ فهي الأسلحة ذاتها التي ودَّ لو كانت في متناول يده عندما كان غاضباً من إسرائيل. ولكنّ الله لم يكن في أي من هذه الأشياء. إلا أنه عوضاً عن ذلك، سمع النبي صوتاً هادئاً هامسا؛ وفي ذلك الصوت اللطيف كان الله حالّاً وتكلّم به فقال، "مَا لَكَ هٰهُنَا يَا إِيلِيَّا"؟ كان هذا درساً عن النعمة؛ لكنّ غضب إيليا الذي تأجّج الآن ضدّ إسرائيل ما كان ليسكن بهذه الطريقة. وردَّ إيليا عن السؤال بالإجابة ذاتها التي أعطاها من قبل، كلمة كلمة. "غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا" (1 ملوك 19:14). وفجأة جاءه أمرٌ جديدٌ من الله لا يمكن رفضه. "اذْهَبْ رَاجِعًا فِي طَرِيقِكَ إِلَى بَرِّيَّةِ دِمِشْقَ، وَادْخُلْ وَامْسَحْ حَزَائِيلَ مَلِكًا عَلَى أَرَامَ، وَامْسَحْ يَاهُوَ بْنَ نِمْشِي مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَامْسَحْ أَلِيشَعَ بْنَ شَافَاطَ مِنْ آبَلَ مَحُولَةَ نَبِيًّا عِوَضًا عَنْكَ" (الآيتان 15-16).

لماذا لم يكن الله في الريح ولا الزلزلة ولا النار؟ لماذا لم توضَعْ هذه الأدوات الفعّالة بين يدَيْ إيليا؟ لماذا لم يُرجِع الله عبده بمهمة جديدة ضدّ أنبياء الغياض؟ لقد اشتعل الآن غضب إيليا بعد أن فكّر مليّاً طوال طريقه إلى حوريب، ليس ضد أنبياء إيزابل ولكن ضدّ إسرائيل؛ وهكذا على نقيض موسى الذي تشفَّع **من أجل** إسرائيل، فإن إيليا توسّل **ضدّهم**. لذلك لم يكن جديراً بالائتمان على أسلحةٍ حربية عظيمة كهذه، لأنه كانت هناك قلة من المؤمنين المبعثرين بين الأغلبية الملحدة من إسرائيل الذين لم يعرف إيليا بوجودهم ولكن الله كان عالماً بهم. لقد تذمّر النبيّ وقال، "فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي" فأجابه الله، "أَبْقَيْتُ لِنَفْسِي سَبْعَةَ آلاَفِ رَجُل لَمْ يُحْنُوا رُكْبَةً لِبَعْل".

وكما كانت الحال في أيام إيليا هكذا كانت في أيام بولس، واستمرت الأمور دائماً على ذلك المنوال. لا يترك الله نفسه بلا بقية. فقد مرّت أوقات في تاريخ الكنيسة، عانت من الحالة التي كانت إسرائيل عليها، حين خبا مصباح الشهادة، ولكنه لم ينطفئ البتة.

لا تعتمد تعاملات الله مع إسرائيل على حكمةٍ لا يسبر لها غور فقط، ولكن على عملٍ كامل أيضاً. "فَكَذلِكَ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ أَيْضًا قَدْ حَصَلَتْ بَقِيَّةٌ حَسَبَ اخْتِيَارِ النِّعْمَةِ. فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ، وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً، وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلاً" (الآيتان 5-6). كانت بقيّة الله دائماً مؤلفة ممّن يقبلون مبادئ الخلاص بالإيمان بواسطة النعمة. فعلى سبيل المثال، "كان أوائل أتباع المسيح هم آخر بقية الجماعة القديمة، وفي الوقت ذاته أول نواة للجماعة الجديدة."

وعلى النقيض من القلّة المؤمنة هناك **(2) الأغلبية العمياء**. ومع أن الله لديه في كل حين "مجرى خليج" من المؤمنين في إسرائيل، ولكن كان هناك أيضا محيط من الأغلبية غير المؤمنة من الأمّة. إن الصورة التي يرسمها بولس للأمة ككل صورةٌ حزينة. فهو يتحدّث عن البحث، أي عن بحث هذه الأمة العديم الجدوى. "فَمَاذَا؟ مَا يَطْلُبُهُ إِسْرَائِيلُ ذلِكَ لَمْ يَنَلْهُ. وَلكِنِ الْمُخْتَارُونَ نَالُوهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَتَقَسَّوْا" (الآية 7). وكلمة قساوة أو غلاظة مستخدمة في الأناجيل لتصف الفريسيّين الذي غضبوا من الرب يسوع لشفائه رجلاً في المجمع في يوم السبت (مرقس 5:3). ويستخدمها بولس لاحقاً ليصف الأمم الذين لم يؤمنوا "فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ" (أف 4:17-18). كان الشغل الشاغل للأمة اليهودية بحثها عن البر. وكان شغف اليونان بالمعرفة؛ والرومان بالسلطة؛ أما شغف اليهود فكان للبر. لقد أخفقوا في إصابة هدفهم الوطني حين أخفقوا في قبولهم للمسيح فتقسّوا باستثناء قلة من المختارين.

ويتحدّث بولس عن **سُبات** الأمة فيقول، "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَعْطَاهُمُ اللهُ رُوحَ سُبَاتٍ، وَعُيُونًا حَتَّى لاَ يُبْصِرُوا، وَآذَانًا حَتَّى لاَ يَسْمَعُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ»" (الآية 8). أصبحت الأمة عديمة الحسّ تجاه الحقائق الروحية حتى غدت موضوعاً للتقسية القضائية. وقد سبق بولس فأورد تعاملات الله مع فرعون مثالاً على التصلّب القضائيّ. ويتحدّث إشعياء بجدّية كبيرة عن حكم دينونة مشابهة تحل بإسرائيل (إش 10:29). وسيتعامل الله مع عالم المسيحيّة المرتدّة في يومِ آتٍ (2 تس 2:11-12). وكما أن البرص يجعل الجلد عديم الحساسية، هكذا غدت نفوس الأمة اليهودية عديمة الحساسية للمسيح.

ويتحدث بولس عن **فخّ** الأمة. "يَقُولُ دَاوُدُ، لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ فَخًّا وَقَنَصًا وَعَثْرَةً وَمُجَازَاةً لَهُمْ" (الآية 9). كان في محلّة القدس داخل خيمة الاجتماع مائدة. وكان امتياز إسرائيل السامي والمقدّس هو الأكل مع يهوه حول مائدته، وهو امتيازٌ لم يكن من حق الكهنة وحدهم، بل من حق الشعب أيضاً عندما يقدّمون ذبائح السلامة (خروج 11:24؛ لا 16:6؛ 18:7، 20). وكذلك في أيام الأعياد، كان شعب إسرائيل يجلسون حول المائدة مع يهوه، إذا جاز القول. وقد غدا هذا الامتياز الأسمى والأقدس والأبهج بين جميع امتيازات الأمة فخاً لها في عدم إيمانها. فقد أصبحت أكثر اشتغالا بالفرائض الظاهرية من الحقيقة الروحية.

يتحدث بولس عن عبودية الأمة، ويقول، "لِتُظْلِمْ أَعْيُنُهُمْ كَيْ لاَ يُبْصِرُوا، وَلْتَحْنِ ظُهُورَهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ" (الآية 10). إن انحناء الظهر وانحلال الحقوين صورة حية عن العبودية والخوف. فقد هرب اليهود جيلاً إثرَ جيلٍ من بلدٍ إلى بلدٍ، تلاحقهم دائماً لعنة "معاداة السامية" القاسية. فقد جرّ الرفض الوطنيّ للمسيح وراءه أحمالاً من المآسي التي لا توصَف من عصر إلى عصر. ولم تكن معسكرات هتلر الإبادية سوى واحدة من أعلى درجات المد المأساوي من أحزان اليهود المشتّتين. ونعلم مما هو مكتوب في صفحات أنبياء الكتاب أن هذه الأهوال لن تكون الأخيرة إذ ان أهوال الضيقة العظيمة ما برحت تنتظر الأمة. إلا أنه بعد تلك الضيقة الأخيرة يقول الله "وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ، الَّذِي طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ، وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَعْظُمُ النَّوْحُ فِي أُورُشَلِيمَ كَنَوْحِ هَدَدْرِمُّونَ فِي بُقْعَةِ مَجِدُّونَ. وَتَنُوحُ الأَرْضُ عَشَائِرَ عَشَائِرَ عَلَى حِدَتِهَا" (زك 12:10-12).

إذاً نرى هنا عدل الله في معاملاته مع إسرائيل. فالأقلية المؤمنة وجدت نعمة في عيني الله، وضُمَّت إلى الكنيسة. أما الأغلبية العمياء فقد ذاقت قساوة القضاء وعماه الذي سبق أن حَذّرَت كتب الأنبياء الأمة منهما.

ثانياً. بُعْد نظر تعاملات الله مع إسرائيل (11:11-29)

إنّ فرز إسرائيل كدولةٍ في الوقت الحالي يتماشى مع أهداف الله البعيدة المدى للشعب اليهوديّ، كما أن له بعض الفوائد الفورية للأمم غير اليهودية. لقد جاء يافث ليسكن في خيام سام (تك 27:9). ولم يكن فرز الله لإسرائيل خطوة دائمة من طرفه لأن ذلك ينطوي على إلغاء المواعيد المضمونة لإبراهيم ونسله بضماناتٍ

جدية وغير مشروطة. إن موضوع بولس في القسم الثاني من هذا الفصل يتعلق بعدم إلغاء المواعيد وإنما حول مجرد تأجيل الوفاء بها.

أ. يتعامل الله اليوم مع اسرائيل بغير رضا (11:11-22)

لقد عولج هذا الموضوع بشكل رئيس من وجهة نظر الأمم. لقد خشي بولس من أن ينتاب الأمم الكبرياء بسبب مركزهم الحاليّ ذي الامتياز فيقعوا في ذات الخطأ الذي وقعت فيه إسرائيل القديمة. فكما أن اليهودي كان في الأيام القديمة يعتبر نفسه المفضَّل لدى السماء، وكان يحتقر الأمميّ، هكذا أيضاً في هذا العصر التدبيريّ هناك خطر أن يعتبر الأمميّ نفسه بأنه المفضَّل لدى السماء ويحتقر اليهوديّ. وفي سياق شرح بولس للأوضاع النسبية لليهوديّ والأمميّ في هذا الدهر وتسليط الضوء على بعض خطط الله لأمّة إسرائيل في المستقبل، فإن هذا المقطع مفعمٌ بالتحذيرات ضد مثل هذا الغرور الديني.

مع أن الله يتعامل مع اسرائيل بغير رضا في هذا العصر إلا أن ذلك، **(1) ليس بمعزل عن أخذ توقّع ردّ إسرائيل في الاعتبار**. أولاً، يوضح بولس هذه الحقيقة. "فَأَقُولُ: أَلَعَلَّهُمْ عَثَرُوا لِكَيْ يَسْقُطُوا؟ حَاشَا! بَلْ بِزَلَّتِهِمْ صَارَ الْخَلاَصُ لِلأُمَمِ لإِغَارَتِهِمْ. فَإِنْ كَانَتْ زَلَّتُهُمْ غِنىً لِلْعَالَمِ، وَنُقْصَانُهُمْ غِنىً لِلأُمَمِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ مِلْؤُهُمْ؟" (الآيتان 11-12). لقد رأى بولس هذا المبدأ قيد العمل في مدينةٍ إثرَ مدينة في الإمبراطورية الرومانية، حيث كان توجّهه إلى الأمم متبوعاً دائماً باستياءٍ وغيرةٍ عميقين من جانب الجماعة اليهوديّة، وكانت هذه الاختبارات حيّة في ذهنه لأنه في كورنثوس حيث كان يقيم عندما كتب هذه الرسالة إلى أهل رومية، عبَّر اليهود عن معارضتهم المعتادة للإنجيل، إلا أنّ في هذه الحالة منعتهم المشيئة الإلهية من القيام بهجومٍ شخصي على بولس مع أنهم كانوا يجدّفون بشدةٍ على الرب (أعمال 18). في وقتٍ لاحق، عندما كان بولس يخبر غوغاء أورشليم بشهادته، سمعه اليهود بصبرٍ إلى أن أعلن لهم كيف قال له الله، "اذْهَبْ، فَإِنِّي سَأُرْسِلُكَ إِلَى الأُمَمِ بَعِيدًا". وعندها "رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ قَائِلِينَ:«خُذْ مِثْلَ هذَا مِنَ الأَرْضِ، لأَنَّهُ كَانَ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَعِيشَ! وَإِذْ كَانُوا يَصِيحُونَ وَيَطْرَحُونَ ثِيَابَهُمْ وَيَرْمُونَ غُبَارًا إِلَى الْجَوِّ، أَمَرَ الأَمِيرُ أَنْ يُذْهَبَ بِهِ إِلَى الْمُعَسْكَرِ" (أعمال 22:21-24). فكان مجرد التفكير بأن الأمم لا بدّ أن يحظوا بما قد احتقروه هم أنفسهم (أي اليهود)، مثار غضبهم.

لقد غاروا غيرةً مُرَّةً من الوثنيّين ومقتوا توفير أيّ امتياز دينيّ لهم. كان موقفهم يشابه القول، "لا أرزقك ولا أدع الله يرزقك". فهم لم يقبلوا الإنجيل ولم يريدوا أن تقبله الأمم أيضاً.

وعلى الرغم من موقف إسرائيل الحاليّ تجاه الإنجيل، فإنّ بولس يتطلّع إلى اليوم الذي ستهتدي فيه الأمة. ويا له من يوم! فإذا كانت هذه البركات حلّت على الأمم بسبب عنادهم وغيرتهم وتمرّدهم فما هو مقدار الغنى المذخر للعالم عندما ترجع إسرائيل إل موقفها الصحيح! لم يخفق الله في رؤية هدفه النهائي.

ولا يفسّر بولس ما يفعله الله فقط بل **يستغل** ما يعمله. "فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ: بِمَا أَنِّي أَنَا رَسُولٌ لِلأُمَمِ أُمَجِّدُ خِدْمَتِي، لَعَلِّي أُغِيرُ أَنْسِبَائِي وَأُخَلِّصُ أُنَاسًا مِنْهُمْ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ رَفْضُهُمْ هُوَ مُصَالَحَةَ الْعَالَمِ، فَمَاذَا يَكُونُ اقْتِبَالُهُمْ إِلاَّ حَيَاةً مِنَ الأَمْوَاتِ؟ وَإِنْ كَانَتِ الْبَاكُورَةُ مُقَدَّسَةً فَكَذلِكَ الْعَجِينُ! وَإِنْ كَانَ الأَصْلُ مُقَدَّسًا فَكَذلِكَ الأَغْصَانُ" (الآيات 13-16). كان بولس يأمل أنه ببذل جهده حتى الإنهاك في عمل حياته العظيم في تبشير العالم الأممي، يخلص بعض إخوته اليهود، حتى ولو كانت الغيرة هي حافزهم.

ومن جديد يترقب بولس اليوم الذي تقبل فيه أمّةُ إسرائيل الربَّ يسوع. ويشبِّه الانتعاشَ العالميّ الناجم بأنه "حَيَاة مِنَ الأَمْوَات". ففي ذلك اليوم، الأرض "تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ" (إشعياء 9:11). إن إشارة بولس إلى الأصل والفروع تهيّئ الطريق لما يتبع. يبدو أن إبراهيم هو **الأصل** لأنه كان

مستودع المواعيد. (يرى بعضهم أن المسيح هو الأصل إذ يوصف في الرسالة نفسها على أنه "أصل يسّى" [إش 10:11؛ رو 12:15] وهو في النهاية أصل كل بركة أرضيّة وسماويّة). الشجرة هي عِرق إبراهيم. ويحدّد بولس **الشجرة** في المقطع التالي بأنها زيتونة، مذكّراً إيانا بإرميا 16:11 حيث يقول النبيّ لإسرائيل، "زَيْتُونَةً خَضْرَاءَ ذَاتَ ثَمَرٍ جَمِيلِ الصُّورَةِ دَعَا الرَّبُّ اسْمَكِ." **والفروع الطبيعية** هي اليهود الذين اشتركوا أولاً في جذور الشجرة ودسمها. وسنرى بعد بضع آيات تالية أن كثيرا من اليهود قد قلّموا من موضع البركة الإلهية في إبراهيم بسبب عدم الإيمان. وستُطعَّم بقية من اليهود في الشجرة من جديد بعد الضيقة، فتتدفق البركات على الناس مرة أخرى من خلال إسرائيل. أما الأغصان غير المطعّمة فهي الأمم الموضوعون على الجذور وليس على جذع الشجرة أو الأغصان. فالأمميّ لا يصبح يهودياً ولا يصبح "من إسرائيل" وإنما يدخل مباشرة إلى البركات التي وعد الله بها للأمم من خلال إبراهيم (تك 3:12). وهذا هو الموضوع الذي يطوره بولس فيما يلي.

بينما يتعامل الله بغير رضا مع إسرائيل ولكن مع توقع أخذ استردادها بعين الاعتبار، فإنه الله يتعامل أيضاً **(2) بالفداءِ الحالي وهو آخذٌ الأمم بعين الاعتبار**. وفي هذا المقطع (الآيات 17-22) يضع بولس مثله التوضيحيّ الشهير عن شجرة الزيتون. "فَإِنْ كَانَ قَدْ قُطِعَ بَعْضُ الأَغْصَانِ، وَأَنْتَ زَيْتُونَةٌ بَرِّيَّةٌ طُعِّمْتَ فِيهَا، فَصِرْتَ شَرِيكًا فِي أَصْلِ الزَّيْتُونَةِ وَدَسَمِهَا، فَلاَ تَفْتَخِرْ عَلَى الأَغْصَانِ. وَإِنِ افْتَخَرْتَ، فَأَنْتَ لَسْتَ تَحْمِلُ الأَصْلَ، بَلِ الأَصْلُ إِيَّاكَ يَحْمِلُ! فَسَتَقُولُ: «قُطِعَتِ الأَغْصَانُ لأُطَعَّمَ أَنَا!». حَسَنًا! مِنْ أَجْلِ عَدَمِ الإِيمَانِ قُطِعَتْ، وَأَنْتَ بِالإِيمَانِ ثَبَتَّ. لاَ تَسْتَكْبِرْ بَلْ خَفْ! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضًا! فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ: أَمَّا الصَّرَامَةُ فَعَلَى الَّذِينَ سَقَطُوا، وَأَمَّا اللُّطْفُ فَلَكَ، إِنْ ثَبَتَّ فِي اللُّطْفِ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ أَيْضًا سَتُقْطَعُ" (الآيات 17-22). توجد هنا عدة دروس هامة. أولها أنّ الأمم يُشبّهون بزيتونة برية مطعّمة في جذر زيتونة جيدة. ويذكّرنا بولس في وقتٍ لاحق بأن هذه العملية "مخالفة للطبيعة" لذلك سنؤجّل التعليق عليها إلى أن نصل إلى الآية 24.

يثير هذا المقطع مشكلة إذ يبدو أنه يتعارض مع التعليم في الفصل الثامن من رسالة رومية بشأن الضمان الأبديّ للمؤمن. إن المقصود هنا من إشارة بولس إلى قَطع الفروع، تحذير القراء الأمم تحذيراً واضحاً

جعل الكثيرين يظنّون أن المؤمنين بالمسيح يمكن أن يخسروا خلاصهم. لهذا علينا في هذه المرحلة أن نتابع الموضوع بحذر. ما الذي يقصده بولس عندما يقول، "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقْ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضًا"؟ فالله يقول في الفصل الثامن أن لا شيء يفصل أولاد الله عن محبته ومع ذلك فإنه يتحدّث هنا عن خطر "القطع".

من المهم أن نلاحظ هنا السياق بحرص. لقد كانت **الكنيسة** هي موضوع الفصل الثامن من رومية، وأما الموضوع هنا في الفصل الحادي عشر، فهو اليهوديّ والأمميّ. وعلينا التعامل مع الفئات الثلاث في سياق التفسير السليم بشكلٍ منفصل لأنّ الله لا يتعامل مع كل منها بصورةٍ مماثلة. كان بولس، كما رأينا، يتحدّث عن اليهود في رومية 9 و 10. والآن يقول بوضوح: "أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا الأُمَمُ" (13:11). إذاً ليست تحذيرات هذا القسم موجهة إلى الكنيسة على الإطلاق.

وعلينا بعد ذلك أن نلاحظ الرمزية المستخدمة. كانت شجرة الزيتون واحدة من ثلاث شجرات تجري مقارنة إسرائيل بها في العهد القديم. شجرة التين ترمز إلى الامتيازات **الوطنيّة** لإسرائيل، والكرمة ترمز إلى الامتيازات **الروحيّة** لإسرائيل؛ وترمز شجرة الزيتون إلى الامتيازات **الدينية** لإسرائيل, وهذا يعطينا مفتاح

الحل لتحذير بولس. لقد فَقَدَ اليهوديّ امتيازاته الدينية في الوقت الحاليّ. وثمة 25 مقطعاً في العهد القديم تهدد بني إسرائيل بعقوبة "القَطْع من الشعب"، وما تعنيه هو حكم الموت (وليس بالضرورة الموت الأبديّ) القضائيّ. وهؤلاء الذين يُقطَعون يخسرون بطبيعة الحال كل الامتيازات المرتبطة بالعهد الإبراهيميّ؛ وهذا ما كان يحدث على مستوى الأمة في أيام بولس، باستثناء البقيّة المؤمنة. وكان هذا القطع القضائيّ نتيجة عدم الإيمان من جانب اليهود.

وكانت الأمم تُطعَّم في المسيح بالايمان لتحلّ محلّ الأغصان المكسورة. وبما أنّ الوثنيّين لهم الآن جميع الامتيازات التي كان اليهود ذات مرة ٍ يتباهون بها متفاخرين ، ينبغي عليهم إذاً أن يحذروا من الغرور الدينيّ. فقد دخلوا في نظامٍ من البركات كان الله فيه هو صاحب المبادرة مع إبراهيم؛ ولكنهم، كاليهود كان في الإمكان قطعهم من هذه الامتيازات التي تم التعبير عنها بشكلٍ تصويريّ برمز شجرة الزيتون. الله لا يحابي الوجوه. إلا أن مسألة الخلاص الأبديّ لا مجال لطرحها هنا لأنها ليست موضوع هذا الفصل. فالموضوع هو الامتياز الدينيّ وليس الحياة الأبدية في المسيح. وموضوعا هذا الفصل هما اليهود والأمم، وليس الكنيسة. صحيح أنه يمكننا أن **نطبّق** ذلك على المؤمن بالمسيح مشدّدين على مخاطر إساءة استخدام الامتيازات التي يتمتّع بها في المسيح؛ ولكن **التفسير** الحقيقيّ لا يتعلق بالكينسة وإنما بالأمميّ واليهوديّ.

ب. يتعامل الله اليوم مع اسرائيل على أساس تدبيريّ (11:23-29)

لم ينتهِ بولس بعد من الموضوع الذي عالجه في المقطع أعلاه. ويستمر مستعيناً بالرمزية نفسها ليبيّن أن الله عازم كل العزم على استرداد إسرائيل في النهاية لتتمتع بجميع امتيازاتها السابقة. ويبيّن أنّ (1) **من ضمن قدرة الله أمر استرداد إسرائيل**. "وَهُمْ إِنْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَدَمِ الإِيمَانِ سَيُطَعَّمُونَ. لأَنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُطَعِّمَهُمْ أَيْضًا. لأَنَّهُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ قُطِعْتَ مِنَ الزَّيْتُونَةِ الْبَرِّيَّةِ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ، وَطُعِّمْتَ بِخِلاَفِ الطَّبِيعَةِ فِي زَيْتُونَةٍ جَيِّدَةٍ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُطَعَّمُ هؤُلاَءِ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ،فِي زَيْتُونَتِهِمِ الْخَاصَّةِ؟" (الآيتان 23-24). إن ردّ إسرائيل أمرٌ في قدرة الله أن يفعله. وتطعيم الأمم كان "بِخِلاَفِ الطَّبِيعَةِ".

يعطي طومسون بعض التعليقات المثيرة للاهتمام عن شجرة الزيتون وعملية التطعيم. "لا يحمل الزيتون، في حالته الطبيعيّة البريّة، أيَّ ثمار، وإن حمل فهي ثمارٌ قليلة وصغيرة تفتقر إلى الزيت. وشجر الزيتون برّيّ بطبيعته، وينبغي أن يُطعَّم بشجر الزيتون **الجيد** قبل أن يحمل ثماراً، ولكن الرسول يتحدّث هنا عن تطعيم البرّي في الجيّد، لا الجيد **في** البريّ... لاحظ أنه يقول بوضوح إن هذا **بخلاف** الطبيعة لأنه بالحقيقة كذلك. وقد قمتُ ببحثٍ خاص حول هذه النقطة ووجدت أن العملية التي يشير إليها بولس في مملكة الطبيعة عموماً، وبالأخص في حالة شجرة الزيتون، لا تنجح أبداً. طعِّم الجيّد في البريّ، كما يقول العرب، وعندها **سيغلب الجيد** عليه؛ ولكنك لا يمكنك أن تعكس العملية وتنجح. إذا وضعتَ طعماً **بريا** في شجرة جيدة فإن البري **سيتغلب على الجيدة**. ولا يمكن لعمليةٍ كهذه بخلاف الطبيعة أن تنجح إلا في مملكة النعمة؛ وهذا هو الظرف الذي انتهزه الرسول وعالجه بلياقة مستحسنة ليعظّم الرحمة التي يُظهِرها الله للأمم بتطعيمهم، وهم العرق البرّيّ، **بخلاف طبيعة** هذه العمليات في شجرة الزيتون الجيدة... لقد عاش الرسول في أرض الزيتون، ولم يكن عرضة لخطر الوقوع في خطأ فاضح عند بناء حجّته في معالجته لقضية التطعيم هذه."

يا لها من صورة مناسبة أن تعرب شجرة الزيتون عن تعاملات الله مع اليهود والأمم على حد سواء! يقول بولس إن كان تطعيم الأمم، **بخلاف الطبيعة**، مثمراً جداً فكم بالأحرى يكون ذلك عندما ترجع إسرائيل، وهي الأغصان الطبيعية، إلى ملكها!

وبعد أن بيّن بولس أنّ من ضمن قدرة الله أمر استرداد إسرائيل، يبيّن بعد ذلك أنّ **(2) من ضمن مقاصد الله أمر استرداد إسرائيل**. هناك بلا شك ضمانة مثلثة الوجوه بأن الله سيفعل هذا تماماً. أولها (أ) **الضمانة الدستورية**. "فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا هذَا السِّرَّ، لِئَلاَّ تَكُونُوا عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ حُكَمَاءَ: أَنَّ الْقَسَاوَةَ قَدْ حَصَلَتْ جُزْئِيًّا لإِسْرَائِيلَ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مِلْؤُ الأُمَمِ" (الآية 25). يوجد تعبيران رائعان في العهد

الجديد يتعلّقان بالأمم يتطلّبان دراسة متأنّية. أولّهما "أزمنة الأمم" (لوقا 24:21) والثاني "ملء الأمم" المذكور في هذا المقطع. والتعبيران متشابهان ولكنهما ليسا متماثلين. "أزمنة الأمم" معزوة إلى الفترة التي تكون فيها أورشليم تحت سلطة الأمم. وتبدأ هذه الفترة مع نبوخذنصّر وتستمر إلى رجوع المسيح ثانية، عندما يأخذ ذاك الذي له حق السيادة، حقوق العرش بشكل مرئيّ. ومن الجدير بالذكر أنه عندما رجع المسبيّون إلى أرض الموعد خلال أيام زربّابل وعزرا لم يمضوا ليؤسّسوا مملكة مستقلّة وإنما دولة تابعة؛ ولا ليبنوا قصراً وإنما هيكلاً؛ ولا ليؤسّسوا عرشاً وإنما مذبحاً. إذاً عبارة "أزمنة الأمم" تشير إلى ارتقاء الأمم السياسيّ، وكان نبوخذنصّر أوّل أمميّ متسلّط يحكم بفعل حق إلهيّ (دا 37:2).

على النقيض من ذلك، فإن "ملء الأمم" له علاقة بارتقاء الوثنيّين **الروحيّ**. عندما توّجت إسرائيل جميع تمرّداتها السابقة بصلب المسيّا، ثم أيّدت ذلك بإقدامها على مقاومة الروح القدس كما هو مدوَّن في سفر أعمال الرسل، انتزع الله من الأمة امتيازاتها الروحية أيضاً. وانصبّ التركيز بشكل متزايد على الأمم، كما ورد في سفر أعمال الرسل. ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى طغت أنطاكية وكورنثوس وأفسس ورومية على مكانة أورشليم كمراكز النفوذ الروحيّ؛ وعندما دمّر تيطس أورشليم تدميراً شاملاً في عام 70 للميلاد، انهارت جميع مظاهر السلطة اليهوديّة في الكنيسة.

إذاً تشير عبارة "ملء الأمم" إلى بركة الأمم الروحية التي يصفها بطرس بقوله، "افْتَقَدَ اللهُ أَوَّلاً الأُمَمَ لِيَأْخُذَ مِنْهُمْ شَعْبًا عَلَى اسْمِهِ" (أعمال 14:15). سيكتمل ملء الأمم عند الاختطاف، وهو الوقت الذي يبارك الله الناس من جديد من خلال إسرائيل. وآنئذ سيشهد العالم قيام اليهوديّ بتبشير الأمميّ. "ولكن نظرة واحدة في نفس الوقت ترينا أن نور الإنجيل وقوته وبركته تكمن جميعها في أيدي الأمم لا اليهود. وتأسيس الأمم لجمعيّات تبشيريّة لليهود دليلٌ كافٍ على حالة الوضع الحالي." وستظلّ هذه الحالة مستمرة "إلى" (الآية 25). هناك ضمانة دستورية بأن اليهودي سيعود يتمتع بالصدارة روحياً عندما تحين اللحظة التي تشملها كلمة "إلى".

وليس هناك ضمان دستوريّ فقط بأن الله سيستردّ إسرائيل، بل هناك أيضاً **(ب) ضمان مسيحيانيّ**. "وَهكَذَا سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ" (الآية 26). وهذا المنقذ بالطبع هو الرب يسوع، وهو الفادي الوليّ المنتقم كما تعرب عنه الكلمة العبرية غويل (*Goel*). إن الجزء الأكبر من أمة إسرائيل سيهلك في أثناء دينونات الضيقة العظيمة (إر 40:31-5:30؛ دا 1:12؛ رؤ 7)، ولكن البقية االناجية بأكملها ستؤمن عند عودة الرب يسوع (زك 10:12-14)، و"سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ". ويستشهد بولس بمقطعين في إشعياء ليدعم ذلك (إش 59:20-21؛ 27:9). وبالطبع لا تشير عبارة "جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ" إلى جميع اليهود الذين سبق فعاشوا في أي وقتٍ مضى ولكن إلى الذين بقوا أحياء في نهاية الضيقة العظيمة. ويرى بولس في عودة المسيح ضمانةً مسيحيانية بأن الله سيردّ إسرائيل.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك (ج) **الضمانة التعاقديّة**. "وَهذَا هُوَ الْعَهْدُ مِنْ قِبَلِي لَهُمْ مَتَى نَزَعْتُ خَطَايَاهُمْ». مِنْ جِهَةِ الإِنْجِيلِ هُمْ أَعْدَاءٌ مِنْ أَجْلِكُمْ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الاخْتِيَارِ فَهُمْ أَحِبَّاءُ مِنْ أَجْلِ الآبَاءِ، لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ" (الآيات 27-29). يرنو بولس هنا إلى العهد الجديد المذكور في إرميا 31. لا يغيّر الله فكره، وليس هو قصير النظر؛ كما لا يبدأ في بناء برجٍ دون حساب النفقة أولاً (لوقا 14:28-29)، أو يستخفّ بما سيلقاه من مقاومة في سعيه لتحقيق أهدافه النهائية (لوقا 14:31-32). لا يمكن أن تبرز طوارئ لم يأخذْها سلفا بحسبانٍ كامل ولم يقم بالاحتياط لها. فالاتفاقات التي عقدها الله مع الآباء (والتي في أكثرها غير مشروطة) لن يبطلها الفشل البشريّ لأن مجد اسم الله العظيم، وكرامة عرشه، لهما ارتباط وثيق بذلك؛ مثلما

يذكّر موسى الربّ به، وفق مقتضى الحال ولكن بتواضع، في مناسبتين جديرتين بالملاحظة (خروج 7:32-14؛ عدد 11:14-20).

وهكذا إذاً يشرح بولس، في معرض حديثه عن تعاملات الله الموعود بها لإسرائيل، كلاً من عدالة تعاملات الله وبعد نظرها. بقيت لديه نقطة واحدة أخرى ليعالجها، ومن ثم يعود إلى الموضوع الرئيس للرسالة.

ثالثاً. أمانة تعاملات الله مع إسرائيل (11:30-36)

إن الآيات الختامية من الفصل تلخص حجة بولس النقاشية، ثم تتحول إلى ترنيمة عبادة رائعة لله من أجل تعاملاته المدهشة والخفية مع البشر.

أ. رحمة طرق الله (11:30-32)

يشير بولس أربع مرات في هذه الآيات إلى رحمة الله. أولاً، هناك رحمته (1) **للأمم**. "فَإِنَّهُ كَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ مَرَّةً لاَ تُطِيعُونَ اللهَ، وَلكِنِ الآنَ رُحِمْتُمْ بِعِصْيَانِ هؤُلاَءِ" (الآية 30). ويعيد التأكيد على حقيقة أن تعاملات الله في حكمه على إسرائيل كانت وسيلة لإغداق نعمته على الأمم. فالرحمة هي أكثر الأنوار إشراقاً التي تتلألأ فوق عرش الله. وهناك أيضاً رحمة الله (2) **لليهود**. "هكَذَا هؤُلاَءِ أَيْضًا الآنَ، لَمْ يُطِيعُوا لِكَيْ يُرْحَمُوا هُمْ أَيْضًا بِرَحْمَتِكُمْ" (الآية 31). يرسم بولس هنا صورة متوازية بالغة الدقة. لقد كانت الأمم ذات مرة غير مؤمنة ولكنها وجدت رحمة من جراء عصيان اليهود، أما الآن فإن اليهود هم غير المؤمنين، ولكنّهم يجدون رحمة أيضاً بفضل رحمة الأمم. وينبغي لهذا التصريح أن يحثّ على تبشير اليهود. وأخيراً، هناك رحمة الله (3) **للعالم**. "لأَنَّ اللهَ أَغْلَقَ عَلَى الْجَمِيعِ مَعًا فِي الْعِصْيَانِ، لِكَيْ يَرْحَمَ الْجَمِيعَ" (الآية 32). وبكلمات أخرى، لقد أبطل الله عصيان البشر، يهوداً وأمماً على السواء، لكي يقدّم رحمته للجميع. وهذه الحجّة النقاشية تعيدنا إلى الفصل الثالث. وقد عبّر شكسبير عن ذلك حين وضع هذه الكلمات على شفتي پورتيا:

إن نوعية الرحمة ليست مكبوحة
إنها تتساقط كقطرات السماء اللطيفة
على الموضع الذي تحتها: فتدعو بالبركة مرتين؛
إنها تبارك ذاك الذي يغدقها، وكذلك ذاك الذي ينالها
فتصبح هي الأقوى في الأقوى
إن الملك المتبوّئ على العرش أفضل من التاج
وصولجانه يجسد عنفوان القوة الدنيوية
وهو رمز للرهبة والجلال
هناك يكمن الرعب والخوف من الملوك
ولكن الرحمة تتأرجح فوق الصولجان
جالسة على عرش قلب الملوك
هي مزيّة الله نفسه
ومن ثم تبدي السلطة الأرضية (رحمة) كالله
عندما تُطَيِّبُ الرحمة العدالة لذلك، أيها اليهودي
مع أن العدالة هي مطلبك فخذ هذا بعين الاعتبار-
أنه لا أحد منا يستحق أمام مجرى العدالة
أن يرى الخلاص: إنما نصلي طلباً للرحمة.

أ. جلال طرق الله (11:33-36)

يختتم بولس بواحدة من أعظم ترنيمات العبادة في الكتاب المقدس للإشادة بجلال طرق الله. فتلك الطرق:

(1) تفوق كل توقّعات الإنسان. "يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟" (الآيات 33-35). الإنسان مفكرٌ عظيم! ومكتبات العالم تشهد على ذلك. وعقله المتململ يسبر غور الأعالي من فوق والأعماق من أسفل، فيما هو يبحث عن طبيعة الكون ويسعى وراء الأسباب للإجابة عن 'لماذا'. ولكن طرق الله وتعاملاته تفوق كل توقّعات الإنسان. "لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ" (إش 55:8-9). وعندما تُعلَن هذه الطرق لنا فكل ما يمكننا أن نفعله هو أن ننحني ونقدّم العبادة.

وهذه الطرق أيضاً **(2) تفوق كل التدخّلات البشرية.** " لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" (الآية 36). الله هو الخالق وضابط الكون. وهو يتابع خططه ومقاصده من عصرٍ إلى عصر. ولا يمكن لأي من أعمال التمرد البشرية أن يحول دون تحقيق إرادته القصوى. سيتوصّل الله إلى إنجاز كل أهدافه في نهاية المطاف. فعندما ارتجّت الشعوب و "قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: «لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا». اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ" (مز 2:2-4)

إن تعاملات الله مع إسرائيل تفوق كل التدخلات البشرية. فعدالته وبعد نظره وأمانته تضمن من دون أي شك أن تعاملاته الموعودة مع إسرائيل لا بد أن تتحقق.

الجزء الثالث

ممارسة الإنجيل

24:16-1:12

المسيحيّ كمؤمن

2-1:12

أولا. كيف يتم تحدي المسيحي كمؤمن (1:12)

ا. ليقدّم ذبيحة غير ملجومة

1. الشيء الصائب المتوجب عمله

2. الشيء العمليّ المتوجب عمله

ب. تقديم ذبيحة بلا عيب

ج. . تقديم ذبيحة غير متحيّزة

ثانيا. كيف يحدث تغييرالمسيحي كمؤمن (1:12)

أ. أخلاقياً
ب. عقليّاً
ج. حوافزياً

بعد أن استوفى بولس استطراده يعود الآن إلى صلب بحثه. وبعد أن ناقش **مبادئ** الإنجيل **وصعوباته** يشرع الآن بمعالجة **ممارسة** الإنجيل؛ وهذا هو موضوعه الطاغي على بقيّة الرسالة. ومن المعهود في تعليم الرسائل أن يتبع السلوك الإيمان، والأفعال العقيدة.

يشمل هذا القسم الأخير من سفر رومية جزأين. أولاً، يناقش بولس **نواميس الحياة المسيحيّة** (1:12-7:13)، ثم يناقش **نواميس المحبة المسيحيّة** (13:8-24:16). ويتألف القسم الأول منهما من ثلاثة أجزاء يعالج فيها بالتتابع علاقات المؤمن الروحية والاجتماعية والعلمانية في الحياة. ويحال فيه القارئ إلى تحليلٍ بولس الرسول الشامل للرسالة على الصفحتين 7- 8 للحصول على منظور عام.

إن مناقشة حياة المسيحي الروحية تقع في جزأين. أولاً يتعامل بولس مع المسيحيّ **كمؤمن** (1:12-2)، وبعد ذلك مع المسيحيّ **كأخ** (3:12-13).

أولاً. كيف يتم تحدّي المسيحيّ كمؤمن (1:12)

التحدّي له علاقة بجسد المؤمن، وهو ما يكشف بولس عنه الآن بكونه المفتاح النهائيّ لممارسة الحياة المسيحية المنتصرة. إن معرفة حقائق الفصول 6-8 من سفر رومية معرفة نظرية هي قليلة الجدوى إن لم يكن الجسد مكرّساً بحيث يصبح بالإمكان التعبير عن حياة المسيح في شؤون الحياة اليومية.

أ. الجسد كذبيحة غير ملجومة(1:12)

لا يرغم اللهُ المؤمنَ ولا يكرهه على تقديم جسده. فهو لا يقوده إلى حظيرةٍ كالحصان ويلجمه ويجبره على الطاعة، وإنما يلتمس ذلك منه. فالله يطلب ذبيحة طوعية، ويجعل من الواضح للمؤمن أن تقديم جسده لله (1) **هو الشيء الصائب الذي عليه أن يفعله**. "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ" (الآية 1).

من المتعارف عليه عند دراسة الكتاب المقدس أن نتوقّف عندما تعترضنا أداة عطف مثل "الفاء هنا"، أن نبحث عما تشير إليه. وفي هذه الحالة فإنها تربط مطلب الله لجسد المؤمن "برأفة الله" التي كان يصفها بولس في المقاطع التعليمية والتدبيرية من الرسالة. لقد خلّصنا الله من الخطيئة، ومن أجرتها ومن قوّتها، كما خلّصنا من الذات بجميع صفاتها وأشكالها. وقد تسلّط على مصائر الأمم، وانتصر بنعمته وضاعف مراحمه. وكما كان الأمر من قبل، حاصرنا بمراحمه التي أغدقها علينا بأعدادٍ لا تُحصى، وبنى بنعمته حصوناً حول نفوسنا، وأرسل وابل من قنابل لا تنقطع من لطفه على أخطاء قلوبنا. لقد غمرنا بفضلٍ لا نستحقّه وحملنا جميعاً أمامه على أذرع المحبة. يقول بولس، "أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ". فهذا هو الشيء الصائب فعله، وهو الأمر الوحيد الممكن الواجب القيام به، وهو الجواب (الردّ) المناسب الوحيد الذي يمكن أن نقدمه لهكذا محبة رائعة وإلهية.

وهو ليس فقط الشيء الصائب عمله، بل (2) **الشيء العمليّ المتوجب عمله**. فإنه يجعل من الممكن ترجمة مبادئ رسالة رومية 1-8 إلى ممارسات رومية 12-16. من الحسن جداً أن ندع رؤوسنا تحلّق في الغيوم اللاهوتية، ونتمتّع بحقائق التقديس المركزيّ العظمى، ولكن الله يريدنا أن نعيش حياةً مقدسة في البيت

أو الشارع أو المنصة أو المكتب. وما يربط بين الاثنين هو الجسد المقدّم. فهناك معنى حقيقي يكون فيه تقديم أجسادنا لله أكثر شيء استراتيجيّ يمكن لنا فعله كمسيحيّين.

من الممكن بالنسبة لنا، كمؤمنين، أن نعيش وفق واحدٍ من ثلاثة مستويات. يمكننا أن نعيش حياة حسّية، أو نفسانية أو روحية. فالإنسان الذي تحكمه المادة مثلاً هو **حسّيّ**. وكوننا حسّيين لا يعني بالضرورة أننا نعيش في انغماسٍ دائم في أسوأ أشكال الشهوانية؛ ولكنه يعني ببساطةٍ أنّ حواسنا تحكمنا.

فكّر في كل من التعبيرات التالية: "لا أحب تلك الرائحة"، "إنه ساخنٌ جداً"، "أنا متعبٌ جداً"، "هل مذاقه جيّد؟" "كيف إحساسك؟" "لا تفعل ذلك، إنه مؤلم"، "أليس هذا قبيحاً؟" "دعني أخبرك ما فعلته سعاد". يعكس كل من هذه التصاريح ردةَ فعل جسدية. والناس الذين تحكمهم هذه الاعتبارات تحكمهم أحاسيسهم أيضا، أي ما يرون أو يسمعون أو يذوقون أو يشمّون. وقد يكون الدافع الناجم عن هذه المصادر شديد اللباقة، وشديد التمويه، وشديد اللطف؛ ومع ذلك فإن الناس الذين تحرّكهم مثل هذه الاعتبارات هم حسّيون. فهو لا يذهب إلى اجتماع الصلاة لأن الطقس حارٌ جداً، ولا يعمل في الأحياء الفقيرة لأن الرائحة كريهة جداً. وهو لا يحب سمعان لأنه يسيء استخدام قواعد اللغة. وبكلماتٍ أخرى، هو مسيحيّ حسيّ. قد يكون مخلّصاً ولكنه يعيش حياته على أدنى المستويات.

من ناحية أخرى، فإننا قد نكون **نفسانيّين** في تعبيرنا عن الإيمان، يتحكّم بنا الفكر، والعواطف، والإرادة. وهذا احتمال أكثر لياقة، فالحياة التي تعاش بهذا الشكل تبدو قريبة جداً من الروحانية الأصيلة بحيث يصبح تبيُّن الخطأ أمراً صعباً جداً. فعلى سبيل المثال، قد يسلّم المؤمن نفسه للمطالب **الفكرية** في سياق ممارسته للمسيحية، فيدرس كتابه المقدس ويصبح موسوعة كتابية متنقّلة. ويصير لاهوتياً عظيماً ومجادلاً رائعاً في العقيدة. ويحظى بإعجاب الناس واحترامهم بسبب استيعابه الواسع للحق، ومع ذلك، فهو ليس بالضرورة روحياً. ففي أغلب الأحيان يكون الاستيعاب للحق مجرد معرفة فكرية، وقد يكون نفسانياً.

أو قد يكون مستسلماً بشكلٍ قوي **للعواطف**. فتدمع عيناه عندما يفكّر في الجلجثة وقت العشاء الرباني، فيبكي. ويتحمّس في اجتماع الصلاة ويهتف: هللويا. وهو يتأثر جداً بفكرة فقر الأيتام الكوريّين أو جماهير الهند حتى إنه يفرغ جيبه في كيس التقدمة عندما تعلن الدعوة للعطاء. ومع ذلك، فهو ليس بالضرورة روحيّاً وإنما تكون هذه المظاهر في أغلب الأحيان مجرّد فيضٍ عاطفي، ويمكن للإنسان غير المخلّص أن يفعل ما يماثل ذلك.

من ناحيةٍ أخرى، قد تكون للمؤمن **إرادة** حديديّة. فعندما يؤمن بالمسيح يتعلّم أن عليه الإقلاع عن التدخين فيرمي علبة سجائره في النار على الفور، ولا يدخن بعد ذلك أبداً. وقد لا يكون ذلك انتصاراً روحياً بل مجرّد تصميمٍ نابع من إرادة قوية. بالطبع، قد يكون هناك مزيج من عاملين اثنين، أو حتى من العوامل الثلاثة جميعها: الفكر والعواطف والإرادة بحيث يبدو الشخص كمسيحيّ مثاليّ بدون أن يكون في الحقيقة روحياً على الإطلاق. وهذا فخٌ ماكرٌ جداً.

هذا لا يعني بطبيعة الحال أن الفكر والعواطف والإرادة لا تلعب أيَّ دور في حياة المسيحي الروحيّ، لأنها بالفعل لها دورها. ولكن مجرد كون المرء مفكّراً أو عاطفياً أو ثابت العزم لا يشكّل جوهر الروحانية. فإذا كان الجانب الحسيّ لإنسان واقعاً تحت تحكُّم الجانب النفسانيّ فإنه يكون حقاً نموذجاً رائعاً للبشرية، ولكنه ليس روحياً، وقد لا يكون مخلَّصاً البتة.

بالنسبة لي، لكي أكون روحياً، ينبغي أن يكون للروح القدس سيطرةً تامة عليّ، ويكمن مفتاح ذلك في تقديم الجسد. لأنه من خلال أعضاء الجسد يتم تلقي جميع الانطباعات والتعبير عن جميع الحوافز. لذلك، إذا

كان للروح السيطرة على الجسد فهو قادر أن يسيطر على الإنسان بجملته. ولكي يكون المؤمن روحياً حقاً عليه أن يسلّم جسده لله لكي يملأه ويستخدمه. ثم لا تكون الحواس خاضعة للسيطرة فحسب بل تكون الأفكار والعواطف والإرادة مضبوطة أيضاً، وهكذا يكون الإنسان مسيحياً روحانياً يجسّد في جميع طرقه جمالات الرب يسوع. فكيف إذا يمكننا أن نقرّر إذا كان فعل أمرٍ معين راجعاً إلى النفس أم الروح؟

من المؤكد أن الخط الفاصل هنا دقيق جداً. وفي الواقع، هناك أداة واحدة تستطيع أن تحسم بين الاثنين، وهي كلمة الله. "لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ" (عب 12:4). ففيما نحن ننتظر إعلان الرب يومياً، نتيح له الفرصة لكي يجعل كلمته تحمل لنا ما يكشف عن حوافزنا فنقدر أن نميّز بفضل تنوير الروح، الأسباب الحقيقية لسلوكنا وأحاديثنا. وكلمة "مُمَيِّزَةٌ" كلمة مهمة بصورة خاصة. والكلمة بالأصل اليونانيّ هي "kritikos". "لقد استخدم الله (في الكتاب المقدس) كلمة kritikos مرة، ومرة واحدة فقط وجعلها مقصورة على كلمته لتعني 'الناقد' ... ولا تعني عبارة 'مفرق' النفس والروح أن كلمة الله تميّز فقط بين ما يتولد عن الجسد وما يتولد عن الروح (يوحنا 6:3) في الإنسان ولكنها أيضاً تميّز بين الإنسان الطبيعيّ (Gr. psuchikos) والإنسان الروحيّ (Gr. pneumatikos)".

ب. الجسد كذبيحة بلا عيب (1:12)

عندما يسيطر الروح القدس على الجسد يصبح قادراً على التعبير عن ثمار ذبيحة المسيح من خلال أعضاء المؤمن. لذلك فإن تقديم المؤمن لجسده هو ذبيحة حية بالمقارنة مع ذبائح العهد القديم. عندما كان يُقدّم جسدٌ ما في العهد القديم، كان الحيوان يُذبَح. أما الآن فعندما يقدِّم المؤمن جسده فهو يبدأ أن يحيا حقاً.

يخبرنا بولس أن التقدمة ينبغي أن تكون (1) ذبيحة **حية** على النقيض من ذبائح العهد القديم التي كانت كلّها ميتة، لأنّه عندما يسيطر الروح القدس على جسد المؤمن تصبح **الغلبة** التي تسفر عن الجلجثة نافعة لحياتنا الاختبارية. فكلّ أشكال الموت تصبح مستبدلة إذ يعبّر المؤمن من خلال أعضاء جسده عن حياة الرب يسوع المنتصرة. وينبغي أن تكون أيضاً (2) ذبيحة **مقدّسة**، لأنه عندما يستولي الروح القدس على جسد المؤمن تصبح **الفضيلة** السافرة عن الجلجثة نافعة لحياتنا الاختبارية. ويتم استبدال كل أشكال النجاسة بطهارة المسيح وتقواه الكاملتين والمجردتين من كل عيب. وينبغي أن تكون (3) ذبيحة **مقبولة**، لأنه عندما يستولي الروح القدس على جسد المؤمن فإن المؤمن يختبر كل ما لذبيحة المسيح من قيمة. فالمؤمن لا يصبح "مقبولاً في المحبوب" فحسب وإنما تضحي حياته ذبيحة حيّة مقدسة، مرضية ومقبولة لدى الله. ولا يجدي أي شيء أقل من ذلك.

ج. الجسد كذبيحة عادلة (1:12)

يقول بولس إن مثل هذه الذبيحة هي "**عبادة عقليّة**"؛ ولا يوجد هنا أي إكراه أو ضغط شديد، ولا فرض إرادة، ولا إخضاع الشخصية أو محاباتها لجعلها تتوافق مع الإرادة الإلهية. فالله يعتبرنا شعباً عقلانياً بحيث تغدو معقولية هذا الطلب واضحة جداً فتكون له استجابة فورية وسريعة.

حِينَ أرَى صَلِيبَ مَنْ قَضَى فَحَازَ الانتِصَارْ
رِبحِي أرَى خِسَارَةً وَكُلَّ مَجْدِ الكَونِ عَارْ

بِمَ أُكافي مُنْقِذِي مِـنْ سُـلْـطَـةِ الخَـطِيَّـةِ
إلاَّ بتَكْرِيسِي لَهُ نَفْسِي وَكـُلَّ قُـوَّتِـي

إذاً هكذا يكون تحدّي المسيحيّ كمؤمن، فإذ يصبح محط التماس مراحم الله ومحاصرتها، يستسلم لمنطق الجلجثة الرائع. لا يطلب الله شيئا أكثر أو أقل من ذلك؛ فجميع الأديان الأخرى تجعل الذبيحة الجذر أما المسيحية فتجعلها الزهرة.

ثانياً. كيف يتغيّر المسيحي كمؤمن (2:12)

ينجم عن تقديم المؤمن لجسده حياة متغيّرة. فجسد المؤمن وسيلة يتم التعبير من خلالها عن حياة جديدة. نحن لا **نصقل** الجسد مثل اليونانيّين القدماء الذين كانوا يعبدون جماله وقوّته ويمجّدون عبادتهم في أعمالٍ فنيّة منحوتة، وفي ألعابهم الأولمبية التي كانت أكثر بكثير من مجرّد مسابقات رياضية، مشاركين بالفعل في طبيعة احتفال مقدس. ونحن لا **نصلب** الجسد مثل الزهّاد الذين يعتبرونه شريراً ويجوّعونه ويشوّهونه. يقال إن سمعان العمودي، على سبيل المثال، جلس لمدة ثلاثين عاماً على رأس عمود. وآخرون ارتدوا سراويل من الشعر وجلدوا أنفسهم بسياط قاسية. نحن **نكرّس** الجسد ببساطة، لكي يصبح للروح القدس، الذي جعله مسكناً له وتكون له حريةُ الوصول إلى كل باحاته والسيطرة التامة على كل أنشطته. وهكذا يتغيّر المؤمن الذي يقدّم جسده.

أ. إنه يتغيّر أخلاقياً (2:12)

يقول بولس، "وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ". وكلمة " تُشَاكِلُوا " هي suschēmatizō، وهي "تشير إلى عمل من أعمال الفرد كتعبير خارجيّ لا ينبع من الداخل ولا يمثّل حياته القلبيّة."[2] وهي تشدّد على ما هو ظاهريّ. ينبغي ألا نتكيّف بحسب العالم. ويترجم جي بي فيلبس الجملة كما يلي، "لا تدعوا العالم حولكم يحشركم في قالبه الخاص". وكلمة "الدهر" المستخدمة هنا "تدلّ على حالة البشرية التي تقبع في ظلمةٍ روحية منذ السقوط، والتي لها طبيعة وميول وتأثيرات تتحكّم بها قوى الظلمة في مقاومة الله، وهي الآن تحت سلطة رئيس هذا العالم." للعالم أزياؤه وأنماطه وهي تتغيّر مع كل جيل. ويُثْقل قالبه كواهلَنا جميعاً، ليس فقط في الأمور الثانوية نسبياً مثل اللباس والطعام ولكن في نواحٍ من الحياة أكثر جدية بكثير مثل المناقب والمعايير الأخلاقية والمعتقدات الدينية. العالم هو عرين إبليس للخطاة وشرك للقديسين. هو الحياة البشرية والمجتمع اللذان نبذا الله.

والمؤمن الذي قدّم جسده على مذبح الله لن يشاكل الدهر. فهو قد تغيّر أخلاقياً، وحياته لم تتقولَب من الخارج ولكن من الداخل. قدّم لنا يسوع توضيحاً رائعاً عندما تحدّث عن سليمان. فقد أشار إلى زهور الحقل وقال، "إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا" (مت 29:6). لقد كان مجد سليمان يبدو من الظاهر، أما مجد الزنابق فينمو من الداخل. والمؤمن لديه قوة داخلية للتغلب على ضغوط العالم، وجسده المقدم يجعل في إمكان تلك القوة أن تنطلق على عنانها. لا تقولب المؤمن أخلاقيات العالم؛ بل هو يضع المعايير للعالم.

ب. إنه يتغيّر عقلياً (**12:2**)

يقول بولس، "تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ". وهذه دعوة لحياة متغيرة. والكلمة اليونانية التي تُرجِمت منها كلمة "تغيّروا" في هذا المقطع ترد في ثلاثة أماكن فقط في العهد الجديد. وهي تُستخدَم لوصف تجلّي الرب يسوع (مت 2:17؛ مر 2:9) كما تُستخدَم لوصف التغيّر المجيد الذي يحدث للمؤمن عندما يتأمّل بثبات بالرب يسوع (2 كور 18:3).

الكلمة اليونانية هي metamorphoomai التي منها اشتُقت كلمة "التحوّل". يعرّف القاموس كلمة التحوّل بأنها "تغيير الشكل أو تغيير الصفة." ومن الأمثلة على ذلك الدودة التي تخضع للتحول في شرنقتها فتخرج منها فراشة رائعة. إن نفس المخلوق الذي يدخل في القبر الغشائي هو ذاته الذي يخرج منه، ولكنّ التغيّر (الذي أصابه) يكون كبيراً جداً بحيث لا يمكن تبين بأنه هو نفسه. هذا هو نوع التغيير الذي يسعى الروح القدس أن يعمله في حياة المؤمن، ولكن لكي يُتم إنجازَه، ينبغي أن يكون له السلطان على الجسد وحرية الوصول إلى الفكر.

وفي مناسبتين مسجلتين في الكتاب المقدس كان التحوّل في حياة المؤمن كاملاً جداً بحيث كان واضحاً أمام الجميع، حتى إنه ترك بصماته على الوجه. عندما انحدر موسى من الجبل بعدما قضى بمفرده أربعين يوماً وليلة مع الله، "لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ فِي كَلاَمِهِ مَعَهُ" (خروج 29:34). وكذلك استفانوس إذ امتلأ من الروح القدس، واجه أعداءه في السنهدريم، "فَشَخَصَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْجَالِسِينَ فِي الْمَجْمَعِ، وَرَأَوْا وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَجْهُ مَلاَكٍ" (أع 15:6). إن كل مؤمن سيختبر تغييراً كهذا عندما يلتقي وجهاً لوجه مع الرب يسوع. "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (1 يو 2:3).

يودّ الروح القدس أن يحفر شبه الرب يسوع في شخصياتنا الآن، بحيث يمكن أن ينعكس ذلك إلى حدٍ ماعلى وجوهنا هنا على الأرض. لقد التقينا جميعاً بمسيحيّين ممن تركت حياتهم المقدسة أثرا من الصفاء والسلام لا يمَّحي على جباهم وعيونهم وحتى على ثغورهم. فالوجه هو على كل حال "دليل النفس." عندما سُئِل إبراهيم لنكولن أن يُعيّن شخصاً ما في مركزٍ عال في حكومته قال مرة، "إنني لا أحبّ وجهه!" ولكن السائل قال، "لا شكّ أن الرجل غير مسؤولٍ عن وجهه". فأجاب لنكولن، "كل إنسانٍ تجاوز الأربعين من العمر **هو** مسؤول عن وجهه."

لا يضع الروح القدس مجرّد مستحضر تجميليّ على الجلد ليضفي النبل على المحيا، ولكنه يعمل من الداخل. وهو يجدّد العقل ويغيّر الروح.

ج. إنّه يتغيّر حوافزياً (2:12)

"لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ". كلّ مسيحيّ هو مسؤولٌ ليكتشف بنفسه ما هي مشيئة الله لحياته. وعندما يكتشف من خلال عملية تواصله اليوميّ مع الرب بعض نواحي إرادة الله المعلنة، فإنه يتقبّلها لأنها **صالحة**. فالله لا يمكن أن يطلب منا أن نُقْدِم على أيّ شيء ليس لخيرنا الأبديّ. وقد يكون الطلب متعارضاً تماماً مع آرائنا وطموحاتنا وأذواقنا مثلما حدث مع بطرس عندما أمره الله بأن يذهب إلى بيت كرنيليوس الأمميّ (أع 10). فما يخطّطه الله من أجلنا هو أفضل ما تكنّه حكمته الكليّة وما تمكّنه محبّته الإلهية. عندما انقشعت أخيراً أمام يوسف سحب الشك الداكنة واستطاع أن ينظر إلى الوراء ويرى كم كانت تعاملات الله وسيادته رائعة في حياته كانت شهادته، "أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْراً" (تك 20:50). إنّ الشيطان هو الذي يوحي بأنّ الله لا يوثَق به؛ وأن الله يخطّط لحياتنا بعض الاختبارات غير المسرة؛ وأنه يخذلنا ويقودنا إلى الانزعاج والألم والخسارة. ولطالما يسعى الشيطان إلى تخويفنا حتى نفقد الثقة بالله، ولكن إرادة الله صالحة حقاً.

وإرادة الله أيضاً **مرضيّة**. لن يطلب الله منا ما لا يمكن أن نقبله. فهو يمضي بنا في طريق الحياة، وينمينا خلال سيرنا حتى إذا ما وصلنا إلى كنعان وعمالقتها نكون مستعدّين لهم، أو على الأقل ينبغي أن نكون مستعدّين. كان هذا اختبار إسرائيل. إن نظرة إلى الخارطة ترينا أن الأمة عندما غادرت مصر، كان الطريق الأقصر إلى كنعان يقع شرقاً، غير أن الله قادهم بعيداً نحو الجنوب، على طول حدود شبه جزيرة سيناء قائداً

إياهم من اختبارٍ إلى آخر لكي يستطيع أولاد قوّته هؤلاء أن يتعلّموا ازدياد الثقة فيه. وقد قرّر بالفعل أن أطول طريق يدور حول المكان هو بالفعل أقصر طريق نحو الوطن. لقد عرف مدى ثقل الخوف الذي سيوقعه عمالقة كنعان في أقوى قلبٍ فيما بينهم، وكم ستبدو إرادته غير مقبولة للأغلبية عندما يحين الوقت في قادش برنيع للمضي قدماً نحو أرض كنعان. ويبدو أن أحداً من بين السكان البالغين لم يتعلّم دروس البرية سوى يشوع وكالب فقط. لم تكن إرادة الله مرضية إلّا لهذين الاثنين. وعندما قرّر الجزء الأكبر من الأمة أن إرادة الله غير مرضية كان قرارهم بلا عذر ولَقِيَ حكماً عاجلاً من الله (عدد 13-14).

ونجد في إبراهيم أيضاً مثالاً عن إرادة الله المرضية حتى عندما تواجهنا بما هو مستحيل بشرياً. فقد اكتشف إبراهيم في تكوين 22 أن إرادة الله لحياته تعني أن يأخذ إسحق إلى مكان معيّن ويقدّمه ذبيحة محرقة. وعلى الرغم من صعوبة الطلب فقد اعتبر إبراهيم إرادة الله مقبولة. لم يعرف لماذا طلب الله هذه الذبيحة، ولم يدرك كيف سيحقّق الله وعوده التي تركّزت جميعها على إسحق. ولكنّه آمن بأن الله سيقيم إسحق من الموت (عب 19:11) مع أنه لم تكن لديه ضمانة بأن الله سيفعل ذلك. لقد قبل إرادة الله دون سؤال.

لاحظنا سابقاً أن الله قال لإبراهيم في بداية مسيرته معه بأن يتخلّى عن أبيه، ثم قال له في نهايتها أن يضحيَّ بابنه. وبالطبع فإن تضحية المرء بابنه الوحيد هي أصعب بكثير من التخلّي عن أبيه. ولكن بين التضحيتين مرّت في حياة إبراهيم سنين من اختبارات النضج. يرى الله دائماً أن "وَصَايَاهُ لَيْسَتْ ثَقِيلَةً" (1 يو 3:5). ومشيئته دائماً مرضية. إذا بدت مشيئة الله، لسببٍ من الأسباب، غير مرضية لنا فلا بد أن يكون ذلك لأننا تعامينا عن شيء يرينه إياه، لأن الله لا يطلب منّا أبداً أن نأخذ خطوة لسنا مستعدّين لها بعد. وهنا أيضاً يحاول الشيطان أن يغوينا للاعتقاد بأن الله يضع أمامنا مطالب مستحيلة. لكنّ مشيئة الله مرضية، وأولئك الذين قدّموا أجسادهم ذبيحة حية يثبتون صحة ذلك.

وأخيراً، مشيئة الله هي **كاملة**. لا يمكن لأيّ من خططنا أن تجري تحسينات على خطة الله. فنحن لا نرى إلا أجزاءً وقطعاً؛ أما الله فهو يرى الصورة الكاملة. نحن لا نرى سوى بقايا الماضي، ونقيس الأمور من خلال أفق رؤيتنا الحالي الضيق. أما الله فيرى الماضي والحاضر والمستقبل في سياقها الكلي من حيث علاقتها بالأبدية. كذلك يرى الله متى، وأين، ولماذا نمسّ حياة الآخرين. إنه يزن جميع الأفعال، وهو يسيطر على جميع الظروف، وإرادته كاملة.

وهكذا، إن المسيحيّ كمؤمن هو عرضة للتحدي والتغيير. وهو يقدّم جسده لله آخذاً كلياً بعداً حياتياً جديداً أكثر ارتفاعاً وعظمة. أما كيف تمسّ نوعية هذه الحياة كل العلاقات البشرية فهو موضوع بقية هذا السفر.

المسيحيّ كأخ
13-3:12

أولا. علاقته مع إخوته الآخرين
أ. عليها أن تكون علاقة فطنة(3:12)
ب. عليها أن تكون علاقة حميمة (5-4:12)
ثانيا. مسؤوليته تجاه الإخوة الآخرين (13-6:12)
أ. في ممارسة الموهبة (8-6:12)
1. أولئك الموهوبون في شرح كلمة الله (8-6:12أ)

أ. إلهام الحق (نبوة)
ب. تجسد الحق (الخدمة)
ج. تفسير الحق (تعليم)
د. مقصد الحق (وعظ)
2. أولئك الموهوبون في توسيع عمل الله (8أ:12)
أ. بالعطاء
ب. بالإرشاد
ج. بالتجوال
ب في تطبيق النعمة (9:12-13)
1. صفات شخصيته(9:12)
2. صِلاته (10:12)
3. سلوكه (11:12)
4. قناعاته (12:12)
5. اهتمامه (13:12)

يثابر بولس على مناقشة حياة المسيحي الروحية. عليه كفردٍ **مؤمن** أن يقدِّم جسده لله كذبيحة حية حتى تظهر حياة يسوع في حياته اليومية. وينبغي عليه **كأخٍ**، ذي علاقة مع المؤمنين الآخرين في الرب يسوع، أن يجسّد الحياة المثمرة في جميع العلاقات والمسؤوليات المتنوّعة في الكنيسة المحليّة.

أولاً. علاقة المسيحيّ مع الإخوة الآخرين (3:12-5)

عندما يصبح الشخص مسيحياً فإنه يدخل في علاقةٍ جديدةٍ مع الله ومع شعبه. هذه العلاقات الجديدة كلها تدعو إلى إجراء تعديلاتٍ كبيرة في تفكير المؤمن الجديد ومواقفه. وتتكيّف علاقة المؤمن مع الله بحسب تقديسه لجسده لله. أما علاقته مع المؤمنين الآخرين فتتكيّف مع تقدير المؤمن للجسد الجديد (الجسد السريّ، الكنيسة) الذي تعرّف عليه. ينبغي على علاقته مع جسد المؤمنين أن تكون فطينة وحميمة في الوقت نفسه.

أ. ينبغي أن تكون علاقة فطينة (3:12)

ينبغي على المسيحيّ أن يدرك تماماً كيف يتعامل مع الآخرين في الكنيسة. "فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي، لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ، بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ، كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَارًا مِنَ الإِيمَانِ" (الآية 3). وبعبارة أخرى، على المؤمن الذي يتعرّف على مجموعة مسيحيّة محلية أن تكون له نظرةٌ صحيحة إلى نفسه وإلى الآخرين. هناك نوعان من المخاطر تواجهنا. فإما قد يبالغ المؤمن في تقييم أهميّته، أو قد يتطرف فيقلّل من قيمة نفسه إلى درجة التواضع الزائف. يصف سي إس لويس طرفي النقيض كليهما في كتابه الشيق والمؤثّر **"رسائل خربر"**. يتضمّن الكتاب سلسلة من رسائل وهميّة من شيطان متقدّم في السنّ أرسلها إلى شيطان مبتدئ يدربه فيها على فنّ التجربة. ولدى الشيطان المبتدئ، "علقم" عميلٌ غدا لتوّه مسيحياً مما أسخط خُربر (اسم الشيطان المدرِّب) كثيراً. وبعد أن أنّب "خُربر" نائبه "علقم" راح يدربه على طرقٍ للاستفادة إلى أقصى حدّ من علاقة المؤمن مع أوائل الأشخاص الذين اتصل بهم في الكنيسة.

ويقول له، "الكنيسة هي من أعظم حلفائنا في الوقت الحاضر. لا تُسئْ فهمي. لا أقصد الكنيسة التي نراها تنتشر في كل زمان ومكان، وتتأصّل في الأبدية، وهي مخيفة كجيشٍ بألوية. فإنني أعترف أن هذا مشهد يجعل أكثر المجرِّبين فينا جرأة منزعجين. ولكن لحسن الحظ أنها غير مرئية لهؤلاء البشر أبداً. فكل ما يراه

مريضك هو النصب القوطيّ غير المكتمل على المبنى الجديد. وعندما يدخل إليه يجد البقّال المحليّ وعلى وجهه تعبيرٌ مداهن وهو يتظاهر بالحماس لكي يعطيه كتيباً لامعاً يحتوي على ليتورجيات لا يفهمها أي منها، وكتيبا صغيراً مخاتلاً يضمّ نصوصاً محرّفة لعددٍ من الأغاني الدينية السيئة في معظمها، ومكتوبة بحروفٍ صغيرة جداً. وعندما يركن إلى مقعده، ويتطلّع حوله، لا يرى سوى نخبة من تلك المجموعة من الجيران الذين حاول تجنّبهم حتى الآن. ينبغي أن تتوكأ على أولئك الجيران توكأً شديداً. اجعل عقله يتأرجح ذهاباً وإياباً بين تعبيرات مثل 'جسد المسيح' وبين الوجوه الحقيقيّة في المقعد المجاور. وبطبيعة الحال، من غير المهمّ هنا نوع الناس الذين يشغلون المقاعد، فقد تعرف أن واحداً منهم هو محاربٌ عظيم في صف **العدو**. لا يهمّ، فمريضك الخاص غبيّ والشكر في ذلك لأبينا "التحتيّ"، شرط أن يكون أي من هؤلاء الجيران يرنّم بنشاذ، أو له حذاء ذو صرير، أو له ذقن مزدوجة، أو يرتدي ملابس غريبة فإن المريض سيظنّ بكل سهولة أنّ دينهم، تبعاً لذلك، مدعاة للسخف. فكما ترى، في مرحلة وضعه الحالي، تكون في ذهنه فكرة عن "المسيحيين" التي يفترض أنها روحية، ولكنها، في الواقع، على الأغلب، تصويرية."

تصف هذه القطعة النثرية التصويريّة بقلم سي إس لويس أحدَ طرفي النقيض الذي يمكن للمؤمن أن يبلغه في علاقته مع الإخوة الآخرين. في وسعه أن يتخيّل نفسه أنه متفوّق عليهم. وقد "يَرْتَئِي فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ". وربما يغدو مغروراً وفخوراً، ويتلفَّع بجميع أنواع التباهي والتمنُّن، وفي إمكانه أن يتصوّر نفسه أكثر رفعة من المؤمنين الآخرين. ولكن هناك أيضاً إمكانية أخرى مضادة إذ قد تتولّد لديه عقدة نقص. فلأنه عاجز عن الوعظ بحماس وبقوة، أو أَسْرِ الناس بحديثه الخاص المفحم المقنع، قد يظن أنه يفتقر إلى الموهبة أو يعوزه قدرٌ من الإيمان. والأسوأ من ذلك، قد يقتنع بشدة بضرورة التواضع حتى إنه يرتدي قناعاً من التواضع الزائف أو يصطنع التواضع دون أن تكون لديه أية فكرة عن ماهيّة التواضع الحقيقي. يجعل سي إس لويس خُربُر في **رسائل خُربُر** يشرح لـ "علقم" كيف يطور هذا النوع من االتنكر في شخصية الإنسان. "إنني أرتئي شيئاً واحداً يمكن فعله في الوقت الراهن. لقد أصبح مريضك متواضعاً؛ هل لفتَّ انتباهَهُ إلى هذه الحقيقة؟ إن جميع الفضائل هي أقل ترويعاً لنا حين يعي المرء أنه يقتنيها. ولكن هذا صحيح على الأخص، بالنسبة للتواضع...

"لذلك يجب أن تخفي عن المريض النهاية الحقيقية للتواضع. دعه يفكّر فيها، لا كنسيان الذات وإنما كنوعٍ معيّن من الرأي (أي كنظرة محتقرة) لمواهبه وصفاته الذاتية. وكما تبين لي، أنّ لديه حقاً بعض المواهب، ولكن ثبِّت في ذهنه فكرة أن التواضع ينطوي على محاولة الاعتقاد بأن هذه المواهب هي أقل قيمة مما يظنها. ولا شكّ أنها **أقل** قيمة مما يعتقد، ولكن ليست تلك هي النقطة. الأمر العظيم هو إغراؤه على تقدير رأي يتسم بصفة أخرى غير الحقيقة، وهكذا تقوم بتقديم عنصر الغش، وخداع الوهم إلى صميم ما يبدو، عدا ذلك، تهديدا بأن يغدو فضيلة. وبهذه الطريقة فإن آلاف البشر قد أوهموا أنّ التواضع يعني أن تحاول النساء الجميلات الاعتقاد بأنهنّ قبيحات المنظر، وأن يحاول الرجال الأذكياء الاعتقاد بأنهم أغبياء... يسعى العدو لأن يصل بالإنسان إلى حالةٍ ذهنية يستطيع معها على تصميم أفضل كاتدرائية في العالم، ويعرف أنها الأفضل، ويسر بحقيقة الأمر، من غير أن يزيد فرحه (أو ينقص) عما يمكن أن يكون عليه لو صمّمها شخصٌ آخر. وفي النهاية، يريده العدو أن يكون شديد التحرر من أي تحيّز لصالحه الذاتي بحيث يمكنه أن يفرح بمواهبه بصورة صريحة وامتنانية كما بمواهب جاره..."[2]

ب. ينبغي أن تكون علاقة حميمة (12:4-5)

يقدّم بولس هنا أحد توضيحاته المفضّلة. "فَإِنَّهُ كَمَا فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ لَنَا أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَلكِنْ لَيْسَ جَمِيعُ الأَعْضَاءِ لَهَا عَمَلٌ وَاحِدٌ، هكَذَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ" (الآيتان 4-5). لا يمكن لأي شيء أن يكون أكثر روعة بتناسقه من جسد يقع كل عضوٍ فيه في مكانه المناسب ويؤدي وظيفته الصحيحة. لا تنافس بين أعضاء الجسد وإنما هناك احترام وانسجام متبادلان، وأيضا علاقة حميمية أقرب بين أعضاء الجسد الواحد، إذ يعتمد كل منها في اشياء معينة على كل عضو آخر. وكذلك كل عضو فيه خاضع لتحكُّم الرأس ولا يسعى أن يفعل شيئاً مستقلاً عنه. كل هذا يوضح العلاقة التي يجب أن تكون قائمة بين المؤمن وأخيه في الكنيسة، التي هي الجسد السريّ للمسيح.

ثالثاً. مسؤوليات المسيحيّ من نحو الإخوة الآخرين (12:6-13)

مسؤوليات المسيحي من نحو إخوته هي ذات شقين. لديه مسؤولية في ممارسة الموهبة، ومسؤولية في ممارسة النعمة.

أ. في ممارسة الموهبة (12:6-8)

بصورة عامة، تدور المواهب التي يعدّدها بولس في هذا المقطع من سفر رومية على تفسير كلمة الله والتوسع في عمله؛ وصلة الاثنين هي صلة وثيقة العرى. فلكل مؤمن موهبة، والبعض الآخر يتمتعون بعدة مواهب، وكل مؤمن هو مسؤول أمام الله ليعرف ما هي موهبته لينميها بالتدريب ويستخدمها في عمل الملكوت. هناك **(1) الموهوبون في تفسير كلمة الله**. "وَلكِنْ لَنَا مَوَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ النِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَنَا: أَنُبُوَّةٌ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الإِيمَانِ، أَمْ خِدْمَةٌ فَفِي الْخِدْمَةِ، أَمِ الْمُعَلِّمُ فَفِي التَّعْلِيمِ، أَمِ الْوَاعِظُ فَفِي الْوَعْظِ" (الآيات 6-8أ).

هناك أربع مواهب محدّدة مذكورة هنا. تتعلّق الأولى **بإلهام** الحق- موهبة النبوة. كان الأنبياء في الكنيسة الأولى معلّمين مُلهَمين. "ولم يكن التنبّؤ بأحداث المستقبل شكلاً اعتيادياً يتّخذه إلهامهم وإنما هو ذاك **التعليم السامي وفوق البشريّ**، الذي وضعه القديس بولس في مرتبة يتفوّق فيها على التكلّم بألسنة **من حيث هو التفوّه بكلام فكرهم الواعي المعلن من الروح القدس**."[3] وكانت هذه الموهبة التي في وسعها التعبير عن مشيئة الله تحت تأثيرٍ مباشر من الروح القدس، ضروريةً في الكنيسة الناشئة في الوقت الذي لم يكن العهد الجديد قد اكتمل وجوده بعد. وكانت، مثل الموهبة الرسولية، مرتبطةً بتأسيس الكنيسة (أف 2:20) وبإعلان سرّ المسيح (أف 3:5). كانت موهبةً انتقاليةً وتمارَس بشكلٍ يتناسب مع إيمان الإنسان. ولم يعد الأنبياء، بهذا المفهوم، موجودين في الكنيسة، مع أنّ الوعاظ يشغلون بدرجة أقل، هذا الدور. وموهبة الوعظ المعاصرة فيها عنصر **التنوير** أكثر مما فيها عنصر الإلهام النبوي.

الموهبة الثانية في القائمة توضح **تَجسُّد** الحقيقة، وهي موهبة الخدمة، وتشمل سائر أنواع الخدمات. هي التطبيق العملي لكلمة الله في الحياة اليومية. إنها الخدمة الطوعية على النقيض من خدمة العبودية. قيل لنا في مرقس 10:45 "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ." ولا تضع الآية أمامنا شقّي ذلك الإنجيل (بذل ابن الإنسان حياته في الخدمة، وبذل ابن الإنسان حياته ذبيحة) فحسب، ولكنه توضح تماماً معنى الخدمة. فكما أن الربّ يسوع جسّد تعليمه بحياةٍ يومية في خدمة الآخرين، هكذا علينا نحن أن نفعل. فهذه الموهبة بالذات هي في متناول كل مؤمن.

تشدّد الموهبة الثالثة في القائمة على **تفسير** الحقّ، فهي موهبة التعليم. المعلّم هو المرء الذي يدرس الكتاب المقدّس باجتهاد، ويقارِن الكتاب بالكتاب، ويستخدِم أساليب سليمة في التأويل والتفسير والوعظ والتحليل والتركيب، الأمر الذي يبني الآخرين بثمار جهوده. ترد موهبة التعليم في مرتبةٍ عالية في لائحة

المواهب (1 كور 28:12). ومهمة المعلّم هي إعلان حقائق الكتاب المقدّس الأساسية لبنيان القديسين وتنويرهم.

تشدّد الموهبة الرابعة في القائمة على **هدف** الحقّ، وهي موهبة الحث؛ وغالباً ما يكون الحث موجهاً إلى الضمير والقلب، بينما يخاطب التعليمُ العقلَ في معظم الأحيان. تتم تدفئة الغرف في البيوت الأوروبية بمواقد مفتوحة صغيرة. وعادة ما تستخدم مع هذه المواقد أداة هي مِحْراك النار، والمحراك هو قطعة معدنية تستخدم من وقتٍ إلى آخر لتحريك الجمر لكي يتوهج من جديد. وهذا هو عمل الواعظ الحاثِّ. ينبغي عليه أن يحرّك ضمائر شعب الله حتى لا يصبح الحق محض لاهوت تجريدي، وإنما يُطبق بصورة عملية واقعية في الحياة اليومية.

وإلى جانب أولئك الموهوبين الشارحين لكلمة الله، هناك **(2) الموهوبون في توسيع عمل الله.** "الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ، الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ، الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ" (الآية 8 ب). والمواهب الثلاث المذكورة هنا ذات علاقة بمتابعة الجهاد على نشر الإنجيل وعمل الله. يمكن لعمل الله أن يتوسع من خلال **عطائنا**. ينبغي أن يكون العطاء من القلب ذي الحافز الواحد وليس من جراء دوافع مختلطة أو مشكوك فيها كما كانت الحال مع حنانيا وسفيرة (أعمال الرسل 5). إن الموقف المسيحيّ الحقيقي إزاء الأشياء المادية ليس، "كم أعطي من أموالي لله" وإنما، "كم أحتفظ لنفسي من مال الله" (1 كور 20:6؛ 23:7). فالمحبة تقاس دائماً بعطائها.

ويمكن توسيع عمل الله من خلال ما لدينا من **خاصة قيادية**. لبعض الناس مواهب مميزة في القيادة وهم قادرون على الإشراف على عمل الله. ويحتاج عمل الله إلى شيوخٍ متعلّمين متمرِّسين قادرين على الإشراف على العمل في كنيسة معينة وتوجيهها في المسارات الكتابية المثمِرة. كتب عن رجال سبط يساكر في زمن العهد القديم كونهم، "الْخَبِيرِينَ بِالأَوْقَاتِ لِمَعْرِفَةِ مَا يَعْمَلُ إِسْرَائِيلُ" (1 أخ 32:12). هناك حاجة كبيرة لمثل هؤلاء الرجال في الكنيسة اليوم. كان لشيوخ أنطاكية فهم لقيادة الروح القدس وللأوقات التي كانوا يعيشونها عندما وضعوا أيديهم على برنابا وشاول وأرسلوهما لتبشير العالم الغربيّ وخدمة الله (أعمال 13:1-3).

يمكن لعمل الله أن يتوسّع من خلال **ذهابنا**. وهناك البعض الذين لديهم موهبة خاصة في ملاحقة أولئك الواقعين في ضيقة وإظهار عطف الله عليهم. هذا ما فعله داود لمفيبوشث في يومه (2 صم 9)، وما أبداه السامري الصالح للرجل الذي وقع بين يدي اللصوص (لوقا 10:30-37). ويرى البعض أنّ هذه الموهبة تُعطى بشكلٍ خاصٍ للذين يدعوهم الله للقيام بخدمة زيارات المرضى والمصابين. وهو ما لا ينبغي فعله بوجوه عابسة وإنما "بِسُرُورٍ"، أو كما يترجمها بعضهم "بمرح"! حسناً قال سليمان، "الْقَلْبُ الْفَرْحَانُ يُطَيِّبُ الْجِسْمَ" (أم 22:17).

ب. في ممارسة النعمة (12:9-13)

تمتدّ مسؤولياتنا تجاه الإخوة الآخرين لتشمل ممارسة النعمة فضلاً عن ممارسة الموهبة. هذه الممارسة تؤثّر على جميع نواحي حياة المسيحيّ. (1) تؤثر على **سلوكنا**. "اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ" (الآية 9). يترجم جي بي فيلبس الآية بهذا الشكل، "دعونا لا نُضمر حباً مزيفاً. لتكن لنا مقاطعة أصيلة للشر وتكريس حقيقي للخير." الحبّ المزيّف هو عملة مزيّفة في ملكوت الله. كان "المرائي" في الأزمنة القديمة هو الرجل الذي يمثّل دوراً على خشبة المسرح." عندما نلبس صفة لا نمتلكها فإننا نلعب دور المرائي.

يقوم الخلق المسيحيّ الحقيقيّ على الحب المسيحيّ الحقيقيّ، ويتم التعبير عنه في الكراهية للشر وحبّ الخير. إن جورج مولر هو أحد الأمثلة البارزة عليه. اتّسمت حياته المبكرة بالشرٍ الفاضح. فمع أنه تلقّى تعليماً

جيّداً ونال فريضة التثبيت، وكان على علاقة مع الكنيسة إلا أنه لم يكن مسيحياً. وإذ كان متورطاً في عمق الخطيئة، قضى وقتاً في السجن. ولكن عندما كان في العشرين من عمره زار مركز خدمة موارفية ومن ثم اختبر الخلاص حقاً. وفي النهاية انتقل مولر من ألمانيا إلى إنكلترا حيث أقام في بريستول؛ وهناك تحت قيادة الله عمد إلى تأسيس دور الأيتام المشهورة التي حملت اسمه. لقد آمن أن الله سيوفّر الاحتياجات الوقتية فضلاً عن الاحتياجات الروحية بالإيمان والصلاة وحدهما. وفي خلال خدمته أنفق جورج مولر حوالي ثمانية ملايين دولاراً، وعند موته، وانسجاماً مع ولعه بفعل الخير، كانت حصيلة ممتلكاته الشخصية أقل من ألف دولارا. لقد اعتنى بأكثر من عشرة آلاف يتيم في دور الأيتام التي أسسها والتي بقيت إلى هذا اليوم شهادةً على قوة الإيمان وعاطفة الحب.

والمثال الآخر مقتبس من سجلات هارولد بيغبي التاريخية للأيام الأولى لجيش الخلاص في لندن. بدأ سلسلة تاريخ حياته بقصة "الملاكم." استهلّ الملاكم مهنة وحشيته وجرأته كفتى بتورطه في مشاكل في المدرسة ومع الشرطة. كان فظاً وغير قابل للترويض. وامتهن الملاكمة، واشترك في 16 مباراة شهيرة فاز في جميعها. كان يدخل في أحيان كثيرة حلبة الملاكمة وهو في حالة سكرٍ شديدٍ مما جعل الحكام يعترضون عليه، ولكنه على الرغم من شدة سكره المدوخ إلا أنه لم يخسر مبارزة واحدة مع أي شخصٍ في فئة وزنه. وبفضل ما جمعه من مال كثير، تزوّج "الملاكم" ، واشترى عملاً تجارياً وعاش حياة مترفة.

وعندما اقتربت أيامه في الملاكمة من نهايتها بدأ مشروعاً تجارياً للسباقات، واستغل اسمه الشهير، واتبع الخداع والاحتيال بمئة طريقة. وأخيراً انكشف أمره وخسر شهرته وشعبيّته وسمعته الحسنة. وانقلب غناه إلى فقر، وجرّ معه عائلته نحو الحضيض وعرضهم للازدراء والاحتقار. هجرته زوجته مراراً وتكراراً. ولكي يحصل على مشروب، كان يتوجّه ببساطةٍ نحو الحانة، ويطلب كحولاً، فيُعطى ما يريد من غير سؤال طالما سيغادر المكان. لم يعد الطعام يجتذبه إذ كان مدمناً على الشراب فقط؛ أصبح كتلة مشتعلة من الكحول، يعيش الآن في مساكن مشتركة يقيم فيها أحطّ المنحطّين. لم يجرؤ أحدٌ على التدخّل في شأنه، وكانت الجريمة تطلّ من عينيه؛ وتحوَّل الرجل إلى شيطان. وذات يوم جاء أكبر أولاد الملاكم يبحث عنه في مسكنه المشترك الحقير وهو يرتدي الزيّ الرسميّ لجيش الخلاص، وتوسل إليه أن يصبح مسيحياً؛ لكن الملاكم سخر منه باحتقار.

كان اليوم التالي هو يومَ الأحد. وكان الملاكم يقضيه في السجن يعذّبه العطش إلى الخمر، ويعصف به جنون الغضب كوحشٍ في قفص، يشتم الله ويستشيط سخطاً على سجنه. ولكنه قضى الوقت أيضاً في مراجعة حياته، مشمئزاً منها، ولكنه اشمأزّ أيضاً من عزمه على إصلاحها فقرّر الانتحار، ووطد العزم على قتل زوجته وإنهاء حياته بالموت ببسالة على منصة المشنقة. وغلبت هذه الفكرة عليه بقوة حتى دمّرت شوقه للشرب. وهكذا تركه شيطانٌ واحتل مكانه آخر.

غادر السجن، وشرب الخمر مع بعض أصدقائه لأنهم ألحّوا عليه حتى ثمل. اقترض بعض المال واشترى سكين لحّام. مضى إلى زوجته، وعرض عليها المصالحة، واقترح زيارة قاعة موسيقى محلية. قبلت العرض خوفاً من لكماته كما يبدو، وغادرا المنزل معا ومشيا في الشارع. وانضمّ إليهما رجلٌ من جيش الخلاص كان يعرف الملاكم وابنه. أراد الملاكم أن يتخلّص من المرافق غير المرغوب به فدخل حانة في الشارع المقابل تاركاً زوجته عند الباب في انتظار زوجها الذي سيغدو مجرماً. وبينما كان الملاكم جالساً في الحانة رأى رؤيا مفاجئة هزّته. رأى أنه ارتكب فعلته الشنيعة، وهو مشنوق بسبب جريمته، والعالم يشير بإصبع الازدراء إلى ابنه، الذي كان حقاً يحبه. خرج من الحانة يهزّه العار والرعب. ومع أن كان في حالة

سكر فقد ذهب مباشرة إلى جيش الخلاص برفقة زوجته وركع كلاهما عند مقعد التائبين وقبلا المسيح مخلّصاً.

لقد هجره الماضي وغدا طاهراً. صار مسيحياً ساطعاً وشهادة واضحة أمام أصحابه القدامى. انضمّ إلى جيش الخلاص، وصار بيته مريحاً وسعيداً. كرّس نفسه لمهمة ربح أصدقائه وجيرانه في الأحياء الفقيرة في لندن للمسيح. مرت سنوات كان فيها عرضة لانتكاسة واحدة ولكن تبعها رجوع سريع طويل الأمد. تضاءل اهتمام زوجته بأمور الله. قال بِغْبي، "تعمقت الظلال بالنسبة له. وسبب قلة تعاطف زوجته ضيقاً وانزعاجاً متزايدين في البيت. لم يأبه أولاده بدين والدهم. كان عليه أن يكسب رزقه بالعمل بين رجال غير مسيحيّين لا يبدون له أي تعاطف. ولكن على الرغم من هذا كله، استمرّ الملاكم في السكن في حيّه، ربما كأكبر قوة لدين شخصيّ بين التائهين الحزانى والمكسورين المتسكّعين في شوارعه العتيقة."[6]

"اَلْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلاَ رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ." إنّ ممارسة النعمة تغيّر من سمات المؤمن، بل إنها تفعل أكثر من ذلك، فهي (2) تؤثّر على **اتصالاتنا**. "وَادِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ، مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ" (الآية 10). على المؤمن في اتصالاته مع إخوته مسؤولية الإعراب عن النعمة. ينبغي أن يُظهِر محبةً أخوية، فمحبة الإخوة دليلٌ على الحياة الروحية (1 يو 14:3)، فأن تكون حقاً ودوداً بترفّق نحو الإخوة فتلك هي نعمةٌ نادرة. عبّر أحدهم عن ذلك على هذا النحو:

أن تسكن في العلى مع القديسين
فهذا حقاً هو المجد
وأن تقيم في الأرض مع القديسين الذين نعرفهم
آه، ذلك قصة أخرى!

ولكن ذلك يمكن القيام به. عندما اتّضح ليوناثان أن داود هو المفضَّل عليه وأنه هو الذي وقع عليه اختيار الله ليكون وليّ العهد لا يوناثان، أبدى يوناثان لداود محبةً أخوية وأكرمه بتفضيله على ذاته. لقد فرح من أجل داود، ثم عندما تبوَّأ داود العرش، نسي ما تعرّض له من كراهيّة بيت شاول المريرة وصفح عنهم من أجل خاطر يوناثان، وفتّش عن ابن يوناثان التعس، مفيبوشت، وأظهر له نفس لطف الله (2 صم 9).

وتوءثِّر ممارسة النعمة (3) على **سلوكنا**. "غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ، حَارِّينَ فِي الرُّوحِ، عَابِدِينَ الرَّبَّ" (الآية 11). تؤكّد الفصول الأحد عشر الأولى من رسالة رومية على التبرير بالإيمان؛ وهنا لدينا "التبرير" بالأعمال. وعبارة "غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ" هي النظرة **الخارجية** أما "حَارِّينَ فِي الرُّوحِ" فهي النظرة **الداخليّة**؛ والنظرة **العلوية** هي "عَابِدِينَ الرَّبَّ".

لا علاقة هنا لعبارة "غَيْرَ مُتَكَاسِلِينَ فِي الاجْتِهَادِ" في الدرجة الأولى بالعمل العلماني؛ وإنما كما يبدو من السياق أن لها علاقة بممارسة المواهب التي أعطاها الله لتوسيع عمله. إنّ ما يدور في ذهن بولس هو الأنشطة الروحية وليس الأنشطة العلمانية. وتشير بعض الترجمات إلى ذلك بكل وضوح. فترجمة NASV تضع هذه الآية كما يلي، "غير متباطئين في الاجتهاد، حارّين في الروح، عابدين الرب." ويترجمها ويليامز، "لا تتوانوا في الحماس، وكونوا دائماً مشتعلين بالروح، واعبدوا الرب." وتذكرنا كلمة "حارّين" بالمياه التي تسخن لتبلغ حدّ الغليان. على ينابيع المؤمن الداخليّة أن تُضرم بروح الله لكي يغلي بحمية مستمرة في خدمته الرب.

كذلك تؤثر ممارسة النعمة (4) على **قناعاتنا**. "فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ، صَابِرِينَ فِي الضِّيْقِ، مُوَاظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ" (الآية 12). التسبيح! الصبر! الصلاة! لدى المسيحيّ مرساةٌ للمستقبل، ولديه رجاء. وهذا ليس مجرّد تفاؤل غامض وعاطفي، ولكنه رجاءٌ مشرقٌ كإشراق مواعيد الله. لا يتمردّ المسيحيّ في المحنة، ولا

يتهمّ الله متهوراً، لكنه صابرٌ عالم أن الله أحكم من أن يرتكب أية أخطاء، وأكثر حباً من أن يقسو، وأقوى من أن تُحبَط أهدافه القصوى.

لا يرد في أيّ مكانٍ في العهد الجديد وعدٌ بعدم معاناة الكنيسة من الضيق. على العكس، فإن هذا الإعفاء بعيدٌ كل البعد عما هو طبيعي (يوحنا 33:16؛ أعمال 22:14، 1 تس 4:3). وُلِدت الكنيسة في الضيق، واجتازت، طوال ثلاثة قرون، في النار والفيضانات كاتبةً بدماء الشهداء بعض أنبل فصولها. وها هي اليوم تجتاز في الضيقات؛ و في الحقيقة، يدَّعي البعض إن عدد الذين استشهدوا من أجل المسيح في هذا الجيل (القرن العشرين) يفوق عدد الذين استشهدوا في أجيال الكنيسة السابقة. ولدى دراسة تاريخ الكنيسة في كوريا، والصين، وروسيا، والعديد من الدول الناشئة في أفريقيا، لا يتعذر تصديق هذا الأمر. إذن، فإن عبارة الرسول "صابرين في الضيق" هي عملية جداً وذات صلة بالموضوع.

وينبغي أن يكون المسيحيّون أيضاً "مُواظِبِينَ عَلَى الصَّلاَةِ" أي مثابرين على الصلاة، وربما لا يوجد أكثر من الضيق ما يجعل صلاة المؤمن أشدّ عاطفة وإلحاحاً. فالضيق يجعل رجاء المؤمن أكثر واقعيّة، وصلواته أكثر واقعيّة أيضاً، كما أنّه يضيف بعداً جديدًا كليًّا لقناعاته.

وأخيراً، تؤثّر ممارسة النعمة (5) على **اهتمامنا**. "مُشْتَرِكِينَ فِي احْتِيَاجَاتِ الْقِدِّيسِينَ، عَاكِفِينَ عَلَى إِضَافَةِ الْغُرَبَاءِ" (الآية 13). الفكرة هنا هي ملاحقة الفرص فعليا لتقديم الضيافة، وليس فقط انتظار سنوحها بشكل سلبيّ. إن كرم المرء السخيّ بما يملك من سلعٍ دنيوية هو علامةٌ من علامات التلمذة الحقيقية.

"كان هناك (في ساحة الهيكل في أورشليم) ثلاث عشرة خزانة، ولكلّ منها فتحة نحاسية بشكل البوق كان العابدون يلقون فيها تقدماتهم؛ وقد وُضِعت على تسع خزاناتٍ منها إشارات تخصصها 'ليهوه'، وعلى أربعٍ منها بأنها 'للفقراء'. وكانت الأرملة تعرب بسرور عن محبّتها للرب وللقريب أيضاً؛ فإن وضعت فلساً في خزانة الله فسيُعرَف في السماء أن أحد محبِّي الرب قد زار الخزنة في ذلك اليوم؛ وإذا ألقته في الخزانة المخصصة 'للفقراء' فإن ذلك يعبر عن اهتمامها بزملائها، ولكن ألا يجعلها ذلك تبدو أنها تضع الحاجة الإنسانية فوق عبادة الله؟ إن الحلّ الذي تبنته بسيطٌ ومُكلِفٌ لأنها وازنت ما بين مطالب السماء ومطالب الأرض، فألقت الفلسين في خزانتين مختلفتين. ولفت الربّ بفرحٍ متلهف انتباه الإثني عشر تلميذا إلى تصرّفها، وعرض عليهم مسالة في علم حساب السماء: لقد أحبّت الأرملة الله وقريبها."

لقد أصرّ إبراهيم على ضيافة عابري السبيل الذين مرّوا في أثناء سفرهم بباب خيمته (تك 18) وبذلك أضاف ملائكةً وهو لا يعلم (عبرانيين 2:13)، ناهيك عن أنّ أحدهم كان من تعبده الملائكة! سيقول الرب مادحاً البار في ذلك اليوم العتيد، "جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي...فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى... وَمَتَى... وَمَتَى... فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت 25:35-40).

لا يمكن لمن يتبع النموذج الإلهيّ في العطاء أن يعود بالخسران. لقد شرح ذلك أحد المزارعين المعروف بغناه وسخاء عطائه من أجل المسيح على الشكل التالي: "إنني استمر بالمثابرة على االجرف لأضع في دن الله، والله يواظب على االجرف ليردّ ما جرفته إلى دني، ومجرفة الله أكبر من مجرفتيّ".

هنا إذًا الصورة التي يرسمها بولس للمسيحيّ كأخٍ. إنه يتمتّع بعلاقته مع إخوته وهو يتكاتف معهم بحمل مسؤوليته من نحوهم. وبقيامه بذلك، فإنه يمارس كلاً من العطاء والنعمة، ويصبح كنتيجةً لذلك، وبصورةٍ متزايدة، مماثلاً لربّه.

حياة المسيحيّ الاجتماعية

14:12-21

علينا عندما نتعامل مع غير المسيحيّين أن
أولا. نتلاءم مع أمزجتهم (12:14-15)
ا. تلطيف المقاومة
ب.اكتشاف الفرص
ثانيا. التنبُّه إلى أسلوب المعاملة (12:16)
أ. لا تكنْ متحيّزاً
ب. لا تكن متكبّراً
ثالثا. لاحظ هذه الأساليب (12:17-21)
أ. عش محايداً (12:17أ)
ب. عش فريداً (12:17ب)
ج. عش مسالماً (12:18)
د. عش إيجابياً (12:19-21)
1. حقّ الانتقام هو لله
2. مبدأ الانتقام هو لله

إنّ قوانين الحياة المسيحيّة لا تتناول حياة المسيحيّ الروحيّة فقط ولكن حياته الاجتماعية أيضاً. فالمؤمن يحافظ على علاقته مع العالم كما مع الكنيسة. كان لدى بولس ثلاثة أشياء يقولها عن اتصالات حياتنا اليومية مع من هم من خارج المسيح. علينا أن نعرب لغير المؤمنين عن التعاطف والتفهُّم، وعلينا أن ننتبه جيّداً إلى مواقفنا، وأن نعيش أمام الناس حياةً مثالية لا يرقى إليها الشك.

أولاً. نتلاءم مع أمزجتهم (12:14-15)

يتصرّف العديد من المسيحيين بنوعٍ من الغرور والتمنن بوعيٍ او بغير وعي، الأمر الذي يعترض عليه جيرانهم غير المخلّصين. على المؤمنٍ في سياق ولائه للرب يسوع المسيح أن يحترس من القيام بأي عمل عدائي غير ضروريّ يسيء به إلى أصحابه غير المسيحيّين. وهذا لا يصح فعله باتخاذنا مواقف سلبية، بل ينبغي أن نبحث عن نقاط الاتصال مع غير المؤمنين ونؤسّس "صداقات المفديّين" معهم. يقدّم پول ليتل بعض التعليقات الممتازة جداً في هذا الشأن بقوله،

"نستغرب جميعنا من "سمعان الساذج" عندما يضع برميله، ويرمي فيه صنّارته، ويحزن كثيراً لأنه لا يصطاد أي سمك. ونحن نفكر، 'ما أشد غباوته! إن السمك لا يأتي ليقفز إلى البراميل: عليك أن تذهب إلى حيث يوجد السمك.' ولكن ما الذي نفعله نحن عندما نقوم بالكرازة؟ ننصب براميلنا وندعو الأسماك لكي تقفز فيها، ويكتنفنا الحزن الشديد عندما تمر بنا أسرابًا أسرابًا. وكما قالد هارولد وايلدش ذات مرة، لا يستطيع الروح القدس أن يخلّص القدّيسين أو المقاعد؛ ينبغي أن يوجد أشخاص غير مسيحيّين."...

"لا شكّ أن هناك مكاناً للاجتماعات التبشيريّة التي ندعو الناس إليها، ولكن النهج التبشيري الذي علمنا إياه الرب أساسيا، هو أن نذهب إلى الناس حيث هم. ولهذا النهج عدة متضمَّنات. أحدها وجوب إدراكنا أن الانفصال عن العالم لا يماثل الانعزال عن العالم... فقد أتى إليّ بعض الناس ليخبروني بأصوات يشوبها الفخر بأن ليس لديهم صديق واحد غير مسيحيّ، وكانوا يتوقعون مني أن أهنّئهم. كان عليّ أن أهزّ رأسي بعجب بشأن ما فاتهم من تعليم العهد الجديد الواضح.

"هناك تضمين ثانٍ: يقول غير المسيحيّ أحياناً بحسن نية وكرم، 'تعال معي لنفعل كذا وكذا' أو 'تفضل خذ هذا وذاك.' ونردّ بشكلٍ غريزيّ تقريباً ونقول، 'لا شكراً، أنا لا أفعل هذا وهذا، فأنا مسيحيّ'

وفجأة يدوّي في مسامعك رنين الستار الحديدي وهو يُسدَل بينك وبينه. يفكّر بعض الناس في أنفسهم، 'لقد كانت لديّ فرصة رائعة للشهادة' ولكن في رأيي أننا نُقدِم على أمرين خطيرين. أولهما أننا ندين الشخص فوراً بطريقة ما كوثنيّ لا يفهم حقاً. وثانيهما، إننا نشوّه إنجيل الرب يسوع المسيح لأننا اقترحنا أن عدم فعل ذلك الأمر الذي طلبه منا في تلك اللحظة هو جزء موروث لكون المرء مسيحيّاً ...

"ينبغي أن نبحث لدى غير المسيحيين عما يمكن أن نمدحهم عليه بصدق، وإذا كنا متنبهين فإننا لا بد أن نجده. وعندما يدعوك شخص لعمل شيءٍ ما، فقد يكون من المناسب أن تقول له، 'لا، شكراً، ولكن دعني أعلم متى تريد أن تفعل هذا أو ذاك.' قدّمْ على الفور اقتراحاً آخر لئلا يظنّ الشخص أنك ترفضه أو ترفض صداقته. فلسنا في حاجة إلى أن نتخذ موقفا دفاعيا من ذلك. وعندما تدعو شخصاً غير مسيحيّ ليلعب الشطرنج معك فهو لا يحور ويدور حول الأمر ويقول، 'لا، شكراً، أنا لا ألعب الشطرنج. أنا لست مسيحياً.' وإنما يقول، 'لا شكراً، إن لعبة الشطرنج لا تثير اهتمامي، ولكن أخبرني عندما تريد أن تلعب كرة الطاولة."[1]

إذاً أولاً، علينا أن نتعلم أن نتلاءم مع حالتهم المزاجية، وهذا يحمل معه تحدياً مزدوجاً: وهو تلطيف المقاومة واكتشاف الفرص.

أ. تلطيف المقاومة (12-14)

إن طائفة عديدة من أنبل مفاهيم الموعظة على الجبل تتكرر في الرسائل. وهنا أحدها، "بَارِكُوا عَلَى الَّذِينَ يَضْطَهِدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلاَ تَلْعَنُوا" (الآية 14). وكلمة "باركوا" هنا هي الكلمة نفسها التي تعني "امدحوا". فعندما نمدح شخصاً ما فإننا نطري صفاته الحسنة. يوصينا بولس بأن هذا ما يجب أن يكون عليه موقفنا المعتاد من الذي يسيئون معاملتنا. وللعرب عادة (وليست بالضرورة عن إخلاص دائماً) هي لمس الرأس، والشفتين والقلب عند إزجاء مجاملة. وتعني هذه اللفتة، "إنني أفكر فيك، وأطريك، وقلبي يخفق لك." وهذا هو الموقف الذي ينبغي أن نتخذه من الذين يقاومونا. علينا تلطيف المقاومة عن طريق مقابلة قطعته السوداء على رقعة شطرنج الحياة بقطعة بيضاء منا. ينبغي مواجهة الكراهية بالمحبة. ويعتقد البعض أنّ المسيحية قد أخفقت ولكن الأصحّ أن نقول إنها نادراً ما تم ممارستها.

يصوّر دي. إل. مودي في إحدى عظاته الرب يسوع بعد قيامته يسدي التوجيهات لبطرس قائلا: "اذهب، واعثر على الرجل الذي طعن جنبي برمحه وقل له إن هناك طريقة أسرع بكثير للوصول إلى قلبي. ابحث عن الرجل الذي توّجني بشوك وقل له إنني أودّ أن أعطيه إكليل الحياة." وهي طريقة درامية لتصوير روح المسيحية. ألم يمارس المسيح ما كان يعظ به؟ لقد صلّى وهو على الصليب للذين أساؤوا معاملته، وفتح أبواب الفردوس للصّ الذي كان ينهال على رأسه بالشتائم منذ لحظات. هذا ما جعله يكسب كليا قلب قائد المئة المسؤول عن الصلب، فصرخ، "حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ" (مت 54:27). وهكذا نرى التحدّي في تلطيف المقاومة متجسدا وناجحا بصورة مجيدة على تلة العار الجمجمية الشكل. فسياسة المسيح في مباركة الذين يشتمونه جعلته يربح لنفسه في ذلك اليوم أممياً ويهودياً، وكانا أول ثمرتين (باكورة) لصليبه.

هل يمكننا أن نأمل في أن نعيش حياة مثل ذلك؟ تمتلئ سجلات الكنيسة بالقصص التوضيحية. خذ مثلا، أدونايرم جَدسون. اهتدى جدسون من الأغنوسية ودعاه الله لكي يخدم المسيح في بورما. وكان عليه وعلى زوجته أن يدفعا ثمناً باهظًا نتيجة للمقاومة قبل أن يربحا أول شخص للمسيح. ففي إحدى المرات، جُرَّ جدسون, وقد أصبح في حالة من الهزال أضحى معها مجرّد هيكل عظميّ, تحت لذعات السوط عبر صحراء محرقة حتى صلى طالباً الموت. وفي مرة ثانية، زج في السُجِن لمدة سنتين تقريباً تعرّض فيهما لكلّ

ما يمكن تصوّره من همجيّة وقسوة. وفي أثناء ذلك كانت زوجته تضع طفلاً، وبعد وقتٍ قصير من الولادة أُحرِق منزل الإرسالية مما حرم الأم الشابة من أي وسيلة من وسائل الراحة حتى لم تجد كرسيا تجلس عليه. أضف إلى ذلك أن الطفل الأكبر أصيب بالجدري، مما دفع بالأم المشتّتة الذهن إلى حافة اليأس.

ثم صدر الإعلان بقرب تنفيذ حكم الإعدام على جدسون. واستعدّ الزوجان الشابان للأسوأ، ولكن في هذه الأثناء تم تهريب جدسون بعيداً وأخفقت زوجته في اكتشاف مكان وجوده. ولدى التقائهما معاً كان ثمن الألم الذي دفعاه رهيبا. فالتعذيب الذي تعرّض له الزوج أرهقه وشوّهه وملأه بالندوب؛ وحُلِق شعر زوجته المتجعّد الأسود اللامع ، وأُلبِست خرقاً وأصبحت في حالة فقرٍ مدقع.

ومع ذلك،, في غضون هذا كله لم تفقد عائلة جدسون رؤية هدفها- أن تحب أعداءها لتربحهم إلى ملكوت الله. وفي أثناء كل معاناتهم كانت تسندهم محبة الرب يسوع المنقطعة النظير التي أظهرها في الجلجثة. كان لدى جدسون طموحان هما أن يترجم الكتاب المقدّس إلى اللغة المحليّة وأن يرى قبل وفاته كنيسة موءسسة تضم مئة عضو.. لقد أدرك أكثر من هذين الهدفين. لقد استطاع أدونرام المضطهد بفضل المباركة وليس باللعنة من تلطيف المقاومة ، وهكذا خرج من (المعركة) أكثر من غالب.

ب. تحدي اكتشاف الفرص

هناك العديد من الاختبارات العامة التي نشترك فيها مع جميع الناس، وغالبا ما يمكن أن تكون هذه نقاط اتصال مشروعة نستطيع من خلالها أن نبني جسوراً تمتد إلى قلوب وحياة وبيوت جيراننا وأصدقائنا والعاملين معنا غير المخلّصين. يقول بولس, "فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ: (الآية 15). ومما له دلالته، بالتأكيد، أن أولى "الآيات" التي ذكرها يوحنا في إنجيله أجراها الرب في عرس، وآخرها كانت في جنازة. فواحدة تمت في أسعد ساعات الحياة والثانية في أتعسها. وقد فرح يسوع في إحداها مع الفرحين وبكى في الثانية مع الباكين.

توضح لعبة الدومينو هذا المبدأ. ويقول إف دبليو بورهام، "لقد خطر ببالي فيما كنا نلعب (هذه اللعبة) أن الحياة نفسها ليست سوى لعبة دومينو. وأرفع فنها يكمن في توافق قطعك مع قطع صاحبك. هل هو سعيد؟ لشد ما هو رائع أن تفرح مع الفرحين. هل هو حزين؟ لكم هو رائع أن تبكي مع الباكين. وهذا بالطبع يعني أنه إن كنت تستجيب للتحدي في كل مرةٍ فسرعان ما ستنفذ قطعك. ولكن بالمقابل، من الجدير أن نتذكّر أن الانتصار لا يكمن في التجميع وإنما في الاستهلاك. واللاعب الذي تبقى يداه فارغتين يربح كل شيء...

"وروعة اللعبة هي أنّ أي شخصٍ يستطيع أن يلعبها، ولن تحتاج إلا إلى استيعاب مبدأين أساسيين. أولاً، ينبغي أن تفهم بوضوح أنه عليك، كلّما حان دورك، أن تلعب بما يماثل ما يلعبه صاحبك، واضعاً رقم ستة بجانب ستة، ورقم ثلاثة بجانب ثلاثة وهلم جرّا. وثانياً، ينبغي أن تفهم بوضوح أن النجاح الكامل يكمن في الإنفاق لا في التجميع. ويكمن الانتصار بتقديم القطع الصغيرة العاجية بيدٍ مسرفة قدر الإمكان. فالعطاء في لعبة الدومينو أفضل من الاحتفاظ. ومن الأفضل أن تلعب بقطعة دومينو عليها اثنتا عشرة نقطة سوداء من أن تلعب بقطعة دومينو ذات نقطتين. تُعلّمني لعبة الدومينو أن 'أقيس حياتي وفقا للخسارة عوضاً عن الربح، وبالخمر المسكوب عوضاً عن المشروب'...

"وماذا عن بولس؟ ألم يكن بولس هو المتمرّس الماهر السابق في كلا المبدأين اللذين يحكمان لعبة الدومينو؟ لقد عرف أن سرّ النجاح ليس في المحافظة على قطعك وإنما في التخلّص منها. وهو الذي قال، 'وَأَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ سُرُورٍ أُنْفِقُ وَأُنْفَقُ لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ.' وهل كان يجاريه أحد في فهمه في مجاراة لعبة رفيقه؟ 'فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ.

وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ لِلهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا'. وهذه أفضل لعبة دومينو لعبها بولس!"

ثانياً. راع أسلوب المعاملة (16:12)

ليس علينا أن نبدي تعاطفاً وتفهماً وصداقة لغير المؤمنين فقط بل علينا أيضاً أن نتنبّه جيداً إلى مواقفنا ونتفادى التحيّز والتكبّر.

أ. لا تكنْ متحيّزاً (16:12أ)

يقول بولس، "مُهْتَمِّينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ اهْتِمَامًا وَاحِدًا." لا يطالب بولس بالتوافق وإنما بالإجماع. ينبغي أن نحتمل بعضنا بعضاً. لقد عامل الرب يسوع المرأة عند البئر (يوحنا 4) بنفس الاعتبار واللطف والتعاطف الذي ابداه في تعامله مع نيقوديموس ذي النبل والتهذيب (يوحنا 3). كان رحيماً مع اللصّ الذي أشرف على الموت مثلما كان مع أمه نفسها. كان صبوراً مع يهوذا مثلما كان مع يوحنا.

ب. لا تكن متكبّراً (16:12ب)

ليس للتكبّر مكان في الحياة المسيحية. "غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ." لدينا في العهد الجديد مثال عن ديوتريفس، "الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الأَوَّلَ" (3 يو 9). مثل هذه الروح غريبة عن المسيحية الحقيقية.

تحمل لفظة condescend في اللغة الإنكليزية الحديثة معنى التلطف الناجم عن التفوق. لشد ما كان هذا المفهوم بعيداً عن فكر بولس. علينا أن لا نتودد إلى المتضّعين بتعالٍ فارغ، بل على العكس، ينبغي أن "نُقاد" (أو ننساق) إليهم، لأن هذا ما يوحي به الأصل. (قارن مع غل 13:2 و2 بط 17:3، وهما المكانان الوحيدان في الكتاب اللذان ترد فيهما الكلمة نفسها). ومن غير الجليّ إذا كان بولس يعني أن علينا أن نكون منقادين إلى المتضّعين أم إلى الأشياء المتضّعة. ومهما كان الحال، فمن الواضح أنه يؤيد ما هو عكس الكبرياء. ففي عالمٍ يتزاحم فيه كل إنسانٍ على المركز والشهرة والاعتبار، يندر، حتى في صفوف المفديّين، أن نجد أولئك الذين ينقادون طوعاً إلى المتضّعين والودعاء.

والطريقة لتتعلّم هذه النعمة هي في الجلوس عند قدمي يسوع. فقد قال: "تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ" (متى 29:11). لقد قيل بفصيح العبارة عن الرب يسوع أن حياته وموته كانا "توبيخا دائماً لكل شكل من أشكال الكبرياء التي يتعرض لها البشر. كبرياء الميلاد والرتب- 'أَلَيْسَ هذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟' (مت 55:13)؛ كبرياء الغنى- 'وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ' (لو 58:9)؛ كبرياء الاحترام- 'أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟ (يو 46:1)؛ كبرياء المظهر الشخصيّ –'لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ' (إش 2:53)؛ كبرياء الصيت- 'مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ" (لو 34:7)؛ كبرياء التفوّق – 'وَلكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ' (لو 27:22)؛ كبرياء النجاح- 'مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ' (إش 3:53)؛ كبرياء القدرة – 'أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا' (يو 30:5)؛ كبرياء الإرادة الذاتية –'لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي' (يو 30:5)؛ كبرياء المعرفة – 'أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي' (يو 28:8)."[3]

إذاً ينبغي على المسيحيّ أن يتنكّر للكبرياء. يقول بولس، "لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ." ويتكرّر هذا التعبير سبع مرات في الكتاب المقدس: رومية 25:11؛ 16:12؛ أمثال 7:3؛ 5:26، 12، 16؛ 11:28. يقول سليمان أنه يوجد رجاء في الأحمق أكثر من الرجاء بشخصٍ كهذا. ويقول إن مثل هذا الرجل هو الكسلان.

وهذه الخطيئة فخٌّ للأغنياء. إن سنابل الذرة الخضراء (اليانعة) هي التي تشمخ برؤوسها فقط، أما السنابل الناضجة فتكون دائماً منحنية.

ثالثاً. لاحظ هذه الأساليب (12:17-21)

ينبغي على المسيحيّ في اتصالاته الاجتماعية أن يتبع خطوط الموعظة على الجبل البارزة. ويسلّط الرسول الضوء على أربعة مبادئ.

أ. عش محايداً (17:12أ)

أول هذه المبادئ هو، "لاَ تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ". ويأخذ هذا المبدأ، كأمر مسلّم به حقيقة، أن بعض الناس هم البادئون بارتكاب الشر ضدّ أولاد الله. إن الردّ على ذلك الأذى بالمثل أمرٌ طبيعيّ، أما تحويل الخدّ الآخر والمضيّ إلى ما هو أبعد من ذلك بمجازاة الشر بالخير فهو أمرٌ إلهيّ. بهذه الطريقة ذاتها عامل يوسفُ إخوتَه. فقد اضطهدوه، وسخروا منه، وباعوه للعبودية، لكنه عالهم وحماهم وسامحهم ورفع من شأنهم. كان هذا أيضاً موقف داود من نحو شاول وأهل بيته. فشاول الذي عقد العزم على قتل داود، سعى بإصرار على محاصرته واغتياله. ولكن داود منع يده عن أذية شاول حتى عندما كان في وسعه أن يفعل ذلك. ثم بحث عمّن بقي من أسرة شاول الساقطة من لاجئين لكي يبدي لهم "إِحْسانَ الله". وهكذا عامل بولس نفسُه شعبه أيضاً. فقد سعوا لقتله، وبذلوا قصارى جهدهم لتقويض عمله، وزرعوا فتنة وبدعاً في الكنائس التي أسّسها، ولم يكفّوا أبداً عن محاولة إثارة حتى المهتدين الذين ربحهم للمسيح ضدّه، لكنّ بولس صلّى بحرارةٍ من أجل خلاصهم ولم يكفّ عن محاولة ربحهم للمسيح.

ب. عش بصورة فريدة (17:12ب)

المبدأ الثاني هو "مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ". على المسيحيّ أن يكون بلا لومٍ في جميع تعاملاته الاجتماعية. عليه أن يكون شديد الأمانة والتدقيق في جميع علاقاته مع زملائه، وأن تكون كلمته رباطاً له مهما كان تنفيذها غير ملائم له فيما بعد. عليه ألا يصرّح بشيء ويمارس شيئاً آخر.

ومما يدعو للاستنارة تتبُّع كيفية ممارسة بولس للمبادئ التي وعظ بها. لنفكّر مثلاً في معاملاته المالية كما وردت هنا وهناك في سائر أسفار العهد الجديد. كان حريصاً على مشاركة الآخرين معه في التعامل مع الأموال العامة حتى لا يكون عرضة لأي شائبة اختلاس (1 كور 16:3-4). عمل بولس بيديه (1 كور 4:11-12؛ 12:9-9، 18-19)، حتى إنه دعم أعضاءً آخرين من فريق المرسلين (أع 20:34)، لكي لا يشعر المؤمنون الجدد والكنائس الناشئة بأنه يتاجر بهم في أمور الله (2 كور 12:14-18). وضع قواعد دقيقة من أجل تفادي أساليب الضغط الشديد عند جمع التقدمات في الكنائس (1 كور 16:1-2). لم يرد أن يكون وجوده وشخصيّته حافزين على العطاء. واستطاع أن يتحدّى شيوخ الكنيسة في أن يومئوا إلى أي خطأ في سلوكه (أع 20:33-35). ورحّب بكل سرور بمحاسبة علنية عن تعاملاته. كان فوق كل لوم. وحتى عندما كانت رشوة مسؤول في الدولة تضمن إطلاق سراحه من السجن، احتقر مثل هذا التصرّف الرديء (أعم 24:26). وبهذه الطريقة عاش فريداً.

ج. عش بصورة مسالمة (12:18)

المبدأ الثالث هو: "إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ". كان بولس واقعيّاً وقد عرف جيداً من تجربته الشخصيّة أن الإنجيل سيُقاوَم بعنفٍ كبير حيثما يُكرَز به بقوة. وقد اعتُبِر هو نفسه بمعكّر السلام. وفي الحقيقة يعتقد بعض الناس أن دافع لوقا من كتابة سفر الأعمال هو ليزود بولس بتقرير موجز ليثبِتَ فيه براءته حين يظهر أمام قيصر. وسواء أكان ذلك صحيحاً أم لا فإن الباعث الدفاعيّ في سفر الأعمال واضح جداً. يبذل لوقاً قصارى جهده ليبرهن عما تتصف به المسيحية الملتزمة بالقانون من أخلاقية، وليبيّن

حقيقة كون جميع الاضطرابات تمّتْ بتحريضٍ من أعداء المسيحية. وكيف ألقى المسؤولون الرومان مراراً عرض الحائط ما أُحضِر أمامهم من قضايا اتُّهم فيها بولس بسلوكٍ غير منضبط. إن العيش بسلام مع جميع الناس أمرٌ ليس دائماً ممكناً، إلاَّ أن المبادرة في تعكير صفو السلام يجب ألا تكون أبداً متوقفة على المسيحي.

د. عش بصورة إيجابية (12:19-21)

ينبغي التجاوب بالخير بشكلٍ إيجابيٍّ مع المقاومة والكراهية والاضطهاد. على المسيحيّ ألا يسعى في أيّ حال إلى الانتقام بسبب الأذية التي لحقت به. يجب عليه أن يدرك أنّ **(1) النقمة هي لله**. يقول بولس، "لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ" (الآية 19).

يجعل جيفري فارنول هذه النقطة موضوعاً لإحدى أروع حكاياته عن المغامرة. كان مارتن كونيسبي، وهو وريث أحد العقارات، ضحيةً لعِداءٍ استشرى لقرون بين عائلته وعائلة براندِن المجاورة. وكان السير ريتشارد براندِن قد قتل والد كونيسبي وباع مارتن عبداً ليعيش حياة الموت مجذّفاً في سفينة ضخمة إسبانية؛ فكان الرجل االشقي يصرخ وهو يكدّ في مجذافه الثقيل، "يا إله العدل! أتح لي أن أنتقم لقاء المعاناة التي عليّ أن أحتملها، ومقابل الجلدات المدمية والعذاب المرير، أتح لي أن أنتقم - أنتقم من عدوّي يا الله!"

وتحكي القصة كيف نجا مارتن ومضى طالباً للانتقام لنفسه. وتروي كيف وجد عدوّه أخيراً في زنزانات محاكم التفتيش الإسبانية في نومبر دي ديوس. ولشدّة كراهية مارتن العمياء أقدم على ارتكاب ما جعل ضبّاط محاكم التفتيش يعتقلونه، على أمل في أن يجد نفسه مع عدوّه في الزنزانة نفسها. أُخِذ مارتن إلى زنزانةٍ مظلمة حتى كاد يختنق من رائحة الهواء الكريهة. ووجد في إحدى زوايا زنزانته مخلوقاً مسنّاً ذابلاً جاثماً على ركبتين واهنتين. وقد نكل به المعذّبون أشد تنكيل. كان جسده يحمل "العديد من الندوب الكبيرة لجروح قديمة وجديدة، وعلامات حروق بالحديد الساخن، وحديدٍ قارص وجلداتٍ قاسية، وأدرك من رؤية مفاصله المنتفخة والملتهبة ما لقيه من عذابٍ متكرّر من آلة عذاب شد المفاصل." كان ذلك عدوه ريتشارد براندن! لقد أتى يبحث عن رجلٍ معافى وقوي يصب عليه جام كراهيّته ويروي غليله للانتقام، لكنه وجد أمامه عوضاً عن ذلك رجلاً محطم الجسد ولكن سمت به آلامه.

ويروي فارنول كيف ساعد بطلُ القصة خصمَه للهروب من براثن محاكم التفتيش، وكيف هربا معاً عبر نفايات دارين البرية. وفي غضون ذلك أخذ مارتن ينمو في حبه وتكريمه للشخص الذي كان عدوه من قبل، بينما أحب براندن الرجل الذي أخطأ إليه من قبل كما يحبّ الإنسان ابنه الوحيد. وعندما مات السير ريتشارد في الرحلة المضنية في البحر، بكى مارتن كونيسبي حزناً على الرجل الوحيد الذي أحبه وأكرمه حقاً بإخلاص. إنها قصة رائعة ومحبوكة بمهارة حول موضوع أن الانتقام هو حقّ خاص بالله. فالذين ينتقمون بأيديهم معرّضون لأن يطعنوا أنفسهم بأوجاعٍ كثيرة، ويجدوا في النهاية أن الانتقام ثمرةٌ مرة. عندما ينتقم الله من الخطأ فهو يفعل ذلك بإنصافٍ وعدالة تامّين، وليس أبداً بروح الانتقام التي تتصف بها خطط البشر الناقمة.

ليس على المسيحيّ أن يدرك فقط أن حقّ الانتقام هو خاص بالله بل عليه أن يدرك أيضاً أن **(2) مبدأ الانتقام هو من حق الله.** يقول بولس، "فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ. لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ" (الآيتان 20 و21). وبنفس ذات هذه الطريقة كانت ردّة فعل الله من نحو الجلجثة. فالصليب يمثّل أقوى تجسيد للكراهية التي في قلب الإنسان من نحو الله، وفي الوقت نفسه، يمثّل أسمى تجسيد للمحبة التي في قلب الله من نحو الإنسان. فذلك الرمح الذي طعن جنب المخلّص أخرج منه دماءه المخلّصة.

حياة المسيحيّ العلمانية

7-1:13

ينبغي على المسيحيّ أن يدرك

أولا. مسؤوليّات قادة الأمة (13:1-6)

أ. مسؤولياتهم من نحو الله (13:1-2)

1. الحكومات معينة من قبل الله (13:1)
2. الحكومات أقيمت بموافقة الله (13:2)

ب. مسؤولياتهم الحكومية (13:3-6)

1. إنهم مسؤولون عن السلامة الوطنية (13:3-5)

أ. لحماية المجتمع (13:3-4أ)

1. بمقاومة أعضاء المجتمع المخالفين للقانون (13:3أ)
2. عن طريق تقدير أعضاء المجتمع المتميّزين (13:3ب-4أ)

ب. لمعاقبة المجرم (13:4ب-5)

2. إنهم مسؤولون عن السيادة الوطنية (13:6)

ثانيا. حقوق قادة الأمة (13:7)

أ. حقهم في دعمنا الماديّ

1. في ضرائبنا
2. في جمارکنا

ب. حقّهم في دعمنا المعنويّ

1. الخوف- المقدّم للحكام السيّئين
2. الإكرام- المقدّم للحكام الصالحين

بعد أن أظهر بولس أنّ قوانين الحياة المسيحية تنظّم علاقات المؤمن الروحية والاجتماعية، يبيّن الآن أن هذه القوانين تسيطر على علاقاته العلمانية أيضاً. وشأن علاقة المؤمن مع الحكومة البشرية مماثل للإعلان الإلهيّ بشأن علاقته بالشيوخ في الكنيسة. وتضع وجهة نظر بولس التركيز في هذا الجزء من الرسالة على قادة الأمة، ويتضح من هذا المنظور كيف يتوجَّب على المسيحيّ أن يسلك.

أولاً. مسؤوليات قادة الأمة (13:1-6)

إنّ مسؤوليات قادة الأمة هي من نحو الله ومن نحو الإنسان على حدٍ سواء. وبما أنه من واجب المسيحيّ أن "يعطي لقيصر ما لقيصر،" فإنّ بولس يؤكّد أيضا كيف كان على قيصر أن يتصرّف. من الواضح أن هناك حالات نادرة يجب على المسيحيّ فيها أن يرفض بكلّ احترامٍ طاعةَ أمرٍ حكوميّ (أعمال 29:5). ويستنكر الكتاب المقدس القيام بالعصيان المدنيّ. فالله يقف إلى جانب السلطة الشرعية.

أ. مسؤوليّات الحكام من نحو الله (13:1-2)

تستمدّ الحكومة البشريّة سلطتها من الله. يوضح بولس أن الحكومات **(1) معيّنة من قبل الله**. ويقول: "لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ" (الآية 1). وقد أسّس الله الحكومات البشريّة بعد الطوفان عندما سلَّم نوحا سيف القاضي، وكانت الكلمات التي وجهت الإنسان في طريق الحكم الذاتي في ظلّ الله هي، "سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ" (تك 6:9). أعلى وظيفة للحكومة هي في (صلاحيتها) لإصدار حكم الإعدام القضائيّ، وهو الأمر المؤكّد عليه في القانون الإلهيّ، وتندرج تحته كل وظائف الحكومة الأخرى.

وسرعان ما فشلت الحكومة البشرية مثلها مثل أيّ شيء آخر عُهِد به للإنسان إذ صار سيفُ القاضي سيفَ الفاتح. وأثبت حق التشريع والحكم البشري نفسه بأنه خمرٌ مسكرة لجنسٍ بشريّ ساقط. وتبيّن قصة برج بابل كيف استخدم الإنسان سلطانه ليخطّط لتمرّدٍ منظّم ضد ذات عرش الله. فحتى ذلك الوقت كان التمرّد فردياً، أما الآن فقد أصبح فدرالياً؛ فأضحت أولّ "أمم متحدة" في العالم، بمقرّها بابل، ترمز لهيئة الأمم المتحدة الأخيرة. والفصلان 11 و12 من سفر التكوين يؤذنان مسبقاً بالفصول 13، 17-18 من سفر الرؤيا.

وعلى الرغم من إساءة استخدام السلطة الحكومية، تبقى الحكومة البشرية مؤسسة إلهية. "وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ." وكلمة "السلاطين" هنا تعني "السلطات المفوّضة" وتوحي كلمة "مرتّبة" إلى أنها "معيّنة". قد يتم انتخاب الأشرار للسلطة أو يستولون عليها بالقوة، وقد لا يفكّرون في الله البتة، ولكن حقيقة سماح الله لهم بالاستيلاء على مقاليد الحكم تعني أن لديه مقصداً يريد تحقيقه حتى وإن كان من خلال فساد حكمهم. هناك مقولة تستحق الاعتبار وهي "تحصل الشعوب على الحكومات التي يستحقّونها." فقد تكون الحكومات ضعيفة أو قوية، عادلة أو ظالمة، محسنة أو قاسية، حكيمة أو حمقاء، ولكن الله لديه على كلّ حال طريقه وهو يدفع خططه نحو الأمام. فالديمقراطيات والديكتاتوريات هي تحت سيطرته على حدٍ سواء. يوازن الله بين أمّة ضد أمة أخرى. ويستخدم أمةّ لتأديب أخرى. فالحكومات تأتي وتمضي، وتنشأ ممالك وتسقط، وتقوم إمبراطوريات وتدول ولكن الله وراءها جميعاً، وهو يسود على شؤون البشر. فالحروب وأخبار الحروب، والمجاعات والأوبئة، والضيقات والكوراث هي جميعها محبوكة في نسيج التاريخ. وقد تبدو الخيوط من وجهة نظرنا متشابكة، بلا معنى، ومعقودة بشكلٍ ميؤوس منه، ومجحفة وخاطئة. ولكن النسيج المرسوم الذي يحيكه الله كامل، وكل ضغوط القوى الشيطانية والخطيئة البشرية يسود الله عليها بجلالٍ، فهو كليّ القدرة وكليّ العلم. وما قاله جيمس راسل لويل عن الأفراد ينطبق تماماً على الأمم:

يبدو أنّ الإهمال هو المنتقم العظيم؛ وليست صفحات التاريخ سوى سجل
موت واحد- يتعارك في الظلام بين الأنظمة القديمة وكلمة الله
إن الحقيقة دائماً على المنصّة، والخطأ دائماً على العرش
ومع ذلك فإن تلك المنصة تؤرجح المستقبل، ووراء العتمة المجهولة
يقف الله في الظلّ مواظباً على مراقبة ما يخصُّه

إن أحد الدروس العظيمة التي نتلقنها من سفر دانيال هو أن الله يمسك التاريخ بقبضةٍ صارمة. كان على نبوخذنصّر، ملك بابل العظيم، أن يتعلّم "أَنَّ السَّمَاءَ سُلْطَانٌ" (دا 4:26). وحين أدرك هذه الحقيقة بعد اختبارٍ مريع، أصدر وثيقة رسميّة من الدولة مُقِرّاً فيها قائلاً، "بَارَكْتُ الْعَلِيَّ وَسَبَّحْتُ وَحَمَدْتُ الْحَيَّ إِلَى الأَبَدِ، الَّذِي سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ، وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ كَلاَ شَيْءَ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ، وَلاَ يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ؟»" (دا 4:34-35). والمقصود من كل تاريخ الكتاب المقدّس تعزيز هذه الحقيقة بأن "السَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ."

ويتابع بولس ليبيّن بأنّ الحكومات **(2) تمّت بمُوافَقة الله**. ويقول: "حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً" (الآية 2). فالعصيان على السلطة الحكومية هو عصيان

على الله والعاصي لا بدّ أن يُحاكَم. إن سيادة القانون تقاوِم حقَّ الفرد في تقرير أية قوانين هي صحيحة وأية قوانين هي خاطئة، وأن في وسعه إما الطاعة أو العصيان حسب ما يشاء. إن مثل هذه الفلسفة تقود إلى الفوضى، والشغب، والتفكك الوطنيّ. إذا كان القانون ظالماً فيجب أن يقاوَم من خلال القنوات القانونية وليس باتخاذ موقف العصيان.

ومن حيث أن الحكومات معيّنة من قبل الله فالواجب إطاعتها. ومن ناحيةٍ أخرى، على الذين هم في مراكز الحكومة أن يدركوا حقيقة أن سلطتهم مستمدة من الله. فهم غير معيّنين لشغل المناصب العامة من أجل تعزيز مصالحهم الأنانية الخاصة، بل إنهم في هذه المناصب لتمثيل حكم الله على الأرض. ولذلك عليهم أن يعترفوا (بسلطان) الله لدى إدارتهم الشؤون الوطنية. يجب عليهم التمسّك بمبادئ البرّ الإلهية والامتناع عن التشريع الذي من شأنه أن يقوّض حق الفرد في عبادة الله وفقاً لما يمليه عليه ضميره. ومما له دلالته أن المثل الأعلى الإلهيّ للملك في العهد القديم كان راعياً.

ب. مسؤوليات الحكّام الحكومية (13:3-6)

إنّ المسؤوليات الرئيسة للحكومة هي ذات شقين- صيانة الأمة ضدّ جميع أشكال الخروج عن القانون، والمحافظة على توافر فائضها المالي. وسيناقش بولس وظيفتَيْ الحكومة هاتين.

الحكومات هي: **(1) مسؤولة عن السلامة الوطنيّة**. وهذا يعني أن عليها(أ) **حماية المجتمع**. هناك طريقتان تسعفان على إنجاز ذلك، الأولى ذات طابع سلبيّ، والأخرى ذات طابع إيجابيّ. الطريقة السلبية هي **مقاومة** العناصر الإجرامية في المجتمع؛ والطريقة الإيجابية هي **مكافأة** أعضاء المجتمع ذوي الوجدان الصالح. ويحدّد بولس أولهما بالتأكيد بأنّ، "الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟" (الآية 3أ). والأشخاص الوحيدون الذين ينبغي أن يعيشوا بخوفٍ من ممثّلي القانون هم الذين ينتهكون حرمة القانون.

إننا نعيش في أيامٍ أصبحت فيها كلمة الله مهملة إلى حدٍ كبير بما يتعلق بالحكومات، حتى في الدول المسيحية بالاسم. ولذلك من المهم أن نولي اهتماماً لما تقوله هذه الآيات وغيرها في الكتاب المقدّس بما يختص باستباحة القانون والعمل على تطبيقه.

يعلّمنا الكتاب المقدس أن الأيام الأخيرة ستتميّز بالخروج عن القانون. قال يسوع في خطابه النبويّ العظيم، "وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ [الخروج عن القانون] تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ" (مت 12:24). ويذكر الدكتور ويلبر إم سميث أن هناك أربع كلمات في اللغة اليونانية تُستخدَم في العهد الجديد لوصف هيجان العاطفة والخروج عن القانون. ودراسة هذه الكلمات تساعدنا على إدراك مدى ضرورة أن تكون لدى الدول حكومات قوية مكرّسة لحماية المجتمع من التعبير الحرّ عن انفعالات الإنسان الجنائية.

الكلمة الأولى هي ‘كوموس’ (المترجمة "بَطَر" في غل 19:5-21). ووفقا لرئيس الأساقفة تِرنْش، تُستخدَم كلمة كوموس لوصف فرقة من المعربدين السكارى الذين في ختام عربدتهم كانوا يتجوَّلون في الشوارع وعلى رؤوسهم أكاليل وفي أيديهم مشاعل، وهم يصيحون ويغنّون ويصبّون إهاناتهم وغضبهم الوحشيّ على كلِ إنسان يلتقون به."يا لها من صورةٍ حية!

لقد عاش في كلّ جيل أشخاصٌ غريبو الأطوار على هامش المجتمع المحترم تماماً كما يعيش بيننا اليوم البيتنكس والهيبيّون والمهلوسون. لكن بولس لا يخصّص استخدام كلمة كوموس لمثل هؤلاء وإنما يستخدمها ليصف طبيعة القلب البشري الأثيمة بشكلٍ عام. هناك نزعة لدى جميع الناس نحو هذا "البطر"،

فليس من المفاجيء إذا أن نجد الملايين من المواطنين "المحترمين" يبحثون عن مهربٍ من ضغوط العصر ومشاكله المخيفة في ضروب محظورة من المتعة.

الكلمة الثانية التي أوردها الدكتور سميث لاستباحة القانون هي "إكثرا"، وهي كلمة يونانية تترجم عادة "كراهية"، أو بتعبيرٍ أدق، "عداوة". وبحسب مرجع ثقة يقتبسه الدكتور سميث، عَرَفَ العالم القديم ثلاثة أنواع من العداوة. كانت هناك عداوة بين طبقة وطبقة من الناس، وبين الفقراء والأغنياء. وكانت هناك عداوة بين اليونانيّين والبرابرة، العداوة العرقية. وكانت هناك عداوة بين الإنسان والإنسان. وهذه العداوات ما برحت تزدهر اليوم في قرننا المستنير كما كانت تزدهر في أيام بولس.

والكلمة الثالثة لاستباحة القانون الواردة في العهد الجديد هي "أسوتيا"، ومعناها "المتحرر من كل قيد". واستخدمت في إنجيل لوقا 15 لوصف الابن الضال الذي قيل لنا عنه إنه بذّر ماله بعيشٍ "مسرف" فقد بذّر ببساطة كل شيء، وهذه هي قوة الكلمة. لم يكن لديه أي انضباط وأي اعتبار للعفّة وأي تفكير في المستقبل.

الكلمة الرابعة هي أنوميا ومعناها "خارج عن القانون" أو يمكن تأويلها بـ "الازدراء بالقانون". وهذه الكلمة هي الأقرب في المعنى للموضوع الوارد في رومية 13. وهي ذات الكلمة التي استخدمها الربّ في متى 12:24 عندما تكلّم عن الإثم الذي سيكثر جداً على الأرض قبيل مجيئه.

تأمّل في هذه الإحصاءات الواقعية في الولايات المتحدة وحدها (كما وردت لدى تأليف هذا الكتاب) وفقاً لمكتب التحقيقات الفدراليّ، إن ما يقارب من 3,25 مليون جريمة خطيرة ارتكبت في الولايات المتحدة في العام 1966 ومن جملتها 11000 جريمة قتل. وفي خلال ست سنوات (1960-1966) ازدادت نسبة الجرائم سبعة أضعاف بالنسبة لتكاثر السكان في تلك الفترة. فقد ازداد عدد السكان بنسبة 9 في المئة، بينما ارتفعت نسبة الجريمة بمعدل 62 في المئة، وبلغت تكلفة محاربة الجريمة في البلاد أعلى مستوى على الإطلاق إذ قدرت بنحو عشرين مليار دولار في السنة.

يبدو أن انهيار الأخلاق وعدم احترام القانون قد اعتريا كل مناحي الحياة. فالجيل الذي نبذ الكتاب المقدس كقاعدة للحياة، يدفع الآن جزاء حماقته بتصاعد مدِّ الجريمة. وحيثما نلتفت نرى الانغماس نفسه في الشهوة والإباحية.

إنّ أسوأ مظهر في التعدي الحديث على القانون هو ما صار يعرف باسم "الجريمة المشتركة". يقول بيلي غراهام، "ينبغي الشعور بالصدمة لأن الجريمة المنظّمة في كثيرٍ من البلدان تمثل أكبر العمليات التجارية. وفي الواقع، منذ مدة وجيزة، تفاخر عَرَضاً أحد المبتزّين الرائدين في أميركا قائلاً: 'الجريمة المنظّمة هي أكبر من حكومة الولايات المتحدة'. فما تحصّله الجريمة من دخلٍ يقارب 10 بالمئة من الدخل القومي الأمريكيّ، ويشكل عملياً دولة داخل دولة .... والجريمة المنظمة، بما فيها من تجمّعات وتنظيم سريّ وابتزاز ومافيا، تسيطر تقريباً على بعض المدن الرئيسة في العالم. وبالإضافة إلى ذلك، هناك الجريمة غير المنظّمة وهي تتسم بالمقدار نفسه من السوء إن لم يكن أسوأ. تزداد الجريمة بتسارعٍ كبير حتى إننا الآن قريبون من التمرّد والفوضى العلنيّين."

إن الحكومات مسؤولة أمام الله لحماية المجتمع عن طريق مقاومة أفراد المجتمع الذين يخالفون القوانين. عليها أن تكون "خوفاً للأعمال...الشريرة"، كما يصوغها بولس. ينبغي على كل مسيحيّ أن يقف إلى جانب القانون والنظام، وأن يقدّم دعمه المخلص الكامل للمسؤولين عن السلامة الوطنية. يجب على المسيحيّ ألا يلجأ البتة إلى العصيان المدني. عليه احترام القانون والمساعدة على تطبيقه.

يقول إدغار هوڤر، "إنّ الحقيقة المؤسفة هي أنّ الكثير من المواطنين أصبحوا غير مكترثين كلياً بشأن سلامة إخوتهم المواطنين ومصلحتهم. تقع العديد من الاعتداءات الشرسة على مرأى ومسمع أفراد يفتقرون إلى الشجاعة لمساعدة الضحية شخصياً، أو االاهتمام في طلب المساعدة. وبكل بساطة لا يوجد عددٌ كافٍ من رجال الشرطة للقيام بدوريات في كل شوارع أميركا وحدائقها العامة؛ ولذلك ينبغي أن يعتمد تنفيذ القانون على المواطنين في التبليغ عن مثيري الشغب المحتملين ومناطق الخطر".

يمكن أن نضيف لهذه الكلمات تحذير رئيس شرطة الخيالة الملكية الكندية، المتقاعد ماكميلان: "إن ظاهرة العداء العلنيّ نحو الشرطة قد بلغت مستوياتٍ وبائية في جميع أنحاء العالم، وليس في تلك البلدان التي اعتدنا على تسميتها بالبلدان المتخلفة فقط، ولكن في البلدان التي كانت ولا تزال تعتبر من أكثر البلدان تحضّراً في العالم."

إن من واجب وكالات تنفيذ القانون في الأمة حماية المجتمع، ومن واجب كل مسيحيّ أن يطيع قوانين البلاد وبذلك يطيع قانون الله. وعلى الحكومة، في وظيفتها المتمثّلة بحماية المجتمع، لا أن تقاوم أفراد المجتمع المخالفين للقانون فحسب، ولكن أن تبدي تقديرها لأفراد المجتمع البارزين، ولا سيما الصالحين منهم. يقول بولس، "افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ!" (13:3ب-4أ). فمن الحق والمناسب أنّ يحظى الذين يقدمون الخدمة العامة المتميزة بالتقدير العلني. فكل أمةٌ تكرم مواطنيها العظماء والموهوبين. والأمة الحكيمة تكرم أيضاً مواطنيها الصالحين.

ولكن سواء حظوا بالتقدير أم لا، فإن على أعضاء المجتمع المسيحيّ أن ينكبُّوا على فعل الخير. يهمل العديد من المسيحيين ما ينطوي عليه الإنجيل من تطبيقات اجتماعية لأنهم لا يريدون أن يُتَّهموا بأنهم متمسكون بما يدعى "بالإنجيل الاجتماعي. ومن حيث أن الإنجيل الاجتماعي يركز على الجهد البشريّ كوسيلة للخلاص فإنه، بالطبع، ليس إنجيلاً البتة. فالواعظ الليبراليّ يضع العربة أمام الحصان، ويظنّ أن الأعمال الصالحة يسفر عنها خلاص، ويخفق في رؤية أن الخلاص هو الذي تسفر عنه أعمالاً صالحة. وللأسف فإن مسيحيين كثيرين ممن أدركوا الحقيقة الأولى أخفقوا في استيعاب الثانية. فبعد أن قال بولس عن الخلاص إنه، "لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" فإنه يتابع قوله، "لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أف 2:9-10). يكتب بولس مرة أخرى إلى أهل فيلبي في سياق الموضوع نفسه قائلاً، " تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ" (في 2:12-13). ومكتوب عن الرب يسوع أنه "جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا" (أع 10:38). فأي مثال أعلى يمكن أن أن نحصل عليه أفضل من ذلك؟

ليست الحكومات مسؤولة عن حماية المجتمع فحسب، وإنما عليها أيضا أن **(ب) تعاقب المجرم**. يتابع بولس قوله، "وَلكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. لِذلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ، لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ" (الآيتان 4ب-5). كان قضاة المحافظات الرومان في أيام بولس يحملون سيفاً. وكان هذا السيف يُحمَل أمام القاضي في المواكب العامة باعتباره رمزاً لحقّه في إنزال عقوبة الموت. ويقال إن الإمبراطور تراجان قدّم ذات مرة سيفاً لحاكم أحد الأقاليم عندما باشر وظيفته في مجال خدمته. وعلى السيف حُفِرت الكلمات، "إنه **لي**، وإن كنت أستحقه **فليطعنّي**".

ولكن يبدو أن (التقليعة) الحديثة تنحو نحو تدليل المجرم بدلاً من معاقبته. وعلى سبيل المثال، تمَّ إعدام مجرمٌ واحدٌ فقط في الولايات المتحدة في العام 1966 بالمقارنةً مع 199 أعدموا عام 1935. وتسعى الولايات، الواحدة تلو الأخرى، إلى إلغاء عقوبة الإعدام. هناك حجج كثيرة يتذرَّع بها الإنسانيّون الذين

يعتقدون أن عقوبة الإعدام عملٌ همجيّ. ويزعمون أنّ عقوبة الإعدام هي "غير إنسانية ولا تليق بمجتمعٍ متحضّر"، ولا جدوى منها كرادعٍ. ويجادل حتى بعض واضعي القوانين بأن المجتمع يفقد في الحقيقة أكثر مما يكسب عندما ينفذ حكم الإعدام بحق إنسان، ويتخذون كدليل المجرمين الذين أعيد تأهيلهم. ويحاجُّون أيضاً أنّ القانون ليس معصوماً عن الخطأ، وأنه من الممكن دائماً إعدام إنسان بريء خطأ. ويدَّعون أنّ أكثر الجرائم خطورة يرتكبها أولئك الذين يعانون من أمراض عقلية أو ذوي الطباع المتهورة. وثمة من يجادل أن الذين يلقون حكم الإعدام بسبب الجرائم الكبيرة هم عادة الفقراء والجهال والتعساء. ويُقال إن السجن مدى الحياة كاف لحماية المجتمع من خطر القتل. وتُستخدم جميع هذه الحجج لصالح إلغاء عقوبة الإعدام، إلا أن كلها تُغفِل القضية الأساسية-قدسيّة حياة الإنسان في عيني الله. إنه قرار إلهيّ لم يُلغَ أبداً وفحواه أن من يقتل شخصاً آخر، ينبغي على المجرم أن يدفع الثمن بذات حياته. وعندما تتوافر جميع الحقائق يبدو أن الحلول العصريّة لمشكلة الجريمة لم تُجْدِ نفعاً.

يتّفق العهدان القديم والجديد على أنّ على القضاة أن "يحملوا السيف". ووصف مثل هذا القانون "بالهمجية" هو تهجم على السلطة وعصمة الكتاب المقدس. فالمجتمع في وضعه لقوانين الله جانباً لا يجني سوى الخطر على نفسه- كما نراه اليوم في أميركا. وعلى سبيل المثال، فمن بين الآلاف الذين يُعتقلون في السجون بسبب أعمال الشغب العرقيّ، يخلى سبيل معظمهم شريطة أن يكونوا تحت فترة مراقبة، أو يعاقبون بالسجن لمدة قصيرة. وقلة هم الذين يزجون بالسجن (لفتر طويلة). لذلك فإن أعمال الشغب العرقية تتزايد في شتى بقاع الأرض.

إن بعض المواطنين البارزين يجدون في التساهل في التعامل مع مشكلة الجريمة خطراً. وقد عبّر الرئيس السابق دوايت دي إيزنهاور تعبيراً قوياً عما يفكر فيه عن اتجاهات اليوم بشأن الجريمة والعقاب. وقال: "يشير رجال الشرطة إلى انخفاض معدل الإدانات الجنائية بينما يزداد ارتفاع معدل الجريمة نفسها؛ وتنشغل المحاكم جداً في الشكليات القانونيّة حتى إنها تترك المجرمين يسيبون أحراراً في الشوارع؛ وإدارات الشرطة ينقصها العاملين في كل مكان تقريباً؛ وغالباً ما تكون رواتب الشرطة أقل من رواتب سائقي الحافلات؛ وعدد المواطنين المتزايد الذين يفترضون أنّ لديهم الحق في أن يقرّروا أية قوانين يطيعون وأية قوانين يرفضون، في تزايد.

"أعتقد أننا كشعب ينبغي أن نخجل بشدةٍ من كل هذا .... ولا زلت أعتقد اعتقاداً راسخاً بأن بلدنا هو أفضل بلد على وجه الأرض. ولكن اليوم يبدو أننا نغرق في حقبة من الخروج عن القانون، والتي لن تقود في النهاية إلا إلى الفوضى. والفوضى تدمّر الأمم .... كل هذا لا يعني، بالطبع، أننا قد تحولنا إلى أمةٍ من المجرمين، إنما يعني أن هناك خطأ خطيراً في مواقفنا العامة والخاصة تجاه القانون والنظام. ولعل المشكلة الأساسية هي اللامبالاة، بالإضافة إلى إهمال بعض المبادئ الأخلاقية الأساسية."

إن الكتاب المقدس يؤيد، كما رأينا، حقّ الحكومات في حماية المجتمع ومعاقبة المجرم. وعلى العقوبة أن تتناسب مع مستوى الجريمة. وعقوبة الإعدام حقٌ وهي عقوبة سليمة بسبب قدسيّة الحياة البشريّة. يؤكّد بولس من جديد أن مبدأ العهد القديم في هذا المقطع الذي نتدارسه لم يغيّر قلب الإنسان عبر القرون، فهو ما برح خارجاً على القانون ومتمرداً في يومنا هذا تماماً كما كان العهد به في أيام بولس ونوح وقايين. وخلال العصر الذهبيّ للحكم الألفيّ القادم، عندما يسود يسوع من النهر إلى أقاصي الأرض، ستتميّز حكومته بالتأديب الصارم وسرعة تطبيق العدالة. ويقال لنا بصريح العبارة إنه سوف يحكم الأمم "بِقَضيبٍ مِنْ حَديدٍ" (مز 9:2). و"قضيب الحديد" هذا هو رمزٌ مناسب لسلطته التي لا يعتريها وهن.

ليست الحكومات مسؤولة عن السلامة الوطنية فقط، بل هي أيضاً **(2) مسؤولة عن الإيفاء بالتعهدات المالية الوطنية**. يقول بولس، "فَإِنَّكُمْ لأَجْلِ هذَا تُوفُونَ الْجِزْيَةَ أَيْضًا، إِذْ هُمْ خُدَّامُ اللهِ مُواظِبُونَ عَلَى ذلِكَ بِعَيْنِهِ" (الآية 6). لا أحد يحب دفع الضرائب! ومع ذلك، يتعيّن على الحكومات أن تدفع رواتب موظّفيها،

كما أن جميع الخدمات التي تقدّمها الحكومة للمواطنين تكلّف مالاً. وبالتالي، يصبح من المنطق لقاء هذه الخدمات أن يقوم المستفيدون منها بدفع نفقاتها عن طريق الضرائب.

ومن المثير للاهتمام أن لفظة "خُدَّام" المستخدمة هنا هي الكلمة التي تُشتق منها عبارة "الطقوس الدينية". وتشير هذه الكلمة في عبرانيين 2:8 إلى واجب الكهنة المقدس في الهيكل في أورشليم؛ كما تُستخدَم أيضاً في عبرانيين 14:1 في وصف واجبات الملائكة. ويتضح من استخدام هذه الكلمة هنا أنّ الحكام يؤدّون واجباً عيَّنَهُ الله. وفي يوم وعصرٍ أصبحت فيهما السخرية من السلطة الحكومية أمراً مألوفاً، أضحى الوقت مناسباً لكي نذكّر أنفسنا بأن الحكّام الشرعيين هم "خدّام الله". وبالطبع ليس كل الحكام يخدمون الله بضميرٍ صالح، ولكن بغض النظر إن كانوا يفعلون ذلك أم لا، فإنهم موكّلون بتنفيذ مهامٍ عيّنها الله لهم.

ثانياً. حقوق قادة الأمة (7:13)

إن الذين يشغلون مواقع المسؤولية في الأمة يستحقّون تأييد من يحكمونهم. وفي الآية الختامية يجمع بولس خيوط حججه ويدعو المؤمنين ليقفوا بثبات إلى جانب سلطاتهم االشرعية.

أ. حقّهم في دعمنا الماليّ (7:13)

كان بولس قد انتهى لتوه من القول بأن الحكام مسؤولون عن الإيفاء بالتعهدات المالية الوطنية. وها هو الآن يقول للمؤمنين، "أَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمُ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ." كانت **الجزية** بصورة خاصة، كناية عن ضريبةٍ سنوية تُدفَع عن الأشخاص أو العقارات. وهي مماثلة لضرائب الدخل والعقارات. يا له من عار عندما يلجأ المؤمن إلى الغش عند تقديم تقرير ضرائب الدخل! يخبرنا بولس أن علينا أن ندفع الضرائب. ووفقاً لما يقوله ألفورد، "يذكر ترتليان أن ما خسره الرومان من المسيحيّين الذين رفضوا منح الهدايا لمعابد (الرومان) كسبوه مما دفعوه من ضرائب وفقاً لضمائرهم."[12] أما **الجباية** فكانت الضريبة غير المباشرة المفروضة على السلع. وهي مماثلة للضرائب التي ندفعها عن المبيعات؛ وعلى المسيحيّ أن يدفعها بفرح! كان العشّارون في أيام بولس يجبون كلا النوعين من الضرائب. وكانت هناك انتهاكات صارخة في النظام الضريبيّ، لدرجة أن العشارين كانوا أكثر الناس عرضة للكراهية في البلاد. إن بولس لا يبحث هنا في قضية الحق والباطل في النظام الضريبي، لكنّه، ببساطة، يقول للمسيحيّين إن قادة الأمة لهم الحق في الدعم الماليّ؛ وبالتالي عليهم أن يدفعوا لهم ضرائبهم.

ب. حقهم في دعمنا المعنوي (7:13)

من الممكن طاعة نص القانون وليس روحه. لذلك يطالب بولس المسيحيّين، بالإضافة إلى دعمهم لحكومتهم، أن "...أَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمُ: ... الْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ". الخوف هو إبداء الاحترام الضميري والمهابة لمن هم في موقع السلطة، وهو موقف بالتأكيد ليس جلياً اليوم على العموم. ينبغي تقديم الإكرام لمن أقيموا في منصب الرئاسة علينا، ولا سيما أيضاً الذين منحتهم الدولة امتيازاً خاصاً. إن التكلّم بالشر على ذوي المقامات الرفيعة ليس جزءاً من دعوة المسيحي (يهوذا 8-10)

ربما يجدر أن نكرّر هنا أن إمبراطور روما عندما كتب بولس هذه الكلمات لم يكن سوى نيرون السيّئ السمعة. فقد استمرّت حكومة الإمبراطورية الرومانية لسنواتٍ عديدة في أيدي مجموعة من القياصرة الذين كانت حياتهم الخاصة فضيحة علنية، كما كان تطبيقهم للعدل مشيناً لمدة طويلة في تاريخ روما. وحتى قراءة عابرة لمؤلفات سوتونيوس تكشف عن هذا الواقع. وفضلاً عن ذلك كله، كان بولس يهودياً. وقد اختبرَ في الأيام التي عاشها قبل اهتدائه عنفوان الكراهية للسلطة المستعمرة الأجنبيّة، الأمر الذي كان يتأجّج في قلب كل عبرانيّ مما قاد الشعب بعد فترةٍ وجيزة لانتفاضةٍ عظيمة وحاسمة ضدّ روما. ولكن بولس لم يسمح

للتحليل المنطقي بأن يضعف من موقفه. فالله هو الذي يفرض هذه المسؤوليات على الحكومات وعليهم أن يقدموا له حساباً عنها. لذلك، ينبغي أن يقدّم المسيحيون دعمهم الطوعي للحكومات التي عيّنها الله والتي يعيشون في ظلّها.

ضمير المحبّة الأخلاقي
13:8-14

أولا. وصايا الرب (13:8-10)
أ. دين المحبة (13:8)
ب. واجب المحبة (13:9)
ج.. رغبة المحبة (13:10)
ثانيا. مجيء الرب (13:11-14)
أ. ينبغي أن نترقّب ساهرين (13:11)
1. نحن عارفون قرب مجيء المسيح
2. نحن نتأثّر من قرب مجيء المسيح
ب. ينبغي أن نحارب مجاهدين (13:12)
1. عمل الدفاع ("لنَخْلعْ")
2. عمل الاتكال ("لنلْبسْ")
ج. ينبغي أن نسلك مبرّرين (13:13)
1. الطريقة الصحيحة
2. الطريقة الخاطئة
د. ينبغي أن ننتظر منتصرين (13:14)
1. ما هو مباح
2. ما هو محظور

كان بولس يناقش القوانين التي تحكم العلاقات المختلفة في حياة المسيحيّ. وهو الآن يحوّل انتباهه إلى أسمى النواميس كلها، أي ناموس المحبة، ويبيّن كيف أن المحبة تسود بتفوقٍ في قلب المؤمن، وتشرِّع لكل قضية من قضايا الحياة. ويبدأ هذا المقطع بالحديث عن ضمير المحبة الأخلاقي. فالمحبة تجعل الضمير أشد رقة مما في وسع الناموس أن يفعله.

أولاً. وصايا الرب (13:8-10)

إنّ المسيحي يحفظ الوصايا لا لأنها وصايا **الناموس** بل لأنها وصايا **الربّ**. ومحبة الرب تنجز ما لا يستطيع الخوف من الناموس أن يحققه أبداً. يقول الربّ يسوع، "اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي" (يوحنا 14:21). ولهذا ثلاثة جوانب شاملة بالكامل.

أ. دَين المحبة (13:8)

دَين المحبة دَينٌ كبير. يقول بولس: "لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ" (الآية 8). إن المحبة تجعل مصالح الدائن نصب عيني المديون دائماً. لا يمنع هذا المبدأ المسيحيّ من الدخول في اتفاقٍ تعاقدي يحصل فيه على قرضٍ ملزم سليم، لكنه يمنع المسيحيّ من اقتراض مالٍ يعجز عن سداده. ومن السهل جداً في أيامنا هذه تكويم الديون التي ترهق الدخل إلى درجة

الانهيار. على المسيحي أن يتجنّب مثل هذا الأمر، فشراء أكثر مما يستطيع المرء أن يدفع ثمنه، وجعل الدائن ينتظر أمواله هو أمرٌ غير نزيه ومماثل تماماً للسرقة. ولا شيء يدمّر شهادة المسيحي بشكل أسرع من المديونية المزمنة.

الحب يمسّ ضمير المسيحيّ ويجعله حريصاً على العيش فوق الشبهات بما يتعلق بقضية المال هذه. توضح قصة زكا هذا الأمر. فما أن تلاقى جابي الضرائب غير النزيه مع الرب يسوع وجهاً لوجه، حتى صرّح قائلاً، "هَا أَنَا يَارَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهذَا الْبَيْتِ" (لوقا 19:8-9). ولم يخلص زكا لأنه أراد أن ينظّم شؤونه المالية وإنما أراد أن ينظّم شؤونه المالية لأنه قد أصبح مخلَّصاً. فعلاقته الشخصية مع الرب يسوع ربحت قلبه وأحيت ضميره.

"لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ". إن هذا الأمر يتجاوز مصالح الدائن ويشمل كل التزامٍ آخر. يجب اعتبار أي تعهّد أو وعد مقدّسين، وينبغي الوفاء بهما مهما صار ذلك فيما بعد مزعجاً أو غير مناسب. سأل داود مرة، "يَا رَبُّ، مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ " وكان الجواب، "الذي...يَحْلِفُ لِلضَّرَرِ وَلاَ يُغَيِّرُ" (مز 15:1، 3-4). وقال سليمان مسهباً في الموضوع، "إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالْجُهَّالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ. أَنْ لاَ تَنْذُرُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ" (جا 5:4-5).

وفي حين أنّ الديون الأخرى يمكن دفعها والتخلص منها إلا أن دين المحبة هو دائماً قائم. وأية دفعة دين نؤديها لن تحررنا من مديونيّتنا المستمرة. "لاَ تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا". وهذا هو السبب في الجواب الرائع الذي قدّمه الرب لبطرس عندما طرح السؤال، "يَارَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟" وأجابه الربّ، "لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ" (مت 18:21-22). فبعد أن يكون بطرس قد غفر لأخيه سبع مرات، فإنه لم يكن قد بدأ بعد في تسديد دين المحبة الذي عليه. عليه أن يغفر ويغفر مدركاً أن محبة الله هي نظير ذلك. إن دين المحبة كبير.

ب. واجب المحبّة (13:9)

المحبّة تكمّل الناموس كما يستطرد بولس لإثبات ذلك، "لأَنَّ «لاَ تَزْنِ، لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ، لاَ تَشْتَهِ»، وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى، هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هذِهِ الْكَلِمَةِ:«أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»" (الآية 9). يمكن تقسيم الوصايا العشر (خروج 20:1-17) إلى قسمين رئيسين. يركّز القسم الأول على العبارة، "الربّ إلهك" ويركّز القسم الثاني حول صيغة الأمر المباشر كمثل: لا تقتل، لا تزن إلخ. يلخّص القسم الأول واجبنا من نحو الله، أما الثاني فيلخّص واجبنا من نحو الإنسان. إن وصية إطاعة الوالدين ذات صلة بالوصايا المتعلقة بالله لأن الوالدين يمثّلان السلطة الإلهية لأولادهما. وفي كلّ قسمٍ من القسمين تتعامل الوصايا مع مجالات الفكر والقول والفعل. ويمكن تلخيص هذين القسمين كما يلي:

ا. الوصيتان 1 و2- الفكر
ب. الوصية 3- الكلمة
ج. الوصيتان 4 و5- العمل

وتدور كل من هذه الوصايا حول تعبير "الرب إلهك".

أ. الوصايا 6 و7 و8- العمل
ب. الوصية 9- الكلمة
ج. الوصية 10- الفكر

وتدور كل من هذه الوصايا حول الضمير "أنت".

لقد اختصر الرب يسوع الوصايا العشر باثنتين، مركّزاً على جوهر كل قسمٍ منهما، وجاعلاً التشديد على المحبة يحل محل الناموس. "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ" (مرقس 12:29-31). وأضاف يسوع، "بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ" (متى 22:40).

واجب المحبة هو طاعة الوصايا العشر ليس لأنه مأمورٌ بها تحت الناموس، لأن المسيحيّ ليس تحت الناموس بل تحت النعمة، ولكن لأنها عهد التزام المحبة الدائم من نحو الله والآخرين. يشدّد بولس على الوصايا الخمس الأخيرة لأنها تتناول واجب المحبة نحو البشر. عندما جاء الشاب الغنيّ إلى المسيح وأراد أن يعرف ماذا ينبغي أن يفعل لكي يرث الحياة الأبدية، اقتبس له الربّ يسوع ببساطةٍ هذه الوصايا الخمس. وعندما ادّعى الشاب بأنه قد حفظها كلّها منذ حداثته، بيّن له يسوع في جملةٍ واحدة أنه لم يفعلْ شيئاً من هذا القبيل. "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي" (مت 19:16-22). ومضى الشاب حزيناً لأنه "كَانَ ذَا أَمْوَال كَثِيرَةٍ". لقد اخترق سيفُ الرب ضميرَ الشاب وكشف في ومضةٍ أنه بالحقيقة لا يحبّ قريبه كما يحب نفسه.

إن الإنسان الذي يحب قريبه كنفسه لن ينجّس زوجة قريبه، ولن يقتل، ولن يسرق منه، ولن يروج إشاعات كاذبة عنه، ولن يطمع في أي شيءٍ لديه.

ج. رغبة المحبة (13:10)

رغبة المحبّة هي في السعي لخير الناس وإرضاء الله. " اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ" (الآية 10). ويشرح بولس في مقولته الكلاسيكية عن المحبة ما هي مواقفها. "الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوَءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا. وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ، وَالأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ" (1 كو 13:4-8).

كان المبدأ الأساسي للاقتصاد اليهوديّ هو الناموس. والمبدأ الأساسي للاقتصاد المسيحيّ هو المحبة. تخيل لو أن مثل هذه المحبة التي يصفها بولس قد تُسبَغ على القريب! لذا، لا عجب أن يقول بولس، "الْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ". فضمير المحبة الأخلاقي يكمّل الناموس، لا بسبب دينٍ أو واجب فقط ولكن بدافع الرغبة أيضاً.

ثانياً. مجيء الرب (13:11-14)

إنّ المحبة لا تدفع المسيحيّ إلى طاعة وصايا الرب فقط، ولكن إلى توقّع مجيئه أيضاً. والتعليم بمجيء الربّ الوشيك واحدٌ من أكثر المواضيع المفيدة في الكتاب المقدّس. "وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ" (1 يو 3:3). وعلى توقّع عودة الرب القريبة أن يكون حافزاً كبيراً لحياة مقدسة. يخبرنا بولس هنا عن أربعة أشياء نحتاج أن نعرفها ونفعلها في ضوء حقيقة احتمال مواجهتنا، في أية لحظة، لعودة الرب بالمجد.

أ. ينبغي أن نترقّب ساهرين (13:11)

يُطلَب منا في العهد الجديد بصورة متكررة أن نتوقّع مجيء الرب. "هذَا وَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ الْوَقْتَ، أَنَّهَا الآنَ سَاعَةٌ لِنَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ، فَإِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا" (الآية 11). يرد الخلاص في العهد الجديد في ثلاث صيغ فعلية. فبالنظر إلى **الماضي**، هو الخلاص من أجرة الخطية؛ وبالنظر إلى **الحاضر**، هو الخلاص من سلطة الخطية، وبالنظر إلى **المستقبل**، هو الخلاص من وجود الخطية. وهذه النظرة الأخيرة

هي التي كانت تجول في فكر بولس هنا. "إِنَّ خَلاَصَنَا الآنَ أَقْرَبُ مِمَّا كَانَ حِينَ آمَنَّا". وكما عبّر أحدهم عن ذلك، "في كل يوم ننصب خيمتنا نصبح أقرب من موطننا (السماوي) بيومٍ واحد."

ومن جرّاء مجيء الرب يسوع الوشيك، علينا أن نكون واعين "للوقت". أي ينبغي أن نعرف الموسم الذي نعيش فيه من حيث علاقته بعودة الرب؛ كما ينبغي أن نتأهّب لأهميّة الساعة. لقد انتظر القدّيسون بتشوّق عبر العصور عودة الربّ في حياتهم. وفي الواقع، كان الرسول بطرس الوحيد من الاثني عشر الذي لم يكن لديه "الرجاء المبارك". لقد عرف بأنه سيموت قبل مجيء الرب (يوحنا 21:18-19؛ 2 بط 1:14). وكذلك بولس، ففي الوقت الذي نوى فيه أن يكتب رسالته الثانية إلى تيموثاوس، عرف أنه سيقع ضحية لتعطش نيرون للدماء (2 تي 4:6-8). يتطلّع المسيحيّ، إلا في أحوال نادرة، إلى الاختطاف وليس إلى الموت. ينبغي أن نراقب بيقظة ونقرأ ما هي علامات الأوقات.

في أغلب عصور تاريخ الكنيسة، كانت هناك تياراتٌ على مدِّ الوقت بدا فيها للمترقّبين أن جيلهم قد يكون هو جيل مجيء المسيح. ربما ظن أولئك الذين عاشوا في أيام "سوط العرب" مثلاً، أو الذين عاشوا وسط أهوال الثورة الفرنسية وشاهدوا نهوض نابليون، أن هذه الأشياء تؤذن بعودة الرب. وفي الآونة الأخيرة أدى نهوض موسوليني المتألق بالبعض إلى استنتاج بأن الإمبراطورية الرومانية وُلِدت من جديد وأن يسوع سيظهر قريباً. ولكن في كل عصرٍ ماضٍ كانت قطعة أو أكثر من قطع الأحجية الحيوية مفقودة.

لكم تغيّرت الأشياء اليوم! قد لا يوجد أي مجال من مجالات الحق النبوي إلا ويشعّ بأضواء إنذاره لجيلنا. ويقولون إن الأحداث القادمة تلقي ظلالها قبل مجيئها. إذا كان الأمر كذلك، وإذا كانت الظلال الملقاة عبر العالم اليوم هي ما تبدو عليه حقاً، فإن كلّ شيء يشير إلى اقتراب عودة الرب. خذ على سبيل المثال رجوع إسرائيل إلى أرض الموعد؛ ووضع أورشليم؛ ونهوض روسيا ومناصرتها للقضية العربية؛ وانتشار الأيديولوجيات الإلحادية؛ وتقارب القوى الأوروبية، وارتداد الكنيسة البروتستانتية الاسمية؛ وتنامي نفوذ روما، والاتجاهات المسكونية العصرية؛ والخطوات السريعة للعلوم والتكنولوجيا؛ وإطلاق الطاقة النووية؛ وصحوة الصين؛ والأزمات ما بين سائر الأمم؛ وتنامي إمبراطورية الجريمة المشتركة، وتفشي الفوضى وتعدّي الناس على القانون. ينبغي على المؤمن أن يراقب بيقظة، لأن مجيء الرب يقترب حتى "نكاد نسمع صوت خطاه على عتبة الباب." "اِسْهَرُوا إِذًا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ. وَاعْلَمُوا هذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي السَّارِقُ، لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. لِذلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ، لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ" (متى 24:42-44).

ب. ينبغي أن نحارب مجاهدين (13:12)

وبالنظر إلى قرب عودة الرب يسوع وتأخر الساعة، ينبغي أن ننهض ونحارب العدو. فالمراقبة **ترصد** العدو، والصلاة **تحاربه**. "قَدْ تَنَاهَى اللَّيْلُ وَتَقَارَبَ النَّهَارُ، فَلْنَخْلَعْ أَعْمَالَ الظُّلْمَةِ وَنَلْبَسْ أَسْلِحَةَ النُّورِ" (الآية 12). ويشير كل من "الخلع" و"اللبس" في كلتا الحالتين إلى عمل محدّد وكامل. تخيّل شاباً يحضر إلى مقر قيادة الجيش ليثبت وجوده لأداء واجبه. فهو يرتدي ثيابه المدنيّة، ويوقّع الأوراق التي تجعله رسمياً عضواً في القوات المسلّحة، ويُعطى الزي العسكري الكامل. وتصطفّ سرية المجندين الجدد في الصباح التالي في منطقة الاستعراض لإجراء التفتيش الأوليّ. ويظهر جميع المجنّدين في كامل أزيائهم العسكرية باستثناء صديقنا الذي لبس سرواله الكاكي مع سترة رياضيّة، وقميص أبيض، وربطة عنق خضراء! لا ريب أن الرقيب الأول سيسرع بالتخلص منه! فحالما يصبح المرء مجنداً في الجيش عليه أن

يتخلّص مرة وإلى الأبد، بصورة جذرية وكاملة من الثياب القديمة؛ ويتخلى بعملٍ حاسم وكاملٍ عن ثيابه المدنية، ويرتدي بزّته العسكرية. ومنذئذ تصبح هويته معروفة بفضل ثيابه.

وهذا هو الشيء ذاته الذي يجول في خاطر بولس هنا. على المؤمن، لأنه مخلَّص، أن يخلع بشكل متعمد وحاسم "أعمال الظلمة" بقوة الروح القدس الساكنة فيه، أي كل تلك العادات التي كانت تميّزه كغير مؤمن. وينبغي عليه أن يلبس عوضاً عنها "أسلحة النور"، وهكذا يخرج إلى المعركة مدججاً بالسلاح ضدّ "وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ" (أفسس 6:12-17).

ج. ينبغي أن نسلك مبرّرين (13:13)

يخبرنا بولس عن الطريق الصحيح والطريق الخاطئ "للسلوك". وبالمصادفة، إن لفظة "سلوك"، لها علاقة مع حياة المسيحيّ الخارجيّة التي يراها الناس. الطريق **الصحيح** هو السلوك "بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ" (الآية 13أ). قال بولس لأهل تسالونيكي إننا جميعاً "أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ" (1 تس 5:5). على سلوك المسيحيّ أن يكون بلا لوم بحيث لا يجد أحدٌ خطأ ما فيه. وكلمة "لياقة" هي "ملاءمة". وهذا ما يذكّرنا بمؤسّسة للتنظيف الجاف التي أعلنت عن خدماتها بهذه الدعاية، "إذا لم تكن ثيابك ملائمة لك فينبغي أن تحضرها لنا!" هل سلوكنا ملائم لنا كمؤمنين؟ هل يمكننا أن نحتمل نور النهار الساطع وهو يتسلّط على سلوكنا؟ هل نعيش فوق الشبهات؟ إن ضمير المحبة الأخلاقي الذي تحييه فكرة مجيء الرب سيضمن لنا هذا بالتأكيد.

ثم يحدّد بولس طريقة السلوك الخاطئة. "لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ" (الآية 13ب). كانت هذه الخطايا شائعة من قبل في حياة كثير من الذين هداهم بولس من أصلٍ وثنيّ وخلصوا من عمق الخطيئة التي كانوا يعيشون فيها. وكان عليهم أن يتأكّدوا من أنّ هذه الخطايا لم تتسلّلْ من جديدٍ إلى حياتهم بعد أن خلصوا. كان بولس إنساناً واقعياً، وعرف جيداً ما تحتفظ به الطبيعة القديمة من معاقل الظلام في قلب أي مؤمن، وما تكنُّه الشهوات البغيضة في ظلال النفس؛ فهي تنتظر اللحظة المواتية لتنقضّ عليها بقوة مروّعة. والتحذير المسبق هو استعداد تسلّح مسبق، فعلى المؤمن أن يسلك باستقامة قاطعاً بسيف الروح ذات فكر الخطيئة.

د. ينبغي أن ننتظر منتصرين (14:13)

وإذ نسعى أن نجعل أوامر بولس العملية هذه حقيقة في حياتنا، تضحي كل واحدة منها أمراً ملحّاً بسبب عودة الرب يسوع الوشيكة، علينا أن نتنبه لما هو مسموح لنا به وما هو محظور علينا. "بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ" (الآية 14).

عندما "يلبس" المسيحيّ الرب يسوع فهو يلبس، إن جاز التعبير، كل ما هو عليه المسيح (من صفات).

يا لبره الكامل،
هذا الثوب النقيّ الجميل
الذي يرتديه قدّيسوه دائماً

وبالطبع هناك مغزى في لبسنا للرب يسوع عندما خلصنا، ولكن علينا الآن أن نلبسه في سلوكنا. فهو الثوب الأخلاقيّ الذي نرتديه، والثوب الذي يعرض صفات المسيح.

وتمشياً مع هذا، ينبغي ألا نصنع أيّ تدبير للجسد، وألا نفكرّ بكيفية إشباع رغباته الشريرة. فللجسد شهوات لامتناهية يودّ الانغماس فيها. ولا تنطوي لفظة "جسد" على شهوات فادحة فقط بل أيضاً على مواقف

جسدية تبدو نقيّة. ينبغي استنكارها كلها؛ وألا يُصنَع أي تدبير لأيٍ منها. وبينما نحن نتوقّع عودة الرب علينا أن ننتظر منتصرين. فإذا سمحنا للروح القدس بأن يدع كلمة الله تترك أثرها على حياتنا، فإن ضمير المحبة الأخلاقيّ سيجعلنا أكثر حساسية للأشياء التي تخجلنا عند مجيء الربّ.

سلوك المحبة الرحيم

7:15-1:14

أولا. قبول الأخ الضعيف (9-1:14)
أ. ينبغي قبوله بثقة (1:14)
ب. ينبغي قبوله مع مراعاة شعور (9-2:14)
1. التطابق ليس أمراً ضرورياً (5-2:14)
أ. مسألة **النظام الغذائي** تسمح بحرية في موقف الفرد الديني **الشخصيّ** (4-2:14)
ب. مسألة **الأيام** تسمح بحرية في موقف الفرد الدينيّ **العلنيّ** (5:14)
2. الوحدة ليست مستحيلة (9-6:14)
أ. ربوبية المسيح توحّدنا في **هذه** الحياة (7-6:14)
ب. ربوبية المسيح توحّدنا في **تلك** الحياة (9-8:14)
ثانيا. اتّهام الأخ الضعيف (13-10:14)
أ. تحدٍ بقساوة (12-10:14)
1. مجرد من الهدف (10:14أ)
2. . يتسم بالوقاحة (10:14ب-12)
ب. موجَّه بصورة ملائمة (13:14)
ثالثا. رحابة الصدر مع الأخ الضعيف (7:15-14:14)
أ. إظهار روح المحبة (23-14:14)
1. مبادئ حريتنا في المسيح (15-14:14)
2. ولويات حريتنا في المسيح (18-16:14)
3. ممارسة حريتنا في المسيح (23-19:14)
ب. أظهرْ روح المسيح (7-1:15)
1. باتخاذ الطريق الصعب (4-1:15)
2. باتخاذ الطريق السلطانية (7-5:15)

تسعى المحبة باهتمام بألا يتسبّب سلوكنا في عثرة أولئك الذين إيمانهم أضعف من إيماننا. وتتم مناقشة قضية "الأخ الأضعف" في هذا الجزء من رسالة رومية. وتتفاقم المشكلة نظراً لأن الأخ الأضعف يعتقد غالباً أنه الأخ الأقوى! إن الأخ الأضعف هو الذي يمتنع عن بعض الأشياء، ويحكم بحسب المظاهر، ويخفق في التمييز ما بين الفعل الخارجيّ والموقف الداخليّ. وإن أَقْدَمَ شخصٌ ما على عملٍ يخالفه فيه فإن الأخ الأضغف يستنتج على الفور أن دوافع هذا الشخص لا بد أن تكون دوافع خاطئة.

أولاً: مسألة قبول الأخ الضعيف (9-1:14)

هل ينبغي قبول هذا النوع من المسيحيّين في شركة الكنيسة المحلية؟ ليس هناك أي شك في أن الأخ الذي لديه كل أنواع الهواجس يمكن أن يشكل وجوده عبئاً على الجماعة المحليّة.

ينبغي قبوله بثقة (1:14)

لا يدع بولس على الإطلاق أي مجال للشك في ذلك. ويقول: "وَمَنْ هُوَ ضَعِيفٌ فِي الإِيمَانِ فَاقْبَلُوهُ، لاَ لِمُحَاكَمَةِ الأَفْكَارِ" (الآية 1). والفكرة هي أنه ينبغي ألا تُطرَح أية أسئلة عن هواجسه، كما أن على الأقوياء في الإيمان ألا يجادلوه فيها. كان في كنيسة رومية، التي وجّه بولس إليها هذه الرسالة، مؤمنون خلصوا من الوثنيّة المظلمة. وقد انتابت هؤلاء الصدمة عندما شاهدوا المسيحيين اليهود يأكلون اللحم الذي قُدِّم للأصنام. ومع أن هذا اللحم كان معروضاً للبيع في السوق العامة، إلا أن هؤلاء شعروا أنه، على الرغم من ذلك، فإن الذين يأكلون منه يساهمون بطريقة معينة في عبادة الأصنام. وأما المؤمنون اليهود، الأقوياء في الإيمان، فظنوا أن هذه الهواجس ليست سوى هراء. فأكل اللحم المعروض للبيع العام لا يشكّل عبادة أصنام، وإن كان قد سبق مرة وقُدِّم لوثن. ومن ناحيةٍ ثانية، فإن هؤلاء المسيحيين الأمم الذين أتوا إلى المسيح بدون أية خلفية يهودية بشعائرها وطقوسها، وأعيادها وأصوامها، وحقائقها وتقاليدها، لم يقدروا على رؤية ما تركته اليهودية من تأثير على المسيحية. وقد تسبّب عدم استعدادهم للتأقلم مع أيامٍ معينة في رواج الافتراءات على إخوتهم المسيحيّين اليهود. وهكذا انزعجت كل مجموعة بسبب المجموعة الأخرى، وحكمت كل فئة على الفئة الأخرى وأدانَتْها. لقد ظنت كل منهما أن خلفيّتها هي الخلفية الصحيحة لرؤية المسيحية من خلالها. وهي مشكلة قديمة ما برحنا نعاني منها.

ونحن بالطبع لا يعترينا القلق هذه الأيام بشأن التفاصيل نفسها التي ابتليت بها الكنيسة الأولى. ومع ذلك، لدينا محظورات خاصة بنا نحكم من خلالها على إخوتنا. يقول بولس إن جميع هذه الأشياء الظاهرية ينبغي ألا تضحي أساساً للانتقاد ولاسيما عندما تتعلق بأشياء غير واضحة في الكتاب المقدس. فالناس الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة لديهم عادات مختلفة، ولذلك من الأفضل في الأمور التي لا تتحدّث عنها المسيحية بشكلٍ محدّد، ألا يكون المرء عقيدي النزعة. وهذا الأمر صحيح بشكل خاص في الحقل الإرساليّ. إذا، يقول بولس إن الأخ الضعيف ينبغي قبوله برضا مع هواجسه، وعلى الكنيسة المحلية ألا تسخر منه أو تضحّي به بسبب آرائه.

ب. ينبغي قبوله مع مراعاة أحواله(14:2-9)

إنّ أخذ وجهات نظر الآخرين بعين الاعتبار هو التجسيد الخارجيّ لسلوك المحبة الرحيم. ويريد منا بولس أن نفهم قبل كل شيء أنّ (1) **المطابقة ليست حتمية**. لسنا مضطرين جميعاً لأن يؤمن أحدنا بما يؤمن به الآخر، ولسنا مضطرين أن يتصرّف أحدنا كما يتصرف الآخر تماماً، فالله لا يخلق الناس متماثلين ولا يصبّهم في القالب نفسه. ولكي يبين بولس أن هناك مجالا كبيرا للاختلاف في الرأي حول الأمور غير الجوهرية يعالج سؤالين من أكثر الأسئلة المحيرة في الكنيسة الأولى-وهما المتعلّقان بالأيام والأنظمة الغذائية

ويبيّن لدى معالجته لمشكلة **الأنظمة الغذائية** أن هناك مجالاً واسعاً لممارسة الحرية في تكريس المرء **الشخصيّ** للرب. "وَاحِدٌ يُؤْمِنُ أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَمَّا الضَّعِيفُ فَيَأْكُلُ بُقُولاً. لاَ يَزْدَرِ مَنْ يَأْكُلُ بِمَنْ لاَ يَأْكُلُ، وَلاَ يَدِنْ مَنْ لاَ يَأْكُلُ مَنْ يَأْكُلُ، لأَنَّ اللهَ قَبِلَهُ. مَنْ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ عَبْدَ غَيْرِكَ؟ هُوَ لِمَوْلاَهُ يَثْبُتُ أَوْ يَسْقُطُ. وَلكِنَّهُ سَيُثَبَّتُ، لأَنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُثَبِّتَهُ" (الآيات 2-4). وليس هناك مدعاة لمناقشة قضية الصواب والخطأ بما يختص بالأكل أو عدم الأكل بل يبقى السؤال مفتوحاً، إذ ليس له علاقة، أساسيا على الأقل، بالخلاص أو التقديس. ينبغي على الأخ الأقوى ألا يحتقر الأخ الضعيف كشخص يؤمن بالخرافات ويتسم بضيق الأفق، كما لا يحق

للأخ الأضعف أن يتبنّى موقف المنتقد للأخ الأقوى ويسمه بالعالمية وبلا ضمير. يقول بولس، "لأَنَّ اللهَ قَبِلَهُ" مؤكّداً على أنّ الخلاص لا يرتكز على مثل هذه الأسس التي يفترضها المنتقد. فالمؤمن لا يعتمد على قوته الشخصية، مع أنه قد يتمتّع بحريته في المسيح إلى حدٍ كبير، ولكنه يعتمد على قوة الرب يسوع الداعمة.

ويوضِّح بولس لدى تناوله لمشكلة **الأيام** أن هناك متَّسعا كبيرا لممارسة الحرية في تكريس االمرء **العلنيّ** للرب. فبعض الناس يريدون أن يقيّدوا الكنيسة ويفرضوا على كل الناس أن تتطابق أفكارهم مع أفكارهم بشأن حق الكنيسة. وهم سريعون لإدانة أولئك الذين لا يلفظون كلمة "شبوليث" مثلهم (قضاة 6:12). ولكن يوجد مجالٌ واسع للاختلاف في الرأي عندما لا يتضمّن حق العهد الجديد مسألة حيوية. "وَاحِدٌ يَعْتَبِرُ يَوْمًا دُونَ يَوْمٍ، وَآخَرُ يَعْتَبِرُ كُلَّ يَوْمٍ. فَلْيَتَيَقَّنْ كُلُّ وَاحِدٍ فِي عَقْلِهِ" (الآية 5). وعلى قناعتنا الشخصية أمام الرب أن تكون الحافز الكامن وراء ما نقوم به وليس الضغط الاجتماعيّ.

ويا للتشكيلة الواسعة من المعتقدات في المسيحية بشأن الأيام التي ينبغي المحافظة عليها! فبعض الناس يحافظون على يوم السبت، والبعض الآخر على اليوم الأول من الأسبوع.[2] وبعضهم يولي اهتماماً خاصاً لأيامٍ مثل عيد الميلاد، وعيد الفصح، وعيد العنصرة؛ وآخرون يولون اهتماماً قليلاً بها أو لا يعبأون على الإطلاق. يراعي بعضهم أيام الأعياد والأصوام ويقسّمون التقويم إلى أيامٍ خاصة لها نكهة يهودية وليس مسيحية. ويقول بولس، إن على المؤمنين ألا يتخاصموا بشأن هذه الأمور. فالتوافق ليس أمرا أساسيا إذ أن الرباط الذي يجمعنا هو المحبة وليس الناموس.

إذاً يبيّن بولس في تعامله مع مشكلة الأنظمة الغذائية والأيام أن التطابق ليس حتمياً. وبعد ذلك يبدي أنّ (2) **الوحدة ليست مستحيلة**. هناك فرق كبير بين التطابق والوحدة الحقيقيّة. فالأول بارد مجرد من الحياة؛ والثانية نابضة بالنشاط، حية، ودافئة. ولكن كيف يمكن الوصول إلى الوحدة بين المؤمنين الذين يختلفون بشكلٍ واضح بشأن عددٍ من الأشياء، حتى ولو لم تكن ذات أهمية للإيمان الحقيقي؟ جواب بولس هو ربوبية المسيح. وينبر بادىء ذي بدء، على أن ربوبية المسيح توحِّد المؤمنين في هذه الحياة. "الَّذِي يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ، فَلِلرَّبِّ يَهْتَمُّ. وَالَّذِي لاَ يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ، فَلِلرَّبِّ لاَ يَهْتَمُّ. وَالَّذِي يَأْكُلُ، فَلِلرَّبِّ يَأْكُلُ لأَنَّهُ يَشْكُرُ اللهَ. وَالَّذِي لاَ يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ لاَ يَأْكُلُ وَيَشْكُرُ اللهَ. لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ، وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ" (الآيتان 6-7). وأهمية سلوك الإنسان ليست فيما يظنّه الآخرون به بقدر ما يفكر الربّ بهذا السلوك. تأمل للحظة في برامق (القضبان التي تصل مركز العجلة بمحيطها) عجلة ما. خذ نقطة متحركة على أي برمقين فيها، فكلما كانت النقطتان قريبتين من المحور تكونان قريبتين إحداهما من الأخرى؛ وكلما كانتا بعيدتين عن المحور تكون إحداهما بعيدة عن الأخرى. والرب يسوع، إذا جاز التعبير، هو محور عجلة الشركة المسيحية. والأمر المهم هو اقتراب كل منا إليه، والإقرار بمركزيته وسيادته. وبعد ذلك تأخذ الوحدة مجراها الطبيعي بنفسها.

وسيادة المسيح توحّد المؤمنين ليس في هذه الحياة فقط ولكن أيضا في تلك الحياة، أي الحياة الآتية. "لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ. لأَنَّهُ لِهذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ، لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ" (الآيتان 8-9). والنقطة التي يتذرع بها بولس هي أن المؤمن هو تحت سيطرة الرب، ولا يمكنه أن يختار أيا من طريقة موته أو أوانه. وفي الواقع لا يغيّر الموت من علاقة المؤمن بالرب. وتبهت الاختلافات في الرأي إلى حد التفاهة عندما يدخل الموت في الصورة. وبعد القبر يصبح الإقرار بربوبية المسيح إقرارا شاملا، وعندما نصل إلى المجد، يضحي طرح أكالينا عند قدمي المسيح من أعظم مباهجنا (في 2:9-10؛ رؤ 4:9-11). لذلك، فليحافظ كل مؤمن على ربوبية المسيح في حياته الخاصة، وعندها لن تكون الوحدة أمراً مستحيلاً.

ثانياً. مسألة اتّهام الأخ الضعيف (14:10-13)

يتوجب قبول الأخ الضعيف في الشركة بدون مناقشة أو جدل، مع التفهمِ الواعِي لحقيقة أن الوحدة، وليس مجرد المطابقة، هي ما يجسّد حقا وحدانية جسد المسيح. ومع ذلك هناك دائماً تجربة النزوع لانتقاد الأخ المرتاب بسبب نقاط الاختلاف الموجودة في حياته.

ا. الرغبة في الانتقاد فيها قساوة التحدي(14:10-12)

يبيّن بولس في الدرجة الأولى شدة (1) تجرد **ذلك (الموقف) من الهدف**. فيقول، "وَأَمَّا أَنْتَ، فَلِمَاذَا تَدِينُ أَخَاكَ؟ أَوْ أَنْتَ أَيْضًا، لِمَاذَا تَزْدَرِي بِأَخِيكَ؟" (الآية 10أ). لم ذلك حقا؟ ما جدواه؟ وما البنيان فيه؟ إن النميمة والانتقاد لا يحققان أي شيء ذي قيمة. على الأخ الضعيف ألا يحكم على الأخ القوي، كما ينبغي على الأخ القوي ألا يحتقر الأخ الضعيف، فالانتقاد ينتهك قانون المحبة.

ثم يشير بولس إلى شدة (2) ما **يتَّسم به إنتقاد الآخر بالوقاحة!** "لأَنَّنَا جَمِيعًا سَوْفَ نَقِفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:«أَنَا حَيٌّ، يَقُولُ الرَّبُّ، إِنَّهُ لِي سَتَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، وَكُلُّ لِسَانٍ سَيَحْمَدُ اللهَ». فَإِذًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلهِ" (الآيات 10ب-12). ترد في الكتاب المقدس سبع دينونات ينبغي عدم الخلط بينها.[3] والدينونة المذكورة هنا تتعلق بأعمال المؤمن وليس بخطاياه. فخطاياه قد دينت في الجلجثة ولا تعود تُذكَر إلى الأبد (عب 10:17). إلا أن كل عملٍ سيُحضَر إلى الدينونة (مت 12:36؛ 2 كور 5:10؛ كو 3:24-25). وعند عودة المسيح ستظهر نتيجة هذه الدينونة (مت 16:27؛ لو 14:14؛ 1 كور 4:5؛ 2 تي 4:8؛ رؤ 22:12) إما بمكافأة المؤمن أو بخسارته. ويذكّرنا بولس بصورة جدية بأن انتقاد المؤمن لأخٍ آخر سيقدَّم عنه حسابا أمام كرسي المسيح. فمن الغرور أن ننتقد الآخرين؛ وإذا وجّهنا النور الكاشف إلى قلوبنا فسنجد في داخلها الكثير مما يجعلنا متواضعين أمام الرب من غير أن ننشغل بنقائص الآخرين. سيكون لنا الكثير لنقوم به ونجيب عنه أمام كرسي دينونة المسيح بشأن سلوكنا من غير أن ننشغل بأفعال إخوتنا الذين يتبعون الرب بحسب ضمائرهم، لأن جميعنا نستطيع أن نحكم على الحوافز.

ب. الرغبة في الانتقاد الموجَّه بصورة ملائمة (14:13)

لا يكتفي بولس ببيان سلبيّ في قضية إصدار الحكم (على الآخرين)، وإنما لديه شيء إيجابيّ يقوله. "فَلاَ نُحَاكِمْ أَيْضًا بَعْضُنَا بَعْضًا، بَلْ بِالْحَرِيِّ احْكُمُوا بِهذَا: أَنْ لاَ يُوضَعَ لِلأَخِ مَصْدَمَةٌ أَوْ مَعْثَرَةٌ" (الآية 13). وفي ضوء دينونة كرسي المسيح، على قرارنا أن يكون قائماً على تفادي فعل أي شيء، مهما يكن الثمن، مما يعيق الأخ عن ممارسة إيمانه. وهنا نجد حقا مجال الحكم- على أنفسنا!

ولدى الرب يسوع كلمات حكيمة حول هذا الموضوع. فقد قال، "لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَامُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ" (مت 7:1-5).[4]

إن انتقاد الآخرين خطيئة شائعة جداً بين شعب الله. ففي معظم الأحيان ننهمك كثيراً في مراقبة خطايا الآخرين حتى أننا بكل سهولة نغفل عن خطايانا الخاصة، فندين سلوكهم لكننا نفشل في رؤية أن سلوكنا هو على نفس المقدار من السوء، إن لم يكن أسوأ، وأننا بتأثيرنا ومثالنا نقود الآخرين، في أغلب الأحيان، إلى الضلال ونتسبّب في عثرتهم. وهذه إساءة خطيرة في عيني الرب. تأمل بما قاله المسيح في متى 18، وهو الفصل الذي لدى التأمل في سياقه، يسلّط ضوءاً كاشفاً على نوع السلوك الذي يتوقّعه الرب من شعبه.[5]

يقول يسوع في سياق التعامل مع قبول المؤمنين، "إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَمَنْ قَبِلَ وَلَدًا وَاحِدًا مِثْلَ هذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي. وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ" (مت 18:3-6). يا لها من كلمات جدية! ويا له من أمر خطير أن تكون مسؤولاً عن تعثر شخصٍ ما. فنحن إما أن نكون **حجارة عبور** للمشي عليها أو **حجارة عثرة**. يقول بولس، حوّل النور الكاشف إلى نفسك، واحرص في نور دينونة كرسي المسيح على أن لا تسبّب عثرة لأخيك الذي هو "واحد من صغار" الرب.

ثالثا. مسألة رحابة الصدر مع الأخ الضعيف (14: 14-15: 7)

إلى أي مدى علينا أن نذهب في السعي لجعل أنفسنا تتقبل انتقادات الأخ الضعيف الخاصة؟ ذلك هو أصعب سؤال. ومع هذا، يضع بولس المسؤولية على الأخ الأقوى ويطلب منه أن يجد حلولا وسطا بقدر الإمكان بروح المحبة وبروح المسيح.

أ. روح المحبة (14:14-23)

إن الروحُ التي فيها متسع للأخ الضعيف هى ليست روحَ الناموسية بل روح المحبة. وليس الموقف هو موقف "لا بدّ لي من" أو "ينبغي عليّ أن" وإنما هو موقف "أريد أن". فمحبة الأخ الضعيف توقظ روحاً أصيلة للمساعدة فياضة بأعمال الخير المزجاة إليه.

يضع بولس أمامنا ثلاثة بنود من الاعتبارات بصدد مسألة معاملة إخوتنا بروح المحبة. يؤكّد (1) على **مبادئ حريتنا في المسيح**، ويبدأ بطمأنتنا على حقوق الضمير الحر. "إِنِّي عَالِمٌ وَمُتَيَقِّنٌ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ نَجِسًا بِذَاتِهِ، إِلاَّ مَنْ يَحْسِبُ شَيْئًا نَجِسًا، فَلَهُ هُوَ نَجِسٌ" (الآية 14). ليس الضمير في حد ذاته هاديا معصوماً عن الخطأ؛ ولكن مع ذلك، من الخطأ أن يتصرّف المرء ضد ضميره. ينبغي على الأخ الأقوى ألا يعلّم الأخ الأضعف بأن يخالف ضميره، بل عليه أن يعلّمه بأن يثقّف ضميره بكلمة الله. وبالطبع لا يتكلم بولس هنا عما هو نجس أخلاقياً، وإنما فقط عما هو نجس فرائضياً. ولكي يتمتع المرء كمسيحي بكامل الحرية، يجب أن يتوافر هناك كلا المعرفة والإقناع. وعلى الإنسان لكي يسلك في حريةٍ بضمير مستريحٍ أن يتمتع بذهن مدرك لحق الله، وقلب مقتنع به. ويا لها من بركة أن نتخلص من جلبة الدين المجرد وإزعاجه! هذا هو الحق الطبيعي لكل ولد من أولاد الله، ولكنه الحق الذي يتمتّع به فقط أولئك الذين اتخذوا مراكزهم كأولاد راشدين.

إنّ حقوق حيازة ضميرٍ حر هي حقوق مؤكدة، ولكن بولس يذكرنا أيضاً **بمسؤوليات** الضمير الحر. "فَإِنْ كَانَ أَخُوكَ بِسَبَبِ طَعَامِكَ يُحْزَنُ، فَلَسْتَ تَسْلُكُ بَعْدُ حَسَبَ الْمَحَبَّةِ. لاَ تُهْلِكْ بِطَعَامِكَ ذلِكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِهِ" (الآية 15). صدرت صرخة، "أحارِسٌ أنا لِأخي؟" من شفتي قاتل. إن كلمة "تهلك" التي يستخدمها بولس هنا تعني "التخريب" أو "التقليص إلى حد عدم الجدوى". فكل مؤمن هو حارسٌ لأخيه، وعليه أن يمتنع عن أي شيء من شأنه أن يقوده إلى الضلال. فأن يكون لنا ضمير حر في الأمور التي نسمح بها هو شيء، وأن نمارس هذا الامتياز لنتسبب في شقاء نفس إنسانٍ آخر فهذا شيء ثان. ولا يحقّ لأي مؤمن أن يمارس امتيازه دون أخذ المسؤولية بعين الاعتبار. وعبارة " لاَ تُهْلِكْ بِطَعَامِكَ ذلِكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِهِ" تصيب ذات صميم المسألة.

والشيء التالي الذي يؤكد عليه بولس هو (2) **أولويات حريتنا في المسيح**. ويبدأ بالطلب منا بأن نحرص من إعطاء انطباع خاطئ عن الحياة المسيحية. "فَلاَ يُفْتَرَ عَلَى صَلاَحِكُمْ" (الآية 16). إذا كان شخص

ما يمارس إيمانه الأقوى بهدف إيذاء الأخ الأضعف وبطريقةٍ تجحف بحق قضية المسيح، فإنه يعطي انطباعاً خاطئاً عن الحياة المسيحية، ويوفِّر لغير المؤمنين أسباباً للطعن بالإنجيل. فمن السهل جداً على الحرية أن يعتريها الانحلال فتتحول إلى جسدية وعالمية. إننا لا نريد أن نخسر حريتنا كمسيحيّين، ولكن من جهة أخرى، لا نريد أن نسيء استخدامها أيضاً.

هناك قصة كثيراً ما تُروى عن سي إتش سبيرجن. لقد قضى سنوات عديدة وهو لا يرى في التدخين أي مشكلة. لم يكن التدخين بالنسبة إليه خطيئة. كان بإمكانه أن يدخّن بضمير صالح إلى أن اكتشف أن شركة للتبغ كانت تستخدم للدعاية "العلامة التجارية التي يدخنها سبيرجن!" لقد أعطى انطباعاً خاطئاً عن الحياة المسيحية، ومنذ ذلك اليوم أقلع عن عادة التدخين. علينا ألا نحترس فقط من إعطاء انطباع خاطئ عن الحياة المسيحية، بل أيضا من **أخذ انطباع خاطئ عن الحياة المسيحية**. "لأَنْ لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ مَنْ خَدَمَ الْمَسِيحَ فِي هذِهِ فَهُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ اللهِ، وَمُزَكًّى عِنْدَ النَّاسِ" (الآيتان 17-18). كانت القضايا ذات الإشكال في زمن بولس كمثل (الأكل والشرب أو عدم الأكل والشرب) ليس لها مساس بالموضوعات **الحقيقية**. هل كان يحقّ الأكل أم لا يحق؟ قد يكون الجواب "نعم" أو "لا". قال أحدهم، "يمكنك أن تأكل وأنت ما تزال في ملكوت الله". وقال آخر، "إن أكلتَ فأنتَ لست من ملكوت الله". وقال بولس، "لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا". فالقضايا الحقيقية أعمق بكثير من ذلك، وتحدّدها علاقة الإنسان الشخصية بالروح القدس- وهي البرّ والسلام والفرح. وعندما نُؤخَذ بالظواهر التافهة فنحن في خطر الحصول على الانطباع الخاطئ عن الحياة المسيحية. إن الأشياء التي تهم حقا هي ليست مجرد مظاهر وطقوس. ما يهم أكثر هو الاتحاد مع روح الله بشكل حيّ جداً يُعبَّر عنه في سيرة مشابهة لحياة المسيح. هذه هي الأولويات الحقيقية لحريتنا في المسيح. فإذا كان شخصٌ ما يأكل السمك في أيام الجمعة أو يمتنع عن الشاي والقهوة فهذا لن يجعل منه مسيحياً أفضل أو أسوأ، لأنّ ملكوت الله لا تحفل بمثل هذه الأمور على الإطلاق.

وأخيرا، يؤكد بولس (3) على **ممارسة حريتنا في المسيح**. فروح المحبة تعمل على تعديلهاعلى نحو لائق؛ "فَلْنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ، وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْض. لاَ تَنْقُضْ لأَجْلِ الطَّعَامِ عَمَلَ اللهِ. كُلُّ الأَشْيَاءِ طَاهِرَةٌ، لكِنَّهُ شَرٌّ لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَأْكُلُ بِعَثْرَةٍ. حَسَنٌ أَنْ لاَ تَأْكُلَ لَحْمًا وَلاَ تَشْرَبَ خَمْرًا وَلاَ شَيْئًا يَصْطَدِمُ بِهِ أَخُوكَ أَوْ يَعْثُرُ أَوْ يَضْعُفُ" (الآيات 19-21). عندما توجب في أثناء الحرب نقل السفن عبر المحيط الأطلسيّ درءاً لخطر الغواصات الألمانية المعروفة ب U-boat، كان على جميع السفن أن تُعَدِّل من سرعتها وفقا لسرعة أبطأ سفينة. وهذه هي الفكرة التي يحاول بولس أن يؤكدها هنا. لا شكّ أن الأخ القوي يستطيع أن يسرع في خطوه (الروحي بالنسبة للأخ الضعيف)، ولكن المحبة لن تسمح له بذلك. على الراعي أن يُعدِّل من سرعة مسيرة القطيع لكي تتلاءم مع سرعة خطا الحمل الأضعف. وينبغي على المسيحيّ أن يكيف حريته لكي تأخذ بعين الاعتبار الضمير الواهن لأخيه الأضعف. والعمل بخلاف ذلك "يرخي من" عمل الله ويعرّض سلامة الضعيف الروحية للخظر، وهو الذي ينبغي أن يكون محط اهتمام القوي الخاص.

إن ممارسة حريتنا لا تُعدِّل من حريتنا على نحو لائق فقط ولكن **إيماننا يتنظم** أيضاًعلى نحو لائق. "أَلَكَ إِيمَانٌ؟ فَلْيَكُنْ لَكَ بِنَفْسِكَ أَمَامَ اللهِ! طُوبَى لِمَنْ لاَ يَدِينُ نَفْسَهُ فِي مَا يَسْتَحْسِنُهُ. وَأَمَّا الَّذِي يَرْتَابُ فَإِنْ أَكَلَ يُدَانُ، لأَنَّ ذلِكَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، وَكُلُّ مَا لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ فَهُوَ خَطِيَّةٌ" (الآيتان 22-23). فينبغي عدم التباهي بالإيمان بطريقة تستهدف إظهار تفوّق شخص ما على أولئك الذين لديهم هواجس بشأن بعض الأمور. والإنسان الذي يسمّيه بولس سعيداً هو الذي يستطيع أن يأكل ويشرب ما يرغب فيه من غير أن يخامر

ضميره أي تحرج من فعل ذلك. ولكن كيف يمكنه أن يكون سعيداً حقاً إذا كانت ممارسة حريته تسبّب عثرة لأخيه الأضعف؟ لذلك، فإن الإنسان تتضاعف سعادته إذا كان ضميره مستريحا لما يسمح لنفسه أن تقوم به في حياته، عالما أيضا أنه كان بالفعل حارساً لأخيه.

إن روح المحبة حتى الآن، تلخص حجةَ بولس هكذا: في الأساسيات: الوحدة؛ في الثانويات: الحرية؛ وفي كل شيء: المحبة

ب. روح المسيح (15:1-7)

لكن بولس لم ينتهِ بعد. فلديه مستويات أعظم يرسمها لنا. فمن الرائع أن نعامل الأخ الأضعف بروح المحبة، ولكن الأعظم من ذلك أن نعامله بروح المسيح. وتتطلّب روح المسيح منا أن نتبع (1) **الطريق الصعبة**. وفي الواقع هناك ثلاثة أشياء بشأن هذه الطريق الصعبة تستحقّ النظر. أولاً، إنها **طريق الصليب الموضّحة**. يقول بولس، "فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ، وَلاَ نُرْضِيَ أَنْفُسَنَا. فَلْيُرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ لِلْخَيْرِ، لأَجْلِ الْبُنْيَانِ" (الآيتان 1-2). ليس للأنانية مكان في الحياة المسيحية. لا يحاجج بولس هنا بأن علينا أن نستمر في الاستسلام لرغبات الأخ الضعيف، بل علينا أن نتصرّف بطريقة تفيده على الدوام. فنحن نساعده على حمل صليب ضعفه.

ثم إنها**الطريق المجلّية للمسيح**. يذكرنا بولس بأنّ "الْمَسِيحَ أَيْضًا لَمْ يُرْضِ نَفْسَهُ، بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:"تَعْيِيرَاتُ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ". (الآية 3). عاش الرب يسوع لإرضاء الله وخدمته ومساعدة البشر. لم يمت من أجل الأقوياء والثابتين والمتعلّمين فقط، ولكن من أجل الضعفاء والمتعثّرين أيضاً. كان دائماً يخرج عن مألوف عادته ليحمل ثقل الآخرين، ويمشي الميل الثاني. ومن الواضح حقا أن أكثر المستفيدين من نعمته هم من المشوّهين، والعجزة، والعميان، والمشلولين، والصم. كان حليماً مع بطرس عندما أنكره؛ ومع يعقوب ويوحنا عندما طالبا بأن تنزل نارٌ على السامرة؛ ومع توما حين شكّ؛ وحتى مع يهوذا عندما كانت أموال الدماء ما برحت ترنّ في جرابه. وما أتفه الإزعاجات التي قد نعاني منها في الكنيسة بسبب الأخ الضعيف بالمقارنة بما عانى المسيح منه. إن روح المسيح ستجعل أي حملٍ مثل هذا خفيفًا.

ثم أيضا هي **الطريق المنمّية للسلوك**. كان بولس قد أنهى آنئذ اقتباساً يختص بالمسيح من المزمور 69. والآن يريد أن يذكرّنا بأن كل مجلد العهد القديم ذو قيمة دائمة وينبغي أن يُقرأ ويُدرَس. فهو يرشدنا إلى الطريق حتى ولو كانت طريقاً صعبة. "لأَنَّ كُلَّ مَا سَبَقَ فَكُتِبَ كُتِبَ لأَجْلِ تَعْلِيمِنَا، حَتَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ بِمَا فِي الْكُتُبِ يَكُونُ لَنَا رَجَاءٌ" (الآية 4). هل نجد الطريق التي تنمّي السلوك، والتي تراعي ضعفات الآخرين مُضايقَة؟. هل نحن عرضة لفقدان الصبر مع الأخ الضعيف ومع هواجسه؟ إن الترياق موجود في الكتاب المقدس. علينا أن نعود إلى الكتاب ونرى كيف ساعد الله الآخرين ليجتازوا المواقع الصعبة ويتعزوا، لأنّ الله لم يتغيّر، وهو سيساعدنا أيضاً.

يطلب روح المسيح منا ألا نسلك الطريق الصعبة فحسب، (2) بل، كما ثبت في النهاية أن نسلك في **الطريق الصاعدة** أيضاً. ويشير الرسول بولس إلى ثلاثة أمور تتعلق بالطريق الصاعدة. تقود هذه الطريق إلى **احترام** المؤمنين الآخرين، وبالتالي إلى **الانسجام** في الكنيسة المحلية. يقول الرسول بولس: " وَلْيُعْطِكُمْ إِلهُ الصَّبْرِ وَالتَّعْزِيَةِ أَنْ تَهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا فِيمَا بَيْنَكُمْ، بِحَسَبِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ (الآية 5). يا له من اسمٍ (يغدقه الرسول بولس) على الله – إله الصبر! فلكم كان صبوراً معنا! يعبّر الرسول بطرس عن هذه الحقيقة قائلاً إنّه " يَتَأَنَّى عَلَيْنَا " (2بطرس 3: 9). إن الصفات التي تفضي إلى الانسجام في شركة المؤمنين في الكنيسة المحلية موجودة في الله نفسه. فلو عرف كل مؤمن إله الصبر والتعزية، لزالت كل النزاعات حول الأمور غير الأساسيّة، فينتصر روح المسيح!

تقود الطريق الصاعدة إلى **الفرح** مع المؤمنين الآخرين، وبالتالي إلى **السعادة** في الكنيسة المحلية. يقول بولس، "لِكَيْ تُمَجِّدُوا اللهَ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَمٍ وَاحِدٍ" (الآية 6). فإن ركّز القدّيسون على تمجيد الله، فلن يكون هناك مجال لعدم الانسجام أو للانتقاد.

كذلك أيضا إن الطريق الصاعدة تقود إلى **قبول** المؤمنين الآخرين، وبالتالي إلى **الضيافة** (قبول) الروحية الحقيقية في الكنيسة المحلية. يقول بولس: "لِذلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا قَبِلَنَا، لِمَجْدِ اللهِ " (الآية 7). لقد دارت الحجة دورة كاملة. فقد ابتدأ بولس بإطلاعنا على أن الله قد قَبِل الأخ الضعيف (14: 3)، ثم ينهي حديثه بتذكيرنا أن المسيح قد قَبِلنا (أيضاً). لقد قبلنا بكل عيوبنا وفشلنا، وبكل نقاط ضعفنا وشرّنا، وبكلّ افتقارنا إلى الملاحة، وبكل عيوب شخصياتنا ونقائصنا الروحية؛ فكيف إذاً نُغلِق أبواب الشركة أمام شخصٍ قد خلُص فعلاً، ولكنْ لديه مشاكل مختلفة؟ إن روح المسيح يطالبنا بأن نرحب بكل المؤمنين إلى مائدة الرب وإلى دفء الشركة المحلية. لنحذر من روح ديوتريفس الذي قال يوحنا عنه إنّه "يحب أن يكون الأول." لقد انتفخ هذا الرجل إلى حد كبير بكبرياء أهميته حتى أنه أخذ يطعن بالرسول الشيخ بكلام فارغ خبيث: " وَإِذْ هُوَ غَيْرُ مُكْتَفٍ بِهذِهِ، لاَ يَقْبَلُ الإِخْوَةَ، وَيَمْنَعُ أَيْضًا الَّذِينَ يُرِيدُونَ، وَيَطْرُدُهُمْ مِنَ الْكَنِيسَةِ" (3 يوحنا 10). يا له من موقف مرذول مخز! ويا لها من سمعة تم تدوينها في كتاب الله فالتصقت بهذا الرجل حينذاك وإلى الأبد! فهذا الرجل رفض أن يقبل حتّى الرسول يوحنا!

القناعات الناضجة للمحبة

15: 8-13

أولا. كيف قُدِّمت لنا خدمة المسيح (15: 8-9أ)
- أ. الناحية اليهودية الواضحة (15: 8)
- ب. الناحية الأممية المحددة (15: 9أ)

ثانيا. كيف أُنبئنا بخدمة المسيح (15: 9ب-12)
- أ. ستبهج به الأمم (15: 9ب-11)
- ب. سيملك على الأمم (15: 2)

ثالثا. كيف يتم الاحتفاظ بخدمة المسيح فينا (15: 13)
- أ. لا يوجد ما يبعث على اليأس في الحياة المسيحية– فلدينا يقين مبارك (15: 13أ)
- ب. لا يوجد ما يبعث على العجز في الحياة المسيحية – فلدينا معونة لا حدود لها (15: 13ب)

هناك فرق بين التساهل مع الأخ الضعيف في الأمور غير الأساسية، وبين التساهل عندما تنطوي الأمور على قضايا أساسية تتعلق بالإيمان أو الأخلاق. كان بولس الرسول أكثر الناس سماحة بالنسبة للأمور غير الأساسية. فقد كان مستعداً أن يكون أي شيءٍ لكل الناس إن كان هذا يؤدي إلى تقدم دعوة المسيح (1كور 9: 20-23). ولكنه كان شديد الإصرار عندما يتعلّق الأمر بقضية أساسية لها مساس بالحق الجوهري. فمثلاً، ذكّر الغلاطيين كيف تصادم في إحدى رحلاته إلى أورشليم مع جماعة المتهوّدين في الكنيسة. وقد دعاهم بولس "إخوة كذبة"، وقال عنهم: "... الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلاَسًا لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، اَلَّذِينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلاَ سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإِنْجِيلِ. " (غل 2: 4-5). وعلاوةً على هذا، عندما حاول بطرس التكيف في أنطاكية، أولاً مع إحدى المجموعات، ثم مع مجموعة أخرى، وكان ذلك يتعلّق بقضية أساسية في الإيمان، قال بولس "قاومتُه مواجهةً" (غل 2: 11-14). على المحبة أن تجسد تصرفها الرحيم للضعفاء، ولكنّ ينبغي أن يكون لهذه المحبة قناعاتها الناضجة أيضاً. ليس من وظيفة المحبة أن تساوم على الحق الجوهري.

وهكذا، لا يلبث بولس أن يحوّل اهتمامه في هذه الرسالة إلى مسألة القضايا الجوهرية كمثل الحق الذي ينبغي التمسُّك به بمحبة، مهما كانت تكلفة التمسك به باهظة. ويختار مثالا على ذلك قضية مكانة الأمم (غير اليهود) في الكنيسة. كانت هذه القضية حساسة جداً في الكنيسة الأولى، وهي قضية كان لدى بولس بشأنها قناعات قوية جداً. كما كان هذا المثال ملائما لغرضه أيضاً لأنّه يتعلّق بمسألة القبول التي كان قد ناقشها منذ آونة، ولأنّه كان يكتب أيضا لعاصمة العالم الأممي. كانت الكنيسة يهودية بكاملها في البداية. وقد وفر إيمان كرنيليوس (أعمال 10) بالنسبة لليهود المؤمنين أول إشارة عملية إلى أن المسيحية ليست مجرّد طائفة يهودية، ولكنّها أمر مختلف بصورة مميزة. وسرعان ما أخذ الأمم بالتحوُّل إلى المسيحية بأعدادٍ كبيرة، ولم يلبث أن انتقل مركز الثقل من أورشليم إلى أنطاكية، ثم إلى أفسس وكورنثوس وروما. ولشد ما كانت الجدالات في الأيام الأولى للكنيسة بشأن قبول الأمم حاميةَ الوطيس. فقد كان البعض يظنُّ أنّه ينبغي للأممي أن يعتنق اليهودية قبل أن يُقبَل بصورة سليمة في شركة الكنيسة. كان هؤلاء يريدون أن يفرضوا على الأمم عبء شريعة موسى بأثقال قوانينها وأنظمتها التي لا تحتمل. ولذا، طلبوا من الأمميين أن يختتنوا، وأن يحفظوا يوم السبت، وأن يعتنقوا كل الوصايا والعادات المرتبطة باليهودية؛ والبعض الآخر كانوا أكثر ليونة، ولكنّهم ظلوا يؤمنون بأن المسيحية كانت مجرَّد امتدادٍ لليهودية واعتقدوا أن على المؤمنين من الأُمَم أن يعترفوا بمديونيتهم لليهودية بطريقةٍ ما.

كان بولس أوضح مفكّر في الكنيسة الأولى بما يختصّ بهذه المسألة. لم يكن يتقبّل البتة الفكر القائل أن المسيحيّة واليهودية هما شكلان مختلفان للإيمان ذاته. كان بإمكانه أن يرى كلّ نظامٍ من النظامين مستقلاً عن الآخر. لقد أدرك ذلك حتى قبل اهتدائه. لذلك اضطهد الكنيسة. صحيح أنّ المسيحيّين يعبدون الله نفسه الذي عبده اليهود ويرجعون إلى الكتب المقدّسة نفسها، ولكن هنا تنتهي المشابهة. فصليب المسيح هو الحد الحاسم الفاصل بين طريقتي النظامين. كانت اليهودية ديناً لحجابٍ متمزِّق، ولم تكن محاولة ترقيع الحجاب وخياطة المسيحية فيه أمراً خطأً فقط وإنما عديم الجدوى ومميتا أيضا. كانت المسيحية بجملتها قطعة قماش جديدة. أصبح اليهود والوثنيون الذين رجعوا إلى المسيح، أعضاء الكنيسة، كيانا جديدا كليا في معاملات الله مع الناس. كان بولس قد تحرّر تماماً من اليهودية حتى إنه لم يرغب في أن تتبنى الأمم عادات الإخوة اليهود وتقاليدهم بل تمنى أن يترك إخوته اليهود "عناصر البدائية" التي كانت بكل أسف تعيقهم وتعرقلهم. كان بولس، بكل بساطة، يجاهد بضراوةٍ من أجل مبدأ قبول الأمم في شركة الكنيسة على أساس إيمانهم في المسيح وبدون أية قيود يهودية مرفقة

كانت هذه بالنسبة لبولس قناعات حب ناضجة. فتوحيد اليهود والأمم في شركة جديدة هو جزءٌ من خدمة الرب يسوع، وأمرٌ توقّعه (المسيح) بقناعةٍ واضحة حتى قبل أن يمضي إلى الجلجثة (يوحنا 20:12-24). وكان إدخال العالم الأممي موضوع حديثه المباشر قبيل صعوده (لوقا 24:46-47)؛ كما كانت الكلمات المسجّلة الأخيرة التي نطقت بها شفتاه قبل أن تخفيه السحابة هي "وَإِلى أَقْصَى الأَرْض" (أعمال 1:8). وعلاوةً على ذلك، كانت الكلمات المسجّلة ليسوع بعد صعوده ذات علاقة بإدخال الأمم إلى شركة الكنيسة (أعمال 9:6-15)، وكذلك كانت العبارة الثانية أيضاً (أعمال 10:13-14). وكأن الرب يسوع نفسه أراد أن يضم صوته إلى (عمل) حث الروح القدس لتسريع الكنيسة الناشئة في مهمتها المنوطة بها نحو العالم الأممي. وهكذا يقدّم بولس موضوع الأمم في الكنيسة لكي يدعم حجّته بأن قناعات الحب الناضجة لا يمكن المساومة بها من أجل السلام.

أولاً. كيف قُدِّمت لنا خدمة المسيح (15: 8-9أ)

كانت خدمة الرب يسوع للعالم ذات شقّين. فقد كانت "لخراف بيت إسرائيل الضالة"، وكانت أيضاً لهاتيك "الخراف الأخرى" التي لم تكن "في هذه الحظيرة". يظل بولس محتفظا بذهنه بكل من هاتين الخدمتين بصورة كبيرة .

أ. المظهر اليهوديّ الواضح لخدمة المسيح (15: 8)

أولاً وقبل كل شيء، جاء الرب يسوع "إلى خاصّته"، ومع أنّ "خاصّته لم تقبله" فإن الحقيقة تبقى ثابتة (يوحنا 11:1). يقول بولس، "وَأَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ قَدْ صَارَ خَادِمَ الْخِتَانِ، مِنْ أَجْلِ صِدْقِ اللهِ، حَتَّى يُثَبِّتَ مَوَاعِيدَ الآبَاءِ" (الآية 8). وقد أكّد بولس في مكانٍ آخر في هذا الإنجيل على حقيقة أن تعاملات الله كانت مع "اليهوديّ أولاً" (رو 2:9-10). ويشير ألفورد إلى أن المسيح لا يسمى "خادم الختان" في أي مكان آخر في الكتاب المقدس، ويقترح بأن استخدام بولس للتعبير هنا هو "ليضع من كبرياء **الأقوياء**، المسيحيين من الأمم، بترفيع شعب عهد الله (إلى مستوى) كرامتهم الحقيقية."[1] وأياً كان الأمر، كان اهتمام المسيح الأول "بخراف بيت إسرائيل الضالة" (متى 24:15). فقد جاء لتحقيق العهود التي قُطِعت لآباء إسرائيل المؤسسين. لقد جاء المسيح إلى إسرائيل لأن الله تعهّد بنفسه بوعود كريمة وعظيمة أن يرسل إليهم الفادي.

ب. المظهر الأمميّ الواضح لخدمة المسيح (15: 9أ)

بينما تم إسباغ التكريم على اليهود بمجيء المسيح أولاً إليهم، لم يكن لليهود بأيّ حالٍ من الأحوال حكرٌ على خدمته. يقول بولس إن الرب يسوع جاء أيضاً حتى تُمجِّد الأممُ "اللهَ مِنْ أَجْلِ الرَّحْمَةِ." ومع أنّ العديد من مقاطع العهد القديم تنبئ بالبركات التي ستأتي على الأمم بواسطة المسيح، إلا أن الله لم يقطع حقا عهوداً رسمية مع الأمم كما فعل مع اليهود. وبالتالي، فإن معاملاته مع الأمم هي تعبيرٌ خاص عن رحمته. وحقيقة أن عددُ الأمم في الكنيسة اليوم يفوق عددَ اليهود بملايين لا تُحصى، تبيّن كم المظهر الأممي هو مجيد في خدمة المسيح، وكم هي عظيمة رحمة الله من نحونا، وكم يستحقّ أن تُمجِّده الأمم على رحمته. إن ما لكل هذا من تأثير على مسألة القبول، واضح. فالله قد قَبِل كلا من اليهود والأمم بلا تمييز، وخدمة المسيح هي الضمانة لذلك.

ثانياً. كيف تم إنباؤنا بخدمة المسيح (15: 9ب-12)

إن إدخال الأمم إلى موضع البركة هو مدار بحث كثير من نبوءات العهد القديم. وقد اختار بولس منها مقاطع متعدّدة ليدعم حجّته.

أ. ستبتهج الأمم بالمسيح (15: 9ب-11)

تثبت ثلاثة مقاطع كتابيّة وجهة نظر بولس هذه. فهو يقتبس من مزمور 49:18؛ سفر التثنية 43:32، ومزمور 1:117. ويقتبس في وقت لاحق من اشعياء أيضاً محتكما بالتالي إلى الناموس، والأنبياء، والمزامير، أو من الأجزاء الثلاثة الكبيرة للكتاب المقدس العبريّ.

"مِنْ أَجْلِ ذلِكَ سَأَحْمَدُكَ فِي الأُمَمِ وَأُرَتِّلُ لاسْمِكَ. وَيَقُولُ أَيْضًا:«تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الأُمَمُ مَعَ شَعْبِهِ» وَأَيْضًا:«سَبِّحُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَامْدَحُوهُ يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ»." (الآيات 9ب-11). في الاقتباس الأول، يقدّم الرب نفسه التسبيح لله بين الأمم؛ وفي الثاني، تسبّح الأممُ الله جنباً إلى جنبٍ مع اليهود؛ بينما في الثالث، تسبّح الأممُ الله بدون أيّ ارتباطٍ مباشر مع إسرائيل.

ب. سيملك المسيح على الأمم (12:15)

وبعد أن أحاط بولس بعصر النعمة هذا، يتطلّع الآن إلى الأمام إلى المستقبل البعيد، إلى الملك الألفيّ. "وَأَيْضًا يَقُولُ إِشَعْيَاءُ: سَيَكُونُ أَصْلُ يَسَّى وَالْقَائِمُ لِيَسُودَ عَلَى الأُمَمِ، عَلَيْهِ سَيَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ" (الآية 12). إن المسيح، في الفترة التي تُنُحَّية فيها إسرائيل كأمة جانباً، لا يقبل الأمم فقط ولكن الأمم ستحصل أيضا على البركة في المسيح حتى خلال العصر الذهبي القادم عندما ترجع إسرائيل إلى نفسها. وهكذا يبيّن بولس في اختياره للاقتباسات من جميع أجزاء الأسفار المقدسة اليهوديّة بأن الأمم مقبولة من خلال المسيح. وهذا يضيف وزناً إلى قناعات الحب الناضجة، فهذه الاقتباسات لا تتوافر على أساس متحيّز أو رأي شخصيّ ولكن

على كلمة الله الأزلية. إن مثل هذه الحقيقة، أي قبول الأمم، ينبغي ألا ننبذها بسبب نزوة أي أخ، ضعيفاً كان أم قوياً.

ثالثاً. كيف يتمّ الاحتفاظ بخدمة المسيح فينا (15: 13)

لقد أثبت بولس وجهة نظره فأيّد حقوق الأخ القويّ وحقوق الأخ الضعيف، وبيّن أن القويّ ينبغي أن يفسح المجال للضعيف عندما يتعلّق الأمر بالقضايا غير الأساسية. فقوانين المحبّة المسيحية تتطلّب أن تعبّر المحبة عن نفسها في سلوكٍ رحيم نحو الضعفاء، ولكن تلك القوانين ذاتها تتطلب في الوقت نفسه، التمسّك بالحق دون تردّد. ينبغي التمسّك بالقناعات الناضجة بمحبة، من غير إي إفراط بها.

ويختم بولس هذا القسم كله بالصلاة كي يكون اليهود وغير اليهود على وفاق في المسيح على الرغم من الاختلافات. إن الروح القدس هو الذي يجعل خدمة الرب يسوع فعّالة في قلب الفرد. "وَلْيَمْلأْكُمْ إِلهُ الرَّجَاءِ كُلَّ سُرُورٍ وَسَلاَمٍ فِي الإِيمَانِ، لِتَزْدَادُوا فِي الرَّجَاءِ" (13أ). وبعبارة أخرى، (1) **لا يوجد ما يبعث على اليأس** في الحياة المسيحية– فلدينا **يقين مبارك**. السرور! السلام! الرجاء! يا لها من حبالٍ قوية تربط المؤمن بالمؤمن بالمحبّة، والتفاهم المتبادل، والاعتبار. "بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (13ب). وبعبارة أخرى، (2) **لا يوجد ما يبعث على العجز** في الحياة المسيحية – **فلدينا معونة لا حدود لها.**

إن الطريق إلى السعادة والانسجام بين شعب الله ليست سهلة. فالناس يختلفون؛ وهم يخلصون من خلفيات عرقية، ودينية، واجتماعية، وتعليمية كثيرة. ولا مناص من أن يجد الناسُ من مختلف الأعمار، والأمزجة، والقدرات، والدوافع، والمفاهيم، والطبائع، صعوبةً في تكيّفهم الواحد مع الآخر ضمن شركة كنيسة محلية ما، ولكنّ هذا (التكيف) ممكن تحقيقه. إنه غير ممكن طبيعياً ولكنه ممكن بالنعمة. فالأشياء التي توحّدنا هي أقوى بكثير من الأشياء التي تفرّقنا. ونحن متّحدون في المسيح **بولادة** مشتركة، و**بالدم** الثمين، و**بإيمان** مشترك. "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ. وَلكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ حَسَبَ قِيَاسِ هِبَةِ الْمَسِيحِ" (أف 4:4-7). وهذا هو ما يمكننا من المحافظة على "وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلاَمِ" (أف 4:3).

عندما وقعت المخاصمة بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط، كانت طلبة أبرام للوط: "نحن أَخَوان" (تك 13:8). ذلك ما كان يربطهما. كانت الأشياء الصغيرة التي تفرقّهما تكاد لا تستحق الذكر. كانت هذه قناعة إبراهيم على الأقل، وهي التي كان مستعداً للمضيّ بها بنكرانٍ للذات ودقة يتسمان بالبراعة.

يُروى أن رجلين سافرا على متن باخرة عابرة للمحيطات. وكان أحدهما أسود والآخر أبيض. وكان كلاهما مسيحيّين، وشعر كل منهما بأنه "غريبٌ وسائح" وسط بهرجة الرحلة وطيشها الاجتماعي. ولم يكن الرجلان قد التقيا بعد ؛ ولكن في يوم من الأيام بينما كان كل منهما يتمشى على سطح السفينة مستغرقا في أفكاره، وكتابه المقدس تحت إبطه، التقيا وجهاً لوجه، وابتسما، وتصافحا وأشار كل منهما إلى الكتاب المقدس، وحاولا أن يتبادلا بعض الكلمات، ولكنّ عائق بابل (اللغة) حال بينهما إذ لم يكن أحدهما قادراً على التكلّم بلسان الآخر. ثم خطرت ببال الرجل الأبيض فكرة، فصاح، "هللويا!" ابتسم الرجل الأسود، وأجاب على الفور: "آمين!" حسنا يمكننا أن نرنّم:

مبارك الرباط الذي يربط
قلوبنا بالمحبة المسيحية،
فإن شركة الأفكار المتقاربة
شبيهة بتلك التي في العلى.

اهتمام المحبة الإرساليّ

33-14:15

أولا. ما يمدح بولس إخوته به **(14:15)**
أ. صلاحهم في الحياة
ب. إدراكهم للحقّ
ج. مواهبهم التشجيعية
ثانيا. ما ينقله بولس إلى إخوته (15:15-29)
أ. وحهة نظرته الأساسية عن الإرساليّات (15:15-21)
1. مسؤليته بشأن ما وهب له (15:15-16)
2. الحقيقة بشأن ما قام بإنجازه (15:17-21)
أ. إدراكه للحدود التي لا تُنكَر لخدمته (15:17-18
ب. روايته عن الأساس المنطقي لخدمته (15:19-21)
1. اتكال كامل على الله (15:19)
2. تعريف واضح للأهداف (15:20-21)
ب. رؤيته التي لا تموت بشأن الإرساليات (15:22-29)
1. رغبته في رؤية رومية (15:22-23)
2. تصميمه على رؤية رومية (15:24-29)
أ. أين تتوافق هذه الرحلة مع خططه (15:24)
ب. متى تتوافق هذه الرحلة مع خططه (15:25-28)
1 . الرحلة السابقة شرقاً (15:25-27)
2. الرحلة المقترحة غرباً (15:28)
ج. لماذا تتوافق هذه الرحلة مع خططه (15:29)
ثالثا. ما الذي يعهد به بولس إلى إخوته (15:30-33)
أ. مشاركة في المعركة (15:30-32)
1. عليهم أن يصلوا عن قصد (15: 30)
2. عليهم أن يصلوا بفطنة (31: 15-32)
ب. مشاركة في البركة (15:33)

للفصلين الأخيرين من رسالة رومية سمة شخصية ولكنهما مليئان بالتعليمات المتعلقة بذلك. يشمل الفصل 15 على أحد أعظم المقاطع الإرسالية في الكتاب المقدس. هنا يضع بولس بشكل مجرّد بعض الاستراتيجيّات الأساسية التي جعلته أعظم جميع المرسلين.

أولاً. ما يمدح بولس إخوته به (14:15)

لم يغرب عن بال بولس أبداً أن لا فضل له في حقيقة تأسيس كنيسة رومية؛ لذا فإنه قبل أن يستغرق في تدبيج تقرير عن فلسفته الإرسالية الخاصة، يشرع بلباقة في تهنئة إخوته في رومية على إنجازاتهم الخاصة.

أ. صلاحهم في الحياة

إن معنى أن يكون المرء صالحاً هو أن يكون أفضل ما يمكن أن يكون عليه الإنسان . لقد سبق لبولس أن ذكّر أهل رومية أنّه " رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ" (7:5)، والآن يقول، "وَأَنَا نَفْسِي أَيْضًا مُتَيَقِّنٌ مِنْ جِهَتِكُمْ، يَاإِخْوَتِي، أَنَّكُمْ أَنْتُمْ مَشْحُونُونَ صَلاَحًا" (الآية 14أ). يا له من مديح! لم يكن هذا مجرّد صلاح نظري أيضاً؛ ليس صلاحاً ناجما عن مجرّد تجنّب الشر، ولكنه صلاح عمليّ يتجلى في مساعدة الآخرين، وفي حمل أثقال الأخ الأضعف

ب. إستيعابهم للحق (14:15)

كان المسيحيون في رومية تلامذة مجتهدين. يقول بولس عنهم إنهم "مَمْلُوؤُونَ كُلَّ عِلْمٍ" (الآية 14ب) ويستخدم لفظة تعني المعرفة المكتسبة عن طريق التعلّم، وبذل الجهد أو الاختبار. ولم يتم اطلاعنا على كيفية حصلولهم على معرفتهم لحق العهد الجديد. فلا شكّ أنّ رسالة بولس من شأنها أن تضيف إلى ما سبق وعرفوه، وجسّم بشكل ملموس ودائم، بعض الحقائق التي تم إبلاغها بفضل الأقوال الملهمة. وربّما قام أكيلا وبريسكيلا بتعليمهما عن "طريق الله بأكثر تدقيق" كما فعلا مرّة من قبل مع أبولّس (أعمال 18: 26؛ رو 16: 3). ولا ريب، أن استراتيجية موقع رومية أتاح للكنيسة أن تُلمَّ إلماما جيدا بماهيّة كل من "تعليم الرسل" كما كان يعلّم في أورشليم (أعمال 2: 10، 42) وفي المراكز الأممية الرئيسة للمسيحيّة أيضا. لذا بولس يمدح استيعابهم للحقّ. وكما جهدت كنيسة رومية لتَلِمَّ بعقائد الإيمان العظيمة، على جميع المسيحيّين أيضا أن يلمّوا بالحقائق الرسوليّة.

ج. مواهبهم التشجيعية (15: 14)

كانت الكنيسة في رومية تضمّ عدداً من الإخوة الموهوبين والمؤهّلين تأهيلا جيدا، ولديهم ما يكفي من كفاءات متفوقة لحض القدّيسين على تحمّل مسؤولياتهم. ويعترف بولس بأنّهم كانوا " قَادِرُونَ أَنْ يُنْذِرَ" بعضهم بعضاً (الآية 14ج). فالميل للإستكانة أمرٌ طبيعي ويجب محاربته بصورة متواصلة. من أجل هذا، فإن خدمة الحثّ والإنذار هي رئيسة وأساسيّة في المسيحيّة.

هناك صنف معيّن من سمك قنديل البحر يعيش على الصخر من غير أن يتحرك من مكانه مطلقاً، ويتغذّى على نوع من الأعشاب البحريّة التي تنمو في الأنسجة المتآكلة من أعضائها نفسها. وهكذا لا تجد أسماك قنديل البحر نفسها في حاجة حتى أن تذهب للبحث عن الطعام. لقد بلغت أقصى ما يمكن من درجات الراحة بين المخلوقات. ولكن أسماك القنديل هذه تنتمي إلى أحد أدنى أشكال الحياة الحيوانية، فالراحة القصوى التي تتمتّع بها هي شارة مكانتها المنحطة. على المؤمن المسيحي ألا يُرْكن إلى حياة الراحة، فالحياة المسيحية سباق يتوجب الركض فيه، ومعركة يتوجب خوضها.إنها تتطلب الانضباط، والجهد الساعي، والتصميم. ومن هنا أضحت الحاجة إلى الحثِّ.

ثانياً. ما الذي يبلغه بولس لإخوته (15:15-29)

والآن لدى بولس كلمة يشرح فيها فلسفة إرساليته لإخوته المؤمنين في رومية. قلة، إن وجدوا، الذين يستطيعون التكلم كبولس بمثل هذا السلطان عن إرساليات العالم. إن من شأن الآيات اللاحقة أن تخترق ذات صميم التبشير العالمي.

أ. وجهة نظر بولس الأساسية عن الإرساليات (15:15-21)

يبدأ بولس بشرح لمسؤوليته الخاصة أمام الربّ. ويتحدّث عن (1) **المسؤوليّة التي أنيطت به**. هذا هو الجانب الأول والأهم لأية فلسفة إرسالية- تقديم الفرد حسابا شجصيا عن مواهبه الذاتية، ومجال تأثيره وفُرصه. "وَلكِنْ بِأَكْثَرِ جَسَارَةٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ جُزْئِيًّا أَيُّهَا الإِخْوَةُ، كَمُذَكِّرٍ لَكُمْ، بِسَبَبِ النِّعْمَةِ الَّتِي وُهِبَتْ لِي مِنَ اللهِ، حَتَّى أَكُونَ خَادِمًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ الأُمَمِ، مُبَاشِرًا لإِنْجِيلِ اللهِ كَكَاهِنٍ، لِيَكُونَ قُرْبَانُ الأُمَمِ مَقْبُولاً مُقَدَّسًا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (الآيتان 15-16).

لقد دُعِي بولس لخدمة الأمم وقيَّم خدمته تحت أعظم ضوء رائع. نظر إلى نفسه ككاهن روحيٍّ للأمم. ومثلما ثقّل الله إسرائيل على قلب موسى هكذا ثقّل الله الأمم على قلب بولس؛ فقد كان، إذا جاز التعبير، "كاهنهم". ولم تكن مهمته الرئيسة أن يقدّم ذبائح عن الأمم؛ فذلك قد تمّ بالفعل في الجلجثة. كذلك لم يعتبر نفسه كاهناً بمفهوم العهد القديم، وإنما بمعنى مجازيّ بصورة رفيعة. والذبيحة التي قدّمها ككاهن كانت الأمم أنفسهم، وكانت تلك الذبيحة مقبولة أمام الله لأنّ الروح القدس كرّسها وقدّسها. وهذه، أجَلُّ نظرة عن المسؤولية التي أنيطت به. لقد دعاه الله فأطاع، وكرّس نفسه بكل قلبه للمهمة الموضوعة أمامه. وكانت فرحته العظمى هي في رؤية الأمم

يخلصون ومن ثمّ "يقدّمون" أنفسهم ذبائح حية لله. يا له من تحدٍّ أن نعتبر أي عمل دعانا الله إليه على أنه "كهنوت"، أي خدمة كهنوتية ينبغي تأديتها إلى أن تصعد رائحة الذبيحة إلى الله.

ثم يتحدث بولس بعد ذلك عن (2) حقيقة ما تم إنجازه من خلاله. ام يكن بولس رجلا متبجحا. في الواقع كان في إمكانه أن يقول، "وأما أنا من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غل 6: 14). ومن ناحية أخرى، لم يكن مصابا بعقدة التواضع الزائف المنتقص للذات؛ فهو يتحدث بحرية وصراحة عما أنجزه بواسطة حماسه التبشيري.

أدرك بولس أن هناك حدوداً لخدمته لا يمكن إنكارها. ويقول: "فَلِي افْتِخَارٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَةِ مَا ِللهِ. لأَنِّي لاَ أَجْسُرُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ الْمَسِيحُ بِوَاسِطَتِي لأَجْلِ إِطَاعَةِ الأُمَمِ، بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ" (الآيتان 17-18). لم يكن افتخاره بالنفس وإنما بالرب. كان لديه الكثير الذي يمكن أن يقوله، فإن لائحة طويلة من المهتدين والكنائس وسمت مسارات خدمته. لو أقدم على سرد القصة لمجد الله عما فعله الله بواسطته لبقي مشغولاً بما فيه الكفاية. لم تكن لديه حاجة ولا رغبة في أن يتعدّى على أتعاب الآخرين لكي ينمّق تقريره أو يجعله أكثر إثارة ومحطا للإعجاب.

لقد عرف بولس أنه، بالإضافة إليه، كان هناك آخرون يعملون بين الأمم. فليرووا قصتهم الخاصة بهم؛ وهو يروي قصته. ولن يسرد إلا ما سُرّ الله أن ينجزه بواسطته، مدركاً في الوقت نفسه أن عمله كان مجرّد جزء من قصة التبشير العالمي، ومن ثَمَّ يمضي لمتابعة الخدمة. على المرسلين أن يقتدوا ببولس في حديثهم عن عملهم.

ثم يفسّر بعد ذلك **المنطق الكامن** وراء خدمته- الاعتماد الكامل على الله وتحديد الأهداف الواضح. "بِقُوَّةِ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، بِقُوَّةِ رُوحِ اللهِ. حَتَّى إِنِّي مِنْ أُورُشَلِيمَ وَمَا حَوْلَهَا إِلَى إِلِّيرِيكُونَ، قَدْ أَكْمَلْتُ التَّبْشِيرَ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ" (الآية 19). ونتجت عن اعتماده الكامل على الله قوةٌ روحية. فحيثما توجّه بولس كان يرى نتائج، وحتى في أثينا حيث سخر الناس من رسالته، كان هناك بعض من خلصوا. فقد اكتست كرازته بسلطة لا تقاوَم، وعروض (لظواهر) الروح القدس، وقوة لصنع المعجزات حتى أن النفوس كانت تخلص بأعدادٍ لا تحصى. (لا شك) كانت هناك عوائق وعقبات؛ فقد أثار أعداؤه عليه مقاومة، كما مرت به أوقات اعتراه فيها الانقباض والشك، ولكن مع كل ذلك، كان هناك انتصارٌ وانتعاشٌ.

وإلى جانب اعتماده على الله كان هناك فهم واضح لما ينبغي أن تكون عليه أهدافه كمرسل. "وَلكِنْ كُنْتُ مُحْتَرِصًا أَنْ أُبَشِّرَ هكَذَا: لَيْسَ حَيْثُ سُمِّيَ الْمَسِيحُ، لِئَلاَّ أَبْنِيَ عَلَى أَسَاسٍ لآخَرَ. بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: الَّذِينَ لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ سَيُبْصِرُونَ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا سَيَفْهَمُونَ" (الآيتان 20-21). ونتج عن تحديده الواضح للأهداف خططٌ معينة. لقد عرف بولس بالضبط ما هو هدفه الأساسي- الأشخاص الذين لم يصل إليهم أحد بعد! لمَ يذهب ويقتحم حقل أتعاب آخر؟ الحقل واسع؛ إنه العالم؛ إنه المناطق البعيدة. كان بولس يستبد به هاجس رؤيا "الملايين الذين لم يُخبَروا والذين لا يزالون غير مخبَرين". وهذا ما هيمن على تخطيطه الإرساليّ. وأصبح النص الذي يقتبسه هنا من سفر إشعياء 15:52 شعاره التبشيريّ، وقوّته وحافزه الدافع.

ب. رؤيته التي لا تموت بشأن الإرساليات (15:22-29)

لم يتخل بولس عن مجذافيه أبداً، ولم يسترخ ليستريح، فالوقت قصير جدا والمهمة كبيرةٌ جداً، والفعلة قليلون جداً، والقضايا خطيرة جداً. ويضيف إلى وجهة نظره الأساسية رؤية لا تموت. فقد شاهد عالماً ضائعاً، عالماً كان يتمحور في أيامه حول رومية. ومع أنه لم يكن في أي جزءٍ من مخطّطه أن يقيم في رومية إلا أنه كان في خطته أن يصل إلى رومية. وفي شرحه لكيفية ذلك وسببه يعطينا لمحة عن رؤيته الدائمة الاتساع بشأن الأمم التي لم تبلغها البشارة بعد.

ويتحدّث عن (1) **رغبته في رؤية رومية**. وقد سبق فذكر ذلك في مقدمة رسالته، وها هو يعود إليها مرة أخرى. "لِذلِكَ كُنْتُ أُعَاقُ الْمِرَارَ الْكَثِيرَةَ عَنِ الْمَجِيءِ إِلَيْكُمْ" (الآية 22). حتى ذلك الحين، كان مشغولاً جداً بتبليغ البشارة إلى الذين لم يصل إليهم أحد بعد، مما لم يمكّنه من وضع زيارة رومية في برنامج خططه. وقد أدخل رومية مرة بعد مرة في برنامج رحلته غير أن مصالح أكثرَ أهمية منعته عن ذلك. ومع أن بولس كان يرسم خططه بعناية إلا أنه لم يصبح أبداً عبداً لها، وكان دائماً يسمح للروح القدس بأن يطرحها جانباً من أجل خططٍ أفضل منها.

وهكذا كان الأمر مع خططه لزيارة روما. فقد أجّل الروح القدس تلك الخطط مرة تلو مرة إلى أن حان وقتها المناسب وعندئذ أرسل بولس إلى هناك، لا كرائدٍ بل كأسير لكي يتمجّد الله في سلاسله، ولكي يكون بولس الجريء مصدر تحدٍّ للمخلّصين والخطاة على حد سواء. ويقول، "وَأَمَّا الآنَ فَإِذْ لَيْسَ لِي مَكَانٌ بَعْدُ فِي هذِهِ الأَقَالِيمِ، وَلِي اشْتِيَاقٌ إِلَى الْمَجِيءِ إِلَيْكُمْ مُنْذُ سِنِينَ كَثِيرَةٍ..." (الآية 23). أخيراً بدا ساحل رومية واضحاً، وصار من الممكن أن توضع رومية في خطة رحلته. ومع أنها لم تكن حقا على قمة تلك القائمة، لكنّها كانت فيها على أية حال.

ثم يتحدث عن (2) **تصميمه على رؤية رومية**. ويوضح ثلاثة أشياء بشأن هذا التصميم. أولاً، **أين تتوافق مع خططه**. "فَعِنْدَمَا أَذْهَبُ إِلَى اسْبَانِيَا آتِي إِلَيْكُمْ. لأَنِّي أَرْجُو أَنْ أَرَاكُمْ فِي مُرُورِي وَتُشَيِّعُونِي إِلَى هُنَاكَ، إِنْ تَمَلأْتُ أَوَّلاً مِنْكُمْ جُزْئِيًّا" (الآية 24). لقد أشرقت أعمدة هرقل أمام بولس وهي أقصى حدود غرب القارة الأوروبية. ينبغي أن يرى رومية، ولكن هناك داع أن يرى إسبانيا لضرورة أكثر، قد تكون رومية مكان توقّف ملائم في طريقه. وقد تكون حقيقة وجود يهود كثيرين في إسبانيا قد أضافت حافزا (آخر) إلى خطط بولس. لن يكون في طوقه المكوث طويلاً في رومية، ولكنه سيتمكّن على الأقل من أن تكون له بعض الشركة مع المؤمنين هناك.

ثمّ يخبر بولس عن **متى** تتوافق هذه الرحلة مع خططه. فلديه أولاً رحلة شرقاً قبل هذه الرحلة المقترحة غرباً. "وَلكِنِ الآنَ أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَخْدِمَ الْقِدِّيسِينَ، لأَنَّ أَهْلَ مَكِدُونِيَّةَ وَأَخَائِيَةَ اسْتَحْسَنُوا أَنْ يَصْنَعُوا تَوْزِيعًا لِفُقَرَاءِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. اسْتَحْسَنُوا ذلِكَ، وَإِنَّهُمْ لَهُمْ مَدْيُونُونَ! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الأُمَمُ قَدِ اشْتَرَكُوا فِي رُوحِيَّاتِهِمْ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخْدِمُوهُمْ فِي الْجَسَدِيَّاتِ أَيْضًا. فَمَتَى أَكْمَلْتُ ذلِكَ، وَخَتَمْتُ لَهُمْ هذَا الثَّمَرَ، فَسَأَمْضِي مَارًّا بِكُمْ إِلَى اسْبَانِيَا" (الآيات 25-28). كانت فلسفة بولس التبشيرية عن العطاء مختلفة بشكلٍ غريب عما يجري الآن في كنيسة العصر الحديث. فالفكرة الأساسية للحركة التبشيرية المعاصرة هي أن على الكنائس في الوطن أن ترسل المال إلى الحقل الإرساليّ لدعم الكنائس الناشئة في الأراضي الأجنبية، بيد أن بولس حوَّل الأمور إلى شكل معاكس! ينبغي على الكنائس الجديدة في أراضي الأمم أن تعترف بدَيْنها الروحيّ للقديسين الذين أرسلوا الإنجيل إليها، وأن تبعث المال إليهم لتفرِّج عن فقرائهم.

بعد وقتٍ قصير من كتابة هذه الرسالة إلى أهل رومية، ترك بولس كورنثوس آخذا معه وفداً من الكنائس المتعددة التي كان يزورها والتي كانت تشارك بعطية التفريج عن فقر مسيحيّي أورشليم.[2] لقد مثّل سوباترس وأرسترخس وسكوندس كنائس مكدونية؛ وغايوس الدربيّ وتيموثاوس من لسترة عن كنائس غلاطية؛ في حين ناب تيخيكس وتروفيموس عن كنائس آسيا الصغرى. ومن المحتمل أن هذا الفريق من المسيحيّين الأمم كان قد تم تجمُّعه حين كان بولس مشرفا على اختتام رسالته، وسرعان ما سيمضي إلى أورشليم لكي يشارك في احتفالات عيد الفصح ومن ثم- إلى إسبانيا عن طريق رومية، أو هكذا كان يخطط!

وأخيراً يخبر بولس عن **لماذا** تتوافق رحلته إلى رومية مع خططه. "وَأَنَا أَعْلَمُ أَنِّي إِذَا جِئْتُ إِلَيْكُمْ، سَأَجِيءُ فِي مِلْءِ بَرَكَةِ إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ" (الآية 29). يا له من تأكيدٍ على النصر وعلى أنه (خاضع) لمشيئة الله!

كان هدفه العظيم أن يسكب نفسه في حياة كنيسة رومية وشركتها وشهادتها بكل ما له من قوة ملء الروح القدس ومسحته.

وهكذا إذًا، ينقل بولس إلى الكنيسة في رومية وجهة نظره الأساسية بشأن الإرساليات ورؤيته لها التي لا تموت. إن العناصر التي تضمنتها فلسفة بولس الإرسالية هي: تبشير التائهين، وريادة حقولٍ جديدة، والتخطيط بصورة استراتيجية، ومعرفة قيادة الروح القدس، والاستقلال عن (حصول) على الدعم المادي من كنيسة الوطن، وعلى النقيض من ذلك، عمل على تعليم الذين كان سبب اهتدائهم عن فرح العطاء. وفوق هذا كله، أن يكونوا مصدراً دائماً للبركة. فلا عجب، إذا، أنه قلب العالم رأساً على عقب!

ثالثاً. ما يلتزم به بولس من نحو إخوته (15:30-33)

قبل أن يختم بولس رسالته، أراد أن يبيّن لإخوته في رومية كيف يمكنهم أن يصبحوا شركاء معه في المهمة العظيمة لتبشير العالم بالمسيح. وأن يكون لهم نصيب مزدوج في العمل.

أ. مشاركة في المعركة (15:30-32)

إن جزءا من عبقرية المسيحية أن في وسع أي مؤمن أن يصبح محارباً في المعركة في أي وقت وفي أي مكان، ويجعل تأثيره ملموسا في أقاصي الأرض، وفي العلى في الأماكن السماوية؛ وذلك بكل بساطة، بالانهماك في الصلاة. فعندما يصلي المؤمن من أجل المرسلين يصبح قادراً على وضع نفسه في زورق في نهر الأمازون، وفي كوخ الأسكيمو في القطب الشمالي، وفي خيمة في الصحراء، وفي غواصة في قاع المحيط، وفي طائرة صاعدة في الجزء الأعلى من الغلاف الجوي. ويمكنه درء الأخطار عن المرسل في الغابة، والأمراض في الأحياء الفقيرة للمدينة، والكوارث في عمق البحار. ويمكنه أن يسلّح شهادة المرسل بقوة خارقة للطبيعة، ويرفعه من حمأة القنوط، ويحول مسار الأعداء غير المرئيين الكامنين في عالم الأرواح، ويشدّد يده بالله. يتمكن المؤمن المتمرّن، بالصلاة بالروح، من قهر الزمان والمكان والمشاركة في المعركة.

ويقترح بولس على أصدقائه في رومية أن (1) **يتعمّدوا الصلاة من أجله**. "فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ، أَنْ تُجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِي إِلَى اللهِ" (الآية 30). فهو يريدهم أن يضيفوه إلى قوائم صلاتهم بشكل متعمد وأكيد، ويجعلوها بندا خاصا به. يلتمس المرسلون من الناس باستمرار أن يصلوا لأجلهم، فهم يعرفون تمام المعرفة أنّ الله، لسبب غامض لا يمكن تفسيره تماماً، يسرّه أن يقوم باستجابة الصلاة. وهذا أحد قوانين الكون وهو قانونٌ أساسي على غرار قوانين الجاذبية والكهرباء. إن طِلْبَة بولس من المسيحيّين أن يتعمَّدوا الصلاة من أجله هي طلبة عملية لأن الصلاة بذات طبيعتها ينبغي أن تكون ممارسة تتعمَّدها الروح، فهي ليست شيئا نتقصَّد فعله بصورة طبيعية.

ثم سأل بولس أهل رومية أن (2) **يصلوا له بفطنة**. "لِكَيْ أُنْقَذَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ، وَلِكَيْ تَكُونَ خِدْمَتِي لأَجْلِ أُورُشَلِيمَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ، حَتَّى أَجِيءَ إِلَيْكُمْ بِفَرَحٍ بِإِرَادَةِ اللهِ، وَأَسْتَرِيحَ مَعَكُمْ" (الآيتان 31-32). يؤمن بولس بالصلاة المحددة. كان لديه ثلاث طلبات أراد من الجنود رفقائه أن يأخذوها معهم إلى عرش النعمة نيابة عنه. كل منها مسبوقة بلفظة "لكي" أو "حتى". إنه يريدهم أن يصلّوا بفطنة من أجل سلامته، وخدمته، وخطواته.

ومن الواضح أن بولس كان مدركاً للمخاطر التي تنتظره في أورشليم. فاليهود غير المؤمنين كانوا متعطشين لدمائه وقد علم بذلك. كان اليهود المؤمنون يتسمون بالبرودة بشأن وجهات نظره حول العلاقة ما

بين اليهودية والمسيحية، ولم يكن في إمكانه أن يتأكد حتى من كيفية استقبالهم له. لم يرد للأخطار في أورشليم أن تعطل خططه للذهاب إلى رومية. ونعلم من سفر أعمال الرسل كيف سمح الله للمخاطر أن تتفاقم مما أدى إلى اعتقال بولس، فأصبح هذا الاعتقال هو الوسيلة التي أفضت به إلى رومية "سفيراً في سلاسل". وهكذا استجيبت جميع طلبات الصلاة تلك، وإن كانت ليست بالطريقة التي توقعها بولس، ولكنها على أية حال استجيبت تماما كما هي. لا بد أن زيارته كانت مصدر غبطة لأعضاء كنيسة رومية ولا سيما عندما مضوا أخيرا ليستقبلوه في فورن أبيوس (أع 28:14-15) وأن يعرفوا أن الله قد استجاب لصلواتهم جميعها من أجل سلامة بولس وخدمته وخطواته.

ب. مشاركة في البركات (15:33)

إنّ الذين يشتركون في المعارك يشتركون أيضا في البركات. يختم بولس رسالته بصورة لائقة بكلمات، "إِلهُ السَّلاَمِ مَعَكُمْ أَجْمَعِينَ. آمِينَ." (الآية 33). لقد نفح على الكنيسة ببركته فيما كان مُثْبّتاً وجهه للذهاب إلى أورشليم حيث يعترضه الخطر والمعركة والكراهية والاعتقال، لكنه استطاع أن يواجه الرحلة بهدوء واطمئنان وبسلام كامل لأنه عرف "إله السلام". وربما تكون هذه البركة هي العظمى بين كل البركات التي أسلمها بولس إلى القديسين في رومية مما يضفي عليهم الشعور بالهدوء في أوقات العاصفة.

السلام! السلام الكامل! أمستقبلنا كله غير معروف؟

إننا نعرف يسوع، وهو على العرش.

معارف المحبّة الكثيرون

16:1-16

أولا. كيف يستعطف بولس إخوته في رومية (16:1-2)

أ. ينبغي عليهم أن يقبلوا فيبي (16:1-2أ)

ب. ينبغي عليهم أن يساعدوا فيبي (16:2ب)

ثانيا. كيف يسلّم بولس على إخوته في رومية (16:3-16)

أ. بما تتميّز به المحبة (16:3-15)

1. بريسكلا وأكيلا
2. أبينتوس
3. مريم
4. أندرونيكوس ويونياس
5. أمبلياس
6. أوربانوس
7. إستاخيس
8. أبلّس
9. أهل أرستوبولوس
10. هيروديون
11. أهل نركيسّوس
12. تريفينا وتريفوسا

13. برسيس
14. روفس وأمه
15. أسينكريتس
16. فليغون
17. هرماس
18. بتروباس
19. هرميس والإخوة الذين معهم
20. فيلوغوس
21. جوليا
22. نيريوس وأخته
23. أولمباس والقديسون الذين معهم

ب. بما تفصح عنه المحبة **(16:16)**

كان بولس رجلاً كثير الأصدقاء. واحتضن قلبه الكبير كل شعب الله، ودفعته محبته لهم لكي يهتمّ بهم اهتماماً جاداً. فكل واحد من معارفه هو صديق محتمل ، وكان له العديد من المعارف. لقد استطاع بولس، بطريقة ما، في عصر لم يعرف شيئاً عن الاتصالات الحديثة، أن يبقى على اتصال مع الكنيسة الجامعة. وليس من الصعب أن نتخيّل بولس في كورنثوس يُكثر من التردد على الميناء في كنخريا ويبادر بالحديث مع البحارة من جميع أنحاء العالم الروماني. "من أين أنت أيها البحّار؟ رومية؟ هل صدف أن عرفت صانع أشرعة اسمه أكيلا"؟ ومن السهل أيضا أن نتخيّل بولس يستجوب التجّار القادمين من المشرق وهم يجتازون كورنثوس (ويسأل)، "هل وصلتَ لتوّك من أفسس؟ هل زرتَ أنطاكية في سوريا؟ أنطاكية في بيسدية؟ ترواس"؟ ولم يكن مسيحيٌّ يدخل إلى كورنثوس أبدا إلا ويهرع بولس إليه ليحصل على الأقل، على تقرير سريع عن الكنيسة في فيلبي، أو في بيرية، أو في تسالونيكي، أو في أورشليم، أو في الإسكندرية أو السامرة.

إذاً، كان بولس بقلبه المفعم بالحب لشعب الله، له كثرة من المعارف. واستطاع أن يظل على اطلاع مستمر على حالة الكنيسة في رومية. لقد عرف العديد من المسيحيّين القادة بأسمائهم. وكانوا جميعاً مسجلين في كتاب صلاته، وها هو الآن يتفقدهم واحداً تلو الآخر فيما هو يقترب من إنهاء رسالته.

أولاً. كيف يستعطف بولس إخوته في رومية (16:1-2)

أولاً، كان عليه أن يوصي الكنيسة في رومية بأختٍ من كنيسة كنخريا، وهي ميناء كورنثوس، كانت تخطّط لرحلةٍ إلى العاصمة.

أ. ينبغي عليهم أن يقبلوا فيبي (16:1-2أ)

كانت للكنيسة الأولى عادة حكيمة ، وهي عادة ما برحت تمارَس على نطاق واسع اليوم، تعتمد تزويد المؤمنين الذين ينتقلون من مكان إلى آخر برسائل توصية يسلّمونها إلى الكنيسة في الموقع الجديد (2 كو 1:3). فتؤمّن للمسافر بأن يلقى قبولاً ودياً في المدينة الغريبة، وتساعد الكنيسة هناك في قبولها للمؤمنين القادمين من أماكن أخرى. "أُوصِي إِلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فِيبِي، الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كَنْخَرِيَا كَيْ تَقْبَلُوهَا فِي الرَّبِّ كَمَا يَحِقُّ لِلْقِدِّيسِينَ" (16:1-2أ). لا نعرف عن فيبي شيئا آخر سوى أن بولس يصفها بأنها كانت "مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ" (الآية 2) مما قد يتضمَّن أنها جعلت خدمتها للرب تقوم على الإعانة ولا سيما للغرباء في

كنخريا وكورنثوس، إلا أن خدمتها الأمينة للرسول والكنيسة في رومية قد خلّدت اسمها منذ تلك الأيام وعبر جميع العصور حتى يومنا هذا، نتيجة لحملها هذه الرسالة إلى رومية.

ب. ينبغي عليهم أن يساعدوا فيبي (2:16ب)

إنها لخدمة عظيمة تبدر عن المسيحيين المحليين عندما يضعون أنفسهم وخدمتهم تحت تصرّف القديسين الزائرين من أنحاء أخرى من العالم. والذين أكثروا من الأسفار يعرفون مبلغ البركة في أن يكونوا في شركة الكنيسة ويجدون إخوة وأخوات يمدون يد العون في سائر أنحاء العالم. ويكتب بولس، "وَتَقُومُوا لَهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ احْتَاجَتْهُ مِنْكُمْ، لأَنَّهَا صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضًا" (الآية 2ب). إن الكلمة المستخدمة "تقوموا" تعني "تقفون إلى جانب" وهي اللفظة التي استخدمها بولس عندما قال عن الرب يسوع إنه وقف معه قبل محاكمته أمام نيرون (2 تي 17:4). لا يعرف العالم شيئاً عن الشركة والصداقة والمعونة المتوافرة في عائلة الإيمان. وليس هناك محفل أو نادٍ في الأرض يقدر أن يوفر لأعضائه مثل رابط المعونة هذا كالموجود بين المؤمنين المخلّصين بالحق.

ثانياً. كيف يسلّم بولس على إخوته في رومية (3:16-16)

ترد أسماء خمسة وثلاثين شخصاً في هذه المقاطع الختامية من رسالة رومية. كان تسعة منهم مع بولس في كورنثوس عندما كتب (الرسالة)؛ ثمانية رجال وامرأة واحدة. وكان أربعة وعشرون شخصاً في رومية؛ سبعة عشر منهم رجالا وسبع نساء، ويسلّم عليهم بولس جميعاً بمودة. وبالإضافة إلى ذلك، يرد ذكر عائلتين في رومية، فضلا عن بعض الإخوة الذين لم تُذكَر أسماؤهم. وهناك أيضا امرأتان غير معروفتي الإسم. إنها قائمة مرموقة، وفيها شيء جذّاب بصورة غريبة، كما في هذه الأسماء الغامضة التي تضيء للحظة على صفحة الكتاب المقدس ثم تتوارى في غموض ليلة سوداء. إنها تومض أمام أنظارنا مثل شعل اللهيب ثم تحترق لتغدو حفنة من رمادٍ أبيض. ولكن هناك أسماء خلّدها قلم بولس إلى الأبد، أسماء تمثّل أناساً عاشوا وأحبوا منذ زمان طويل جداً جداً وهم يعيشون دوما بقوة حياة لا تفنى. هم أشخاص أعزاء على قلب بولس، يحملون لواء الإنجيل عالياً في عاصمة العالم، سلَّط بولس عليهم الضوء، الواحد تلو الآخر، ليسلّم عليهم ويذكرهم برقة ومحبة.

ا. يسلّم عليهم بما تتميّز به المحبة (3:16-15)

لا يجمِّع بولس أسماءهم جملة معاً ويقول: "تحية لجميع القديسين في رومية". فالمحبة تسرّ بأن تورد اسماء أشخاص معينين بشكل فردي من مجموعة (الأحباء) وتذكرهم الواحداً تلو الآخر، إن المحبة تخصّص. فقد قال الراعي الصالح واصفاً معرفته الوثيقة (الحميمة) بكل واحد، "يَدْعُو خِرَافَهُ الْخَاصَّةَ بِأَسْمَاءٍ" (يوحنا 3:10). وهكذا يكشف بولس، الراعي الثاني العظيم ما كان يتحلَّى به من قلب رعوي حقيقيّ.

كان هناك **بريسكلا وأكيلا**. يرد اسم الزوجة أولاً هنا وفي سفر أعمال الرسل 18:18 ورسالة تيموثاوس الثانية 19:4، مما يوحي أنها كانت السبّاقة على الأغلب بين الاثنين عندما كان الأمر يتعلّق بالأشياء الروحية. كان أكيلا يهودياً، وهو مواطن من بنطس يمتهن صناعة الخيام. التقى بولس أولا هذين الزوجين في رحلته التبشيرية الثانية. في ذلك الوقت كانا يكافحان لتأسيس مهنتهما في كورنثوس. فأقام بولس معهما لفترة ما، لكونه يمتهن التجارة ذاتها، ومن المحتمل جداً أن يكون قد قادهما للرب. وعندما ترك بولس كورنثوس، رافقاه إلى أفسس، ومهدا الطريق لنشر الإنجيل في تلك المدينة حتى أنها أضحت جاهزة للانتعاش لدى رجوع بولس إلى هناك في وقت لاحق. وبينما هما في انتظار عودة بولس، تمكنا من تعليم مبشّر موهوب آخر يدعى أبلوس، "بطرق الرب بأكثر تدقيق". والآن صارا في رومية، وأصبح بيتهما من جديد مركزاً

للتبشير. ويبدو أنهما عادا بعد بضع سنوات إلى أفسس لأن بولس يسلّم عليهما كمن كانا يقيمان هناك خلال سجنه الثاني، قبيل استشهاده. (راجع أع 18؛ 1 كو 19:16؛ 2 تي 19:4). وهنا يقول لكنيسة رومية، "سَلِّمُوا عَلَى بِرِيسْكِلاَّ وَأَكِيلاَ الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، اللَّذَيْنِ وَضَعَا عُنُقَيْهِمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي، اللَّذَيْنِ لَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَشْكُرُهُمَا بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ كَنَائِسِ الأُمَمِ، وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا" (الآيات 3-5). ولا يُعرَف متى عرّضا حياتهما للخطر من أجل بولس؛ ولكن لا بدّ أن يكون قد انقضى بعض الوقت على ذلك (الحدث) لأنّ هذا الخبر قد شاع بصورة علنية في الخارج بين جميع كنائس الأمم.

إن ممارسة عقد الاجتماعات المسيحية في البيوت الخاصة يتضح في مقطع وارد **في أعمال استشهاد القديس يوستينوس.** "إن جواب الشهيد يوستينوس على سؤال الوالي (رستيكوس)، 'أين تجتمعون'؟ يتوافق تماماً مع الروح المسيحية الأصيلة في هذه النقطة. كان الجواب، 'في المكان الذي يتمكّن كل واحد من الوجود فيه ويريد ذلك أيضا. أنت تعتقد، بلا شك، أننا جميعا نلتقي في مكان واحد؛ ولكن الأمر ليس كذلك، لأن إله المسيحيين ليس مقصورا في غرفة، ولكن، بما أنه لا يُرى، فإنه يملأ كلاً من السماء والأرض، ويكرمه الأمناءُ في كل مكان.

ثم يأتي **أبينتوس** بعد ذلك في قائمة بولس. "سَلِّمُوا عَلَى أَبَيْنِتُوسَ حَبِيبِي، الَّذِي هُوَ بَاكُورَةُ أَخَائِيَةَ لِلْمَسِيحِ" (الآية 5). وترد كلمة "آسيا" عوضاً عن "أخائية" في ترجمة American Standard .ولكون هذا الرجل هو أول المهتدين على يد بولس في آسيا فقد جعله هذا عزيزاً عليه بصورة خاصة. وكان بولس قد شهد نهضة كبيرة في آسيا الصغرى، ولا سيما في أفسس. وامتدّت نيرانها إلى سميرنا، وبرغامس، وثياتيرا، وساردس، وفيلادلفيا، ولاودكية، وكولوسي، وهيرابوليس وغيرها من المدن. لكنه لم ينسَ أبداً أول من اهتدى على يده

لا يُذكَر أيّ اسم من الأسماء الموجودة في الآيات 5-15 في مكانٍ آخر في الكتاب المقدس باستثناء روفس. على رأس القائمة أبينتوس وتليه مريم، ويقول بولس، "سَلِّمُوا عَلَى مَرْيَمَ الَّتِي تَعِبَتْ لأَجْلِنَا كَثِيرًا" (الآية 6). في العهد الجديد ست مريمات، والدة الرب، والمجدلية، وأخت لعازر، وزوجة كلوبا، أم يوحنا مرقس، وهذه القديسة المجهولة في رومية. هناك شكلان لكلمة "مريم" في العهد الجديد، أحدهما مريم وهو اسم يهوديّ، والآخر ماريا، وهو اسم أمميّ. تختلف الآراء حول في ما إذا كان مريم هذه أممية أم يهودية، إلا أنّ مريم التي من رومية، أياً كانت، قد أجهدت نفسها من أجل المسيحيّين في تلك المدينة. إن الكلمة المستخدمة للفظة "**تعبت**" هي نفس الكلمة التي استخدمت في (يوحنا4: 6) عن الرب عندما "قَدْ **تَعِبَ** مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكَذَا عَلَى الْبِئْرِ" (يو4:6). وهي ذات الكلمة التي رددها التلاميذ عندما قالوا للرب بعد ليلة صيدٍ غير مثمرة، "**تَعِبْنَا** اللّيل كله" (لو 5:5). لذلك تتضمّ مريم التي من رومية إلى صفوف الجموع الذين أجهدوا أياديهم حتى العظم ولم يكلُّوا في تعبهم لأجل قضية المسيح ونيابةً عن شعبه. ولا تزال أخواتها معنا.

"سَلِّمُوا عَلَى أَنْدَرُونِكُوسَ وَيُونِيَاسَ نَسِيبَيَّ، الْمَأْسُورَيْنِ مَعِي، اللَّذَيْنِ هُمَا مَشْهُورَانِ بَيْنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ كَانَا فِي الْمَسِيحِ قَبْلِي" (الآية 7). لسنا على يقين إن كان الاسم الثاني هو يونياس (مذكر) أم "يونيا" (مؤنث)، كذلك يمكن للفظة "نسيب" أن تعني إما زميلا مواطنا أو قريباً بالدم. ومن المرجح على الأقل، أن بولس في هذه الآية يشير إلى أقارب فعليين، وهي فكرة شيّقة! يمكن للمرء أن يتصور هذين الشخصين اللذين اختبرا الخلاص قبل بولس، وارتقيا إلى أعلى دوائر الكنيسة، وعظم قلقهما لتعصّب شاول الشاب وشهوته للدماء، تواقان بشدة لاهتدائه وتكريس مواهبه الواضحة وحماسه العظيم للرب، فيضعانه بقوة أمام عرش النعمة نيابة عنه. وفي وسع المرء أن يتخيّل أيضاً فرحهما وشكرهما لله من أجل الطريقة التي اهتدى بها شاول ونتائج وعظه المذهلة، وريادته، وقدراته في الكتابة. فأصبح الاعتقاد المرجح أن أندرونكوس ويونياس كانا في الواقع قريبي بولس، فيا له من رباط قوي كان يشدهم في المسيح! هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن عائلة

الرسول العظيم قد تبرأت منه ولم تعد ترحّب به في موطن أجداده في طرسوس. وإذا كان الأمر كذلك، فلا بدّ أنه وَجد عزاءً خاصاً وارتياحاً في شركة اثنين على الأقل من أقاربه ممن لم يخلصا فحسب وإنما اهتديا قبله وكانا معتبرين في أعين الرسل.

وليس واضحا من النص إن كان أندرونكوس ويونياس كانا نفساهما رسولين، أم ببساطة، كانا يحظيان، باعتبار الرسل العظيم. ويبدو من العهد الجديد أنه في حين أن الاثني عشر قد شغلوا مكانةً خاصة، إلا أن الكنيسة الأولى لم تحصر لقب "الرسول" فيهم. وهكذا، كان برنابا ويعقوب أخو الرب وسيلا مدعوين رسلاً. (راجع أع 4:14، 14؛ 1 تس 6:2). وعلى أية حال، كان أندرونكوس ويونياس "مشهورَيْن" في الأوساط الرسولية. ويبدو أن الفكرة تشير إلى أن وسمة العظمة كانت بادية عليهما؛ وكانا بارزين.

ومن المثير للاهتمام (أن نرى) كيف يَعبُر روح الله بصمتٍ بالغٍ حتى إننا نودّ لو نعرف ما الذي جعل هذين الاثنين عظيمين جداً في الكنيسة الأولى. لن ندرك الأمر أبدا حتى مجيء ذلك اليوم العظيم عندما يجتمع جميع القديسين حول عرش الله، وهناك يُكرّمون جهارا بسبب أعمالهم المميّزة. حينئذ، سيحظى أندرونكوس ويونياس، ومعهما كل الجمعٌ الغفير من غير المعروفين من أشراف الله بما يستحقونه من مجد. سوف يأتي اليوم الذي يتلو فيه الابن العظيم لداود ما في سفر الكرامة من أسماء لخاصته من العظماء. وعندها سينال هذان الاثنان مكافأتهما. وإلى ذلك الحين، كل ما نعرفه عنهما أن بولس يدعوهما "الْمَأْسُورَيْنِ مَعِي" المترجمة حرفياً بـ "أسيري الحرب". وربما اشتركا في أحد سجونه. سنعرف ذلك يوماً ما.

ثمّ يقول بولس، "سَلِّمُوا عَلَى أَمْبِلِيَاسَ حَبِيبِي فِي الرَّبِّ. سَلِّمُوا عَلَى أُورْبَانُوسَ الْعَامِلِ مَعَنَا فِي الْمَسِيحِ، وَعَلَى إِسْتَاخِيسَ حَبِيبِي" (الآيتان 8-9). فإنه من الأمور المميزة أن يحظى المرء بمحبة بولس ويُعتبر واحدا من مساعديه. إن هؤلاء القديسين المجهولين يضيئون للحظة في ضوء عظمة بولس المنعكس. ومع ذلك، فإن أكثر أولاد الله تواضعاً، والمحبوب بالرب وأحد مساعدي بولس، هو بالتأكيد معروف ومكرّم ووارد ذكره. وسيأتي اليوم الذي يُعطى فيه كل واحد مكاناً في الشمس ليعكس مجد المسيح لكي تراه كلّ عين على مدى العصور الأبدية.

سَلِّمُوا عَلَى أَبَلِّسَ الْمُزَكَّى فِي الْمَسِيحِ" (الآية 10). هنا قدّيس فاز بتزكيته. لقد وُضِع بطريقة ما على المحكّ وفاز باستحسان إخوته. ومن المفيد أن نلاحظ كيفية استخدام هذه الكلمة "مزكّى" في أماكن أخرى من العهد الجديد. (1) تُترجَم "تزكّى" في يعقوب 12:1 "طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ". (2) يستخدم بولس الكلمة نفسها في أثناء مناقشته موقف المؤمن تجاه أخيه الأضعف. فالإنسان الذي يرعى مصالح أخيه ويعرف أن "لَيْسَ مَلَكُوتُ اللهِ أَكْلاً وَشُرْبًا، بَلْ هُوَ بِرٌّ وَسَلاَمٌ وَفَرَحٌ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (رو 17:14) سيفوز برضا إخوته، ويقول بولس، "لأَنَّ مَنْ خَدَمَ الْمَسِيحَ فِي هذِهِ فَهُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ اللهِ، وَمُزَكًّى عِنْدَ النَّاسِ" (18:14). (3) يقول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس، "لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَكُمْ بِدَعٌ أَيْضًا، لِيَكُونَ الْمُزَكَّوْنَ ظَاهِرِينَ بَيْنَكُمْ" (1 كو 19:11). ونحن نعلم أيضا أنّه كانت هناك هرطقات تهدّد القديسين في رومية لأنّ بولس يخبر المؤمنين لاحقاً في هذا الفصل عن كيفية التعامل مع المعلمين الكذبة (16:17-18). (4) إنَّ تواضع المرء بشأن إنجازاته أمر أساسي آخر لفوزه بالتزكية. "لأَنَّهُ لَيْسَ مَنْ مَدَحَ نَفْسَهُ هُوَ الْمُزَكَّى، بَلْ مَنْ يَمْدَحُهُ الرَّبُّ" (2 كو 18:10). (5) يقول بولس في آخر رسالة كتبها للشاب تيموثاوس،"اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ ِللهِ مُزَكًى، عَامِلاً لاَ يُخْزَى، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاسْتِقَامَةِ" (2 تي 15:2). وقد استخدم المصطلح اليوناني نفسه لترجمة كلمة "مزكّى" في كل من الأمثلة

أعلاه. ولعل أبلّس بطريقة مشابهة، ارتقى في أعين إخوته إلى مكانة معتبرة ؛ فهذه طرق مفتوحة لكلٍ واحد من شعب الله.

"سَلِّمُوا عَلَى الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ أَرِسْتُوبُولُوسَ. سَلِّمُوا عَلَى هِيرُودِيُونَ نَسِيبِي. سَلِّمُوا عَلَى الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ نَرْكِيسُّوسَ الْكَائِنِينَ فِي الرَّبِّ" (الآيتان 10ب-11). لا ترد كلمة "أهل" في الأصل في الحالتين أعلاه، وهي حقيقة تتضح حتى في النسخة المعتمدة (Authorized Version) التي ترد فيها الكلمة بأحرف مائلة مما يشير إلى أنها أقحمت من قبل المترجمين. لذلك اقتُرِح أن هؤلاء الذين يسلّم عليهم بولس هم العبيد في بيت أرستوبولوس ونركسيوس مما يعني أن هذين الرجلين ليسا بالضرورة مسيحيّين. ويعتقد لايتفوت (Lightfoot) أن أرستوبولوس هو من اليهودية، حفيد هيرودس الكبير، شقيق هيرودس أغريباس. ويناقش ألفورد (Alford) احتمال كون نركسيوس رجلاً معروفاً ممن حررهم كلوديوس. ومع أنه، حسب استنتاجه، يستريب في صحة هذا الأمر لأن نركسيوس هذا بالذات أعدِم في بداية حكم نيرون وقبل كتابة الرسالة إلى أهل رومية، إلا أنه يعترف باحتمال كون عائلة نركسيوس كانت ما تزال تحمل هذا الاسم حتى بعد موته. وربما كان هيروديون ينتمي إلى عائلة هيرودوس أيضاً، وكان مواطناً مثل بولس، أي يهودياً.

"سَلِّمُوا عَلَى تَرِيفَيْنَا وَتَرِيفُوسَا التَّاعِبَتَيْنِ فِي الرَّبِّ. سَلِّمُوا عَلَى بَرْسِيسَ الْمَحْبُوبَةِ الَّتِي تَعِبَتْ كَثِيرًا فِي الرَّبِّ" (الآية 12). من المرجّح أن تريفينا وتريفوسا كانتا أختين. ويُظنّ أن برسيس كانت أختاً في المسيح متقدمة في السن لأن تعبها يشار إليه بصيغة الماضي. ولكم كان بولس حريصا على تفادي كل مظاهر الشر. فعندما تكلّم عن الإخوة الذين أحبهم في الرب دعاهم "أحبائي" (انظر الآية 9)؛ ولكنه عندما تكلّم عن أخوات في المسيح استخدم التعبير الأكثر رسمية "المحبوبات".

سَلِّمُوا عَلَى رُوفُسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ، وَعَلَى أُمِّهِ أُمِّي" (الآية 13). من المحتمل أن يكون روفس هذا هو ابن سمعان القيرواني، الرجل الذي حمل صليب المسيح (مرقس 21:15). ولا شكّ أن مرقس، الذي كتب إنجيله إلى الرومان، يصف سمعان بأنه أبو ألكسندرس وروفس، ومن المرجح أن هذا الرجل هو نفس روفس المعروف في الكنيسة في رومية. وربما كان سمعان القيرواني أيضا هو نفس سمعان المذكور في أعمال الرسل 1:13 كأحد شيوخ كنيسة أنطاكية الذين لعبوا دوراً في إرسال بولس وبرنابا إلى الحقل الإرسالي. ويقترح إف إف بروس (F. F. Bruce) أن إشارة بولس إلى "روفس وأمه أمي" فى الرسالة إلى رومية قد تومىء إلى أيام بولس في أنطاكية، ولعله عندما كان ضيفاً في بيتهما. ويقول دان كروفورد (Dan Crawford) بطرافة في سياق تعليقه على وعد الربّ، "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي هذَا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولاً، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" (مرقس 10:29-30)، ، "وعلى الرغم من صراخ الشياطين المطارِدة يبقى القديس رابحاً طيلة رحلة سعيه، وهنا يجد أماً نشيطة، وبيت عنيا مليئة بالأخوات والإخوة! فقد تكون لروفس أمٌ ولكن بولس يقول إنها 'أمّه وأمّي'. فهي واحدة من عشرين ألف أمٍ لبولس! أليس هذا هو كل المغزى من رسالة رومية، الفصل 16، بلى والسبب الإلهي الدقيق لوضع قائمة الأصدقاء الطويلة المسجّلة هنا؟ وهذا لكي يظهر كم **حافظ** المسيح بحكمة وحسن دراية على وفائه القديم بوعده لخاصته بـ 'المئة ضعف'".

سَلِّمُوا عَلَى أَسِينْكِرِيتُسَ، فِلِيغُونَ، هَرْمَاسَ، بَتْرُوبَاسَ، وَهَرْمِيسَ، وَعَلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ" (الآية 14). كانت مجموعة من القديسين تلتقي في بيت بريسكلا وأكيلا، وهنا مجموعة ثانية يجتمعون ببساطة مماثلة.

"سَلِّمُوا عَلَى فِيلُولُوغُسَ وَجُولِيَا، وَنِيرِيُوسَ وَأُخْتِهِ، وَأُولُمْبَاسَ، وَعَلَى جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ مَعَهُمْ" (الآية 15). ظنّ بعضهم أن فيلولوغس وجوليا هما زوجٌ وزوجة وأن نيروس وأخته هما ولداهما، بينما كان أولمباس أحد أفراد العائلة نفسها. وهذه هي المجموعة الثالثة من المؤمنين المذكورة في هذا الفصل. ويختم بولس بهذه المجموعة تحياته إلى مسيحيّي رومية، إلا أن لديه شيئاً آخر يقوله، فبعد أن سلّم عليهم بما يميّز المحبة، يقترح أسلوباً عملياً يمكن فيه إظهار المحبة.

ب. يسلم عليهم بما يفصح عن المحبة (16:16)

ليست المحبة باردة ورسمية، لكنها دافئة حنون. "سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ. كَنَائِسُ الْمَسِيحِ تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ" (الآية 16). ويتكرّر هذا التوجيه خمس مرات في العهد الجديد (1 كو 16:20؛ 2 كو 12ك13؛ 1 تس 26:5؛ 1 بط 14:5). كانت القبلة في الشرق علامة احترام ومودة، فهي التحية الشرقية التقليدية، ولكن من الخطأ التخلي عن هذه الوصية لمجرّد شرقيّتها. وفي ثقافتنا (الأميركية) يمكن "للمصافحة المخلصة" أن تعرب عن ذات الفكرة. إن المصافحة بحرارة تعبر عن فكرة المحبة والاحترام والشركة والدفء، وهذا ما كان يجول في خاطر بولس.

ليست هذه الصفحة (الملأى) من الجديرين بالذكر مجرد تذكارات من الماضي، فكما كتب الأسقف مول (Moule)، "إنها قائمة من الصداقات التي تُعقد للأبدية، ولكي تُمتلك إلى الأبد في حياة لا تنتهي حيث ستصبح الشخصيات أبدية بالفعل، ولكنها حيث يكون أيضا اتحاد الشخصيات في المسيح وراء أقصى أفكارنا الحالية".

الانتصارات الرائعة للمحبة

16: 17-20

أولاً. احترسوا بحذر من الإغواء.

أ. الإغواء من الخارج (16:17-18)

1. كيف يخون المعلّمون الكذبة أنفسهم

أ. ينبغي أن نعرفهم (16:17أ)

ب. ينبغي أن نتبينهم(16:17ب)

2. كيف يتصرّف المعلّمون الكذبة (16:18)

أ. إلههم الحقيقيّ (16:18أ)

ب. هدفهم الحقيقيّ (16:18ب)

ب. الإغواء من الداخل (16:19)

1. الشهادة الفعالة للجماعة (16:19أ)

2. ضعف الجماعة الخطير (16:19ب)

ثانيا. الحرب المنتصرة ضد الشيطان (16:20)

أ. الشيطان سيسحق

ب. القديسون سيتمُّ مباركتهم

أوْسِمْهُم! تجنّبهم! هذه هي نصيحة بولس في التعامل مع أولئك الذين يقوّضون الإيمان بالتعاليم الكاذبة. فمنذ البداية ابتليت الكنيسة بالبدع. ففي أكثر من رسالة من رسائله يسدد بولس الضربات للتعاليم غير الكتابية. فكنيسة غلاطية ابتليت بالناموسية، وكنيسة كولوسي بالغنوسية، وكنيسة تسالونيكي بالتعاليم الأخروية الكاذبة. وتضافر بطرس ويوحنا ويهوذا مع بولس لمقاومة التعاليم الهدامة للحقّ. لذلك، ليس من المدهش أن نجد معلّمين كذبة يطوفون في رومية، أعظم مركز جاذبية في العالم. ولبولس نصيحتان وداعيتان بشأن موضوع االعمل الشيطاني الهدام لعقائد الإيمان.

أولاً. ينبغي أن نحترس بحذر ضد الإغراء (16:17-19)

البدعة تتسلل دائماً خفية، فهي مثل الماء الذي يضغط على المسدّ. وهي تسبر الأمر بحثا عن نقطة ضعيفة تستطيع من خلالها أن تتسرب كقطرات في البداية، ومن ثَمَّ كفيضانٍ.

أ. الإغواء من الخارج (16:17-18)

ينبغي أن نراقب المعلمين الكذبة وكيف (1) يخدعون أنفسهم. وحالما نتبيَّنهم علينا أن نرفضهم. ليس التسامح مع الإغراء جزءاً من أجواء المحبة. "وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تُلاَحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشِّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ، خِلاَفًا لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ، وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ" (الآية 17). وتأتي لفظة "شقاقات" من كلمة تعني "خلافات" أو "انقسامات" وترجمت في غلاطية 20:5 بمعنى "شقاق حيث وردت كأحدى أعمال الجسد وهي قريبة من النص الذي يتحدّث عن البدع. تأتي كلمة "الشقاقات" من لفظة تعني "عصا مصيدة". ويذكر أحد مصادر الثقة أن أصل معنى كلمة "سكاندالون" أنها "كعصا ملتوية يثبّت عليها طُعم حتى إذا ما اصطدم بها أحد الحيوانات؛ تقفز المصيدة، فخ، شرك؛ إذاً أي شيء يمكن أن يصطدم به أحد أو يتعثّر به، هو حجر صدمة، ولا سيما ما يسبب عثرة". وبكلمة أخرى، فهو يقترح أنها عقبة توضع في الطريق مما يجعل الغافل يتعثّر ويسقط. ويستخدم بولس الكلمة نفسها في رومية 9:11، ولكنها تترجم هناك بـ "عثرة". وهي تصف جيداً نشاط صاحب البدعة.

ينبغي أن يكون المؤمن متنبها للمعلّمين الذين يفدون لتقسيم الكنيسة المحلية وتدميرها. فهم يسعون عمداً لينصبوا العثرات والفخاخ لمن هم غير متيقّظين ضد الفتنة. إن تحذير بولس لكنيسة رومية من هؤلاء الهراطقة، الذي أقحم بين قائمتين من الأسماء وإن بدا كفكرة لاحقة، جاء في الحقيقة في توقيته الأكثر مناسبة ويشهد التاريخ كم كانت رومية في حاجة ماسة لهذا التحذير وكم كان تقبله ضعيفاً.

إن الطريقة لاكتشاف الخطأ تكون في وضع التعليم الهدام إلى جانب مسطرة تعليم الحق الإلهيّ- "لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ". ويستخدم بولس في رومية 17:6 كلمة "التعليم" نفسها. ويقول عن أهل رومية، "فَشُكْرًا لِلهِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَبِيدًا لِلْخَطِيَّةِ، وَلكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا". إن البدعة لا تحرز تقدماً يُذكَر في كنيسة متأصلة ومتأسسة على "تعليم الرسل" (أعمال 42:2). يجد المورمون وشهود يهوه وغيرهم من هراطقة العصر الحديث أفضل حقولهم المثمرة للعثور على مجنّدين (يخدمون معهم)، في صفوف ذوي المعرفة السطحية "للدين" والجاهلين إلى حدٍ كبير بما للإيمان المسيحي من معتقدات أساسية وواسعة.

ويقول بولس، "أعرضوا عنهم!" وهي نصيحة جيدة. فهناك وقت ومكان لمواجهة الهرطوقي، وهناك طريقة لكشف الخطأ في السر والعلن على حد سواء. ولكن هذه ليست مهمة العضو العادي في الكنيسة، وإنما هي مهمة اللاهوتيّ والمؤمن الذي تلقى المعرفة من الروح. ففي أغلب الأحيان ينهمك الجهال وغير الروحانيين في مناظرة مع الهرطوقي فيجدون أنفسهم مغلوبين جداً في النقاش لأنه أولاً، ليست الأخطاء المطروحة بسيطة أبدا بل خطيرة، فضلا عن أن مبعوثي الهرطقات الذين يطرقون باباً تلو الآخر هم عادة مدرّبون أحسن تدريب، ومهيئون ببراعة لطرح الاعتراضات التي يلاقونها على تعليمهم جانبا بأفضل طريقة. وعندما يحاول المؤمن غير المتعلّم أن يدخل في مناظرة كهذه سيكون في خطر بأن ينقاد هو نفسه للضلال.

إنّ أمْرَ بولس " أوسِمْهم... تجنّبهم" أمرٌ عملي جداً، وقاعدةٌ حكيمةٌ للمؤمن العادي. ويعرف مؤلف هذا الكتاب شخصياً عائلة فشلت في طاعة كلمات بولس وحصدت نتائج كارثية. فقد تلقى مكالمةً هاتفية ذات يوم من امرأة كان يعرف جيداً أنها تحضر في كنيسة محلية تؤمن بالكتاب المقدس. ومن الصعب الجزم فيما إذا كانت المرأة وزوجها مؤمنين أم لا في ضوء ما جرى لاحقاً. سألت المرأة على الهاتف، "هل يمكنك أن تخبرني أين يمكنني الحصول على كتاب مقدس باللغة اليونانية؟" فكان ردّي المندهش، "كتاب مقدس باللغة اليونانية؟ لماذا تريدين كتاباً مقدساً باللغة اليونانية"؟ (لم تكن المرأة طالبة- وبالتأكيد لم تكن تدرس اللغة اليونانية!) وأجابت، "حسناً، يمكنك أن تفهم الكتاب المقدس على نحو أفضل عندما تعود إلى الأصل". عند هذه النقطة ثارت شكوك الكاتب، وسأل، "هل كنتِ تتحدّثين إلى أحد أفراد مجموعة شهود يهوه؟" وتبين أن المرأة وزوجها لم يتحدّثا فقط مع شهود يهوه بل سمحا لهم أيضاً بدخول بيتهما لتقديم تعليمات موجهة عن الكتاب المقدس. وتطوّرت الأمور جداً حتى أن الزوجين صارا يحضران اجتماعات مختلفة في "قاعة المملكة". وعندما أقفل الكاتبُ الهاتف، اتصل بقسيس المرأة واقترح عليه أنها بحاجة إلى زيارة رعوية؛ ولكن القس بدا متردّداً في التورط في الأمر. ولذلك دعا الكاتب أحد أصدقائه، وهو عامل مسيحيّ متعلّم جيداً ومن

الخبراء في الجدال، ورتّب لقاءً لكليهما مع المرأة وزوجها ومعلميهما من شهود يهوه. وتلت ذلك معركة ملكية استمرّت حتى ساعة متأخرة من الليل. وأخيراً مضى الهراطقة، وأقرت المرأة والرجل باقتناعهما بأنهما كانا قد اقتيدا إلى الضلال. ومع ذلك فقد رفضا أن يُتلِفا الكتب التي اشترياها من أهل هذه البدعة، ومع أنهما رجعا إلى كنيستهما القديمة لفترة قصيرة إلا أن السمّ استمرّ في مفعوله. وأخيراً عادا للاجتماع بشهود يهوه، وألغيا عضويّتهما في الكنيسة الكتابية، واعتمدا كشهود يهوه وصارا من دعاة تلك البدعة المتحمّسين. صحيح أن قسيسهما لم يكن بلا لوم. ومن الواضح أن الزوجين لم يتعلّما بشكل صحيح ولم يلقيا العناية الكافية في كنيستهما الخاصة بهما. ولكن سبب بدء إعجابهما بأتباع رسل (Russell) وانغوائهما بهم في نهاية المطاف هو أنهما لم "يَسِما" و"يتجنّبا" دعاة الهرطقة. لقد نُصِبت"عصا المصيدة" بعنايةٍ على بابهما. كان الطعم الجيد للاصطياد قد وضع منمقا بالكلمات المعقولة والمبادرات الودية. كانا غافلين فوقعا في المصيدة. لقد دخل خوف هرمجدون إلى نفسيهما وصارا من "عبيد برج المراقبة".

إذا، يخون المعلمون الكذبة أنفسهم بسعيهم للتقسيم والتدمير. ثم يتحدّث بولس بعد ذلك عن المعلمين الكذبة وكيف (2) **يتصرفون**. ويكشف عن إلههم الحقيقي وهدفهم الحقيقي. "لأَنَّ مِثْلَ هؤُلاَءِ لاَ يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونَهُمْ. وَبِالْكَلاَمِ الطَّيِّبِ وَالأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ يَخْدَعُونَ قُلُوبَ السُّلَمَاءِ" (الآية 18). فدوافع المعلمين الكذبة هي مصالحهم الخاصة االدنيئة. ومما يلفت النظر قول بولس إنهم يخدمون "بطونهم". وهو يحذّر في وقتٍ لاحق، عندما يكتب إلى أهل فيلبي، من أولئك الذين هم "أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ" (في 3:18-19). وهذا لا يعني بالضرورة أن المعلّمين الكذبة شهوانيّون، مع أنهم يمكن أن يكونوا كذلك، ولكنّ الإشارة إلى البطن هي وسيلة ازدراء للفت الانتباه إلى الدوافع الدنيئة ككونها إلههم الحقيقي، وروحهم التي تسعى لإرضاء الذات. وهم يستخدمون الأقوال المنمقة، فيمدحون، ولهم أسلوب مصقول متملّق. إنهم يخدعون "السلماء" أي البسطاء. وفوق كل هذا فإنهم "لا يخدمون ربنا يسوع المسيح".

لدى الهرطقات مسيح، لكنه ليس ربنا يسوع المسيح. **فالعصريون**، على سبيل المثال، لديهم مسيح، ولكنه لم يولَد من عذراء. كان رجلاً صالحاً جداً حتى أن أتباعه المضلّلين ظنّوه خطأ أنه الله. كان أعظم معلّم أخلاق في العالم، وهو فقط إلهي بمعنى أن جميع البشر إلهيّون. لم يقم مسيح العصريين بأية معجزة، وأما المعجزات المسجلة في العهد الجديد فهي مجرّد مبالغات أسطورية عن أحداث يمكن تفسيرها بأسباب طبيعية. مسيح العصريين لم يقم من الموت، فهو ليس "ربنا يسوع المسيح".

المورمون لهم مسيح ولكنه ابن آدم- الله ومريم، وكان متعدّد الزوجات، تزوج سراً من مريم ومرثا في قانا. وذبيحته ذات علاقة بخطايا آدم فقط ولا تكفي (لتكفر) عن خطايانا الشخصية، فمسيحهم ليس مسيحنا.

شهود يهوه عندهم مسيح ولكنه ليس الأقنوم الثاني من الألوهية (الثالوث الأقدس). كان مجرّد "ابن لله". وقبل أن يأتي إلى العالم كان ملاكاً مخلوقاً اسمه ميخائيل رئيس الملائكة. وعندما دخل إلى هذه الحياة صار كائناً بشرياً كاملاً، لا أكثر. والفدية التي يقدّمها لا تضمن الحياة الأبدية لأي إنسان، كما لم يقم من الموت أيضا. فبحسب أتباع برج المراقبة، نحن لا نعرف ما حدث لجسد يسوع في قبر يوسف. فمسيح أتباع رسل (Russell) ليس "ربنا يسوع المسيح".

إن أتباع **"العلم المسيحيّ"** لديهم مسيح ولكنه ليس الله. هو مجرّد مثال إلهيّ. ولم يكن دمه أكثر جدوى عندما سُفِك على الصليب مما كان عليه عندما كان يجري في عروقه. وقد تأقلم مع أفكار معاصريه البدائية، وقدّم تنازلات كبيرة للجهل الشعبي. فهو ليس "ربنا يسوع المسيح".

وأتباع الروحانية (وهي حركة تؤمن بمناجاة الأرواح) لديهم مسيح لا يعدو كونه وسيطاً من طبقة عالية، فهو ليس ذا طبيعة إلهية لكنه الآن روحٌ متقدم في المجال السادس. ولا قيمة تكفيرية لموته، ففي الواقع، كان يسوع مجرّد يهودي متحمس لقي حتفه في غير أوانه. لذا فمسيح الروحانيين ليس "ربنا يسوع المسيح".

إن جميع البدع لديها مسيح لكنه ليس مسيح الكتاب المقدس. فمسيح الكتاب المقدس هو الأقنوم الثاني من اللاهوت (الثالوث الأقدس). وقد حُبِل به من الروح القدس بصورة فائقة للطبيعة ، ووُلِد من مريم العذراء. لقد عاش حياة طاهرة، وصرّح بأنه الله، وقد صنع معجزاتٍ مذهلة، وبرهن عن صحة ما صرّح به. كانت تعاليمه سامية وكاملة وبلا شائبة. أنبأ بموته تماماً مثلما حدث، وصُلِب تماما كما تنبّأ به. كان موته موتاً نيابياً؛ فقد تألّم عن خطايا العالم ووهب الحياة الأبدية لكل الذين يؤمنون به. لقد قام من الموت جسدياً وحرفياً في اليوم الثالث، وصعد في جسده إلى السماء. وهو اليوم جالسٌ عن يمين الله من حيث سيعود ثانية ليدين البشر. هذا هو "ربنا يسوع المسيح". أما مسيح البدع فغير معروف للكتاب المقدس- إلا، ربما إذا كان ضدّ المسيح.

ب. الإغواء من الداخل (19:16)

إذاً يكفي ما تقدم عن البدع! يبدو حتى الآن أنها لم تحقّق نجاحاً في رومية لأن بولس يتحدّث عن (1) **الشهادة الديناميكية لجماعة رومية**. "لأَنَّ طَاعَتَكُمْ ذَاعَتْ إِلَى الْجَمِيعِ، فَأَفْرَحُ أَنَا بِكُمْ" (الآية 19أ). وقد سبق بولس فتحدث ثلاث مرات عن الطاعة في هذه الرسالة. أولاً، يتحدّث في مقدمة الرسالة عن طاعته الذاتية "لأَجْلِ اسْمِهِ، قَبِلْنَا نِعْمَةً وَرِسَالَةً، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ"(5:1). ثانياً، يباين بولس في تلخيصه لمسألة الخطيئة، بين طاعة المسيح وبين عصيان آدم، "لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا "(19:5). ثالثاً، يقول بولس في سياق حديثه عن النصرة التي حقّقها المسيح للمؤمن على الصليب والتطبيقات العملية لهذه النصرة في حياتنا، يقول بولس،"أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟" (16:6) فكلمة الطاعة هي كلمة عظيمة، وهي قائمة في صميم خدمتنا، وخلاصنا، وتقديسنا، كما تبينه تصريحات بولس السابقة في رومية.

ثقْ بيسوع
طائعاً بخشوع
فتعيش سالما
إذ تثق بيسوع

اكتسب الرومان سمعة واسعة من جراء طاعتهم التي كانت حقا سمة رومانية. فقد تماسكت إمبراطورية روما الواسعة معاً بالطاعة. وحمل المسيحيّون الرومانيونٍ إلى إيمانهم أبرز سمات ثقافتهم الوطنية وصاروا مشهورين بطاعتهم. من أجل هذا، كان بولس فخوراً بهم؛ وجعلته فكرة طاعتهم يشعر بالسعادة

ومع ذلك، فإنّ لديه كلمة تحذير. فهو يتحدّث عن (2) **ضعف جماعة رومية الخطير**. فقد كان المؤمنون في ذات قلب الأمور العالمية والمتصنعة، وكان هناك خطر من أن تتسلّل هذه الأشياء إلى الكنيسة، لأنّ العالم الكبير يدور حول رومية. وقد تقاطرت إلى أسواقها كلّ جموع الأرض وبضائع العالم. وكان مواطنوها ونبلاؤها حذقين، ومثقّفين، وفخورين، ولديهم ثروة هائلة، وقوة فائقة، وامتيازات بلا حدود. وسادت في رومية العبودية المذلّة أيضاً، والفقر المدقع، والشقاء اليائس لأنّ القسوة والظلم كانا جزءاً من نمط الحياة. وقد ذُبح آلاف الناس بفعل نزوةٍ لقيصر أو لإقامة "عطلة رومانية" لغوغاء العامة. وصارت الرذيلة أمراً مفروغاً منه حتى ارتقت في الديانات الوثنية كذات جوهرٍ العبادة. وقد جاء المؤمنون المسيحيّون في رومية من جميع هذه الخلفيات المتنوّعة، وحمل كثيرون منهم معهم من ماضيهم سفسطة تتعلّق بالشر كان في وسعها أن تدمّر الكنيسة وتتلفها إن لم تُصلَب. لذلك يقول بولس، "وَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا حُكَمَاءَ لِلْخَيْرِ وَبُسَطَاءَ لِلشَّرِّ" (الآية 19ب). إن النعمة الإلهية فقط تقدر أن تغسل الذهن من ذكرياته وتحرّر القلب من قيود المعرفة الماضية العميقة بالعالم وطرقه، وتحل محلها طهارة، وبساطة، وبراءة فيما يتعلّق بالشر.

يرد في حياة موسى مثالٌ صارخٌ عن التغيير الذي يمكن أن يجريه الله في حياة الإنسان. فقد تلقّى موسى، بحسب عناية الله، تعليماً شاملاً جداً "بكلّ حِكْمَة المصْريّين" (أعمال الرسل 22:7). ثمّ عندما بدا أن المجالات أمامه لا تُحصى وأن عرش فرعون نفسه قد يصبح في متناوله، اتخذ قراراً باتباع المسيح (عب 24:11-26). وهكذا تخلّى عما اعتبره هباء من أجل الله ومن أجل تحرير العبرانيين مصمماً على أن يضع نصيبه مع شعب الله. ولكنه في قتله للمصريّ تصرّف بالجسد ووفقاً لروح العالم وأصبح قاتلاً عوضاً عن أن يصبح مرسلاً. وكان على سنواته الأربعين في مصر التي تعلّم فيها أن يصبح شخص مهماً أن تتبعها أربعون سنة في البرية كراعٍ متواضع يتعلّم بألا يكون مهماً أبداً. لقد استغرق الأمر مجرد لحظة لكي يُخرِج الله موسى من مصر، ولكن استغرق أربعين سنة ليُخرِج مصر من موسى! ومع ذلك فقد تعلّم موسى التخلّي عن الروح المصرية تدريجياً في سكون الصحراء. ولم يعد عنده فخر وعناد وثقة بالنفس وإنما تواضع وخضوع ووداعة.

هذا ما يود الله أن يفعله مع كل من قديسيه. فما دام روح العالم ينشط فينا فإننا نشكّل خطراً محتملاً على الكنيسة التي نجتمع فيها. ويحث بولس أهل رومية على السهر ضد الإغواء الذي من الداخل- الروح العالمية، والذي إن سمحنا له بالسيطرة علينا فسنفتح الباب أخيراً لكل نوع من أنواع الخطأ. وقد أثبت التاريخ كم كان بولس محقاً في تحذيره للكنيسة في رومية من هذه الأشياء.

ثانياً. ينبغي أن نحارب منتصرين ضد الشيطان (20:16)

يتربّص الشيطان، "أبو الأكاذيب،" وراء كل نظم الخداع التي تبتلي البشرية. وفي ذات قلب مؤامرة الشيطان ضد الجنس البشريّ يكمن خداع في غاية الإتقان. فهو حابك مختلف الأوهام الدينية التي يستر بها الناس الساقطون عري نفوسهم. فليس من المستغرب، إذا، أن يتحول بولس بصورة مفاجئة من وصفه للهراطقة إلى كشف القناع عن الشرير الذي يُلهِم تعاليمهم، وبذلك هو يدوس بكعب حديديّ على رأس الأفعى

أ. الشيطان سيسحق (20:16أ)

إنّ سماح الله للشيطان بقدرٍ من الحرية لمتابعة مخططاته الشريره ضد الجنس البشري هو جزءٌ من سر الإثم. ومع ذلك، يمكننا أن نكونَ واثقين بأن الله لا يرتكب أي أخطاء، وأنه يتبع مخطّطاته الكاملة التي لا يطرأ التردد فيها على حكمته الكاملة المعرفة. وفي غضون ذلك، ترك الله الشيطان مربوطاً برسن. قد يكون الشيطان هو المحرّض على الفتن والانقسام ولكن الله هو "إله السلام"، وكما قال بولس، "إِلهُ السَّلاَمِ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعًا" (الآية 20أ). وفي الواقع، سيكون هذا السحق تحطيماً كلياً للحية، وسيشترك القدّيسون مع المسيح في انتصاره النهائيّ المطلق على الشرير (تك 15:3).

ب. القديسون سيُباركون (20:16ب)

ولكننا لسنا مضطرين لانتظار السحق النهائي للشيطان من أجل الدخول إلى بركات النعمة وهباتها. يمكننا أن نتمتّع بها اليوم. يقول بولس، "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَكُمْ. آمِينَ." (الآية 20ب). وتنتهي كل رسالة من رسائل بولس بصلاة للبركة. وهنا يأخذ الفكرة الرئيسة للرسالة- فكرة النعمة- ويسكبها مثل ناردين عبق على رؤوس قديسي الله.

ثم يضيف كلمة "آمين" المدوّية! وهذه ثاني "آمين" في الرسالة. وقبل أن يضع قلمه جانباً في الختام سيستخدم الكلمة مرتين أخريين. ويبدو وكأنه بالكاد يستطيع التوقف عن التواصل مع أصدقائه وزملائه المؤمنين في رومية.

إذاً قد يجتاح الهراطقة الكنيسة، وقد يتآمر الشيطان لينجّسها ويدمرها، ولكن نعمة ربنا يسوع كافية، وبفضل تلك النعمة يمكننا أن ننتصر الآن، وسننتصر بتلك النعمة بكل تأكيد شيئاً فشيئاً

الرفقة الرائعة للمحبة

16:21-24

أولا. السلامات المبلَّغة من قدّيسي الله (16:21-23)

1. تِيمُوثَاوُسُ
2. أُوكِيُوسُ
3. يَاسُونُ
4. سُوسِيبَاتْرُسُ
5. تَرْتِيُوسُ
6. غَايُسُ
7. أَرَاسْتُسُ
8. كَوَارْتُسُ

ثانيا. النعمة الممنوحة من ابن الله (24:16)

كان بولس في كورنثوس عندما كتب إلى أهل رومية. وفي ختام رحلته التبشيرية الثالثة، قضى ثلاثة أشهر شتوية في اليونان، ومعظمها في كورنثوس، حيث مكث في منزل صديقه غايوس. كان منهمكاً في وضع الترتيبات النهائية لرحلته إلى أورشليم وجَمْع ممثلي الكنائس المختلفة التي كانت تساهم في هديةٍ مالية للفقراء في كنيسة أورشليم. كان على كنائس مكدونية وكنائس غلاطية وآسيا جميعها أن تكون ممثلة (في الاجتماع). وفي الوقت الذي جاء فيه بولس لكي يوقّع الرسالة إلى أهل رومية، كان معه العديد من المندوبين. كانت الكنيسة في كورنثوس إحدى الكنائس التي سبّبت لبولس متاعب كثيرة، ومع ذلك فقد كانت كنيسة موهوبة وفيها مجموعة من الإخوة المقتدرين جداً. ويذكر بولس بعضاً منهم هنا في تحياته الختامية إلى أهل رومية.

أولاً. التحيات المبلغة من قدّيسي الله (16:21-23)

أول من يضمّ تحياته إلى تحيات بولس هو صديقه العزيز الشاب **تيموثاوس** (الآية 21). وهذا الرجل المميّز هو أكثر المعروفين من مرافقي بولس. كانت أمه وجدّته تقيّتين يهوديّتين ربّتا الصبي باجتهادٍ في حق الكتاب المقدس. وكان أبوه أممياً، وربما لهذا السبب لم يُختَن تيموثاوس أبداً وكان، إذا جاز التعبير، نصف يهوديّ فقط.

ربما كان تيموثاوس يعيش في لسترة عندما زار بولس تلك المدينة في رحلته التبشيرية الأولى. ومن المرجح أن الشاب تيموثاوس كان قد اهتدى في ذلك الوقت (أعمال 6:14؛ 1:16؛ 2 تي 5:1). وعندما جاء بولس مرة أخرى إلى لسترة في رحلته التبشيرية الثانية، وجّه شيوخ الكنيسة الروحيّون انتباهه إلى تيموثاوس كشاب واعدٍ جداً. وبولس الذي خاب أمله في يوحنا مرقس، أولى اهتماماً بتيموثاوس. ثم ختنه قبل أن يضمّه إلى فريقه التبشيريّ بسبب مرارة اليهود لأن تيموثاوس كان نصف يهوديّ قبلاً (أعمال 3:16). ثمّ عيّنته الكنيسة مبشراً معربين عن ثقتهم في تيموثاوس وعن شركتهم في هذه البداية الجديدة بوضع الأيدي (1تي 14:4؛ 2 تي 5:4). وأصبح تيموثاوس من ذلك الحين أحد أقرب رفقاء بولس وأكثرهم ملازمة له.

وظهر ولاء تيموثاوس وحماسه واضحين على نحوٍ متزايد في فيلبي (في 22:2). ويبدو أن بولس ترك الشاب تيموثاوس للمساعدة في رعاية الكنيسة الناشئة عندما اضطر لمغادرة فيلبي. ثم تبعه تيموثاوس إلى بيرية، حيث تركه بولس مرة أخرى، وهذه المرة برفقة سيلا، ليخدما في الكنيسة الناشئة. ولكن ليس لفترة طويلة!

ثم تبع خطى بولس إلى أثينا حيث التقى بمعلّمه الذي أوكل إليه مهمةٍ أخرى. فقد أرسله ثانية هذه المرة شمالاً إلى تسالونيكي لكي يشجّع الكنيسة هناك ويشدّدها (أعمال 14:17؛ 1 تس 2:3). وفي الوقت الذي تم فيه إنجاز هذه المهمة كان بولس قد ترك أثينا ليستكشف كورنثوس.وهكذا جاء تيموثاوس إلى تلك المدينة العظيمة، ونرى اسمه مرتبطاً مع اسم بولس في كلتا رسالتيه من كورنثوس إلى تسالونيكي.

ولا يُعرَف شيء عن السنوات الخمس القادمة في تاريخ تيموثاوس، إلا أنه لا بد أنه كان مع بولس، على الأقل لجزءٍ من إقامته في أفسس في رحلته التبشيرية الثالثة، لأنه في مرحلة ما من تلك الفترة أرسل

بولس تيموثاوس إلى كورنثوس وتوقّع منه أن يعود إلى أفسس (1 كو 17:4؛ 10:16). وعندما وصل بولس إلى كورنثوس بعد الانتهاء من عمله في أفسس، كان تيموثاوس معه، لأنه كما نرى هنا في هذه الرسالة، يشارك في إرسال التحيات إلى أهل رومية. وعندما أنهى بولس عمله في مكدونية واليونان وأجرى ترتيبات نهائية للذهاب إلى أورشيلم، كان تيموثاوس واحداً من الفريق الذي أُرسِل مسبقا ليكون في انتظار وصول بولس إلى ترواس (أعمال 20:3-6).

مرة أخرى، يختفي ذكر تيموثاوس من قصة الكتاب المقدس حتى نراه ثانية مع بولس في رومية خلال سجن بولس الأول. وقد كان مع بولس في رومية عندما كُتِبت الرسائل إلى فيلبي وكولوسي وفيلمون. ويبدو أيضاً أنه بعد الإفراج عن بولس من سجنه الأول، قام بولس وتيموثاوس بزيارة آسيا معا وهي المنطقة ذات الاستقلال الذاتي وإن كانت تابعة لرومية. ثم تابع بولس رحلته إلى مكدونية تاركاً تيموثاوس في أفسس- الذي استودع بولس بعيون باكية - لكي يعالج اضطرابات مختلفة في كنيسة أفسس (2 تي 4:1). وكانت الواجبات الموضوعة على عاتق تيموثاوس مرهقة حقاً حسبما نعرفه من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس؛ لدرجة أن بولس أصبح قلقاً بشأن ثبات صديقه الحبيب والمشتاق جداً لرؤيته مرة أخرى (2 تي 9:4، 21). ومن المثير للاهتمام أن الكلمات الأخيرة التي سجلها بولس كانت موجهة إلى تيموثاوس. فليس من المستغرب أن يضع بولس اسم هذا التلميذ اللامع على رأس قائمة الذين يرسلون التحيات إلى رومية.

"يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ تِيمُوثَاوُسُ الْعَامِلُ مَعِي، وَلُوكِيُوسُ يَاسُونُ وَسُوسِيبَاتْرُسُ أَنْسِبَائِي" (الآية 21). كان الثلاثة الأخيرون المذكورن زملاء المواطنة لبولس. أما **لُوكِيُوسُ** فيُحتمَل جدا أنه الملّقب "القيرواني،" وهو أحد "الأنبياء والمعلّمين" في أنطاكية الذين أرسلوا بولس وبرنابا إلى الحقل الإرسالي (أعمال 1:13). و**يَاسُونُ** هو على الأرجح هو ياسون الذي أضاف بولس وسيلا في بيته أول مجيئهما إلى تسالونيكي ببشارة الإنجيل. وقد شارك بولس في اضطهاداته في تلك المدينة. فقد تجمهرت الغوغاء أمام منزله وجرّوه نفسه أمام القاضي، الذي أطلقه بكفالة (أعمال 17:5-9). ويبدو أن اسم سُوسِيبَاتْرُسُ واسم سوباترس المذكورين في أعمال 4:20 يشيران إلى الشخص نفسه. إذا كان الأمر كذلك، فهو أحد المهتدين على يد بولس في بيرية وأحد أعضاء الوفد الذين أخذهم بولس معه إلى أورشليم.

"أَنَا تَرْتِيُوسُ كَاتِبُ هذِهِ الرِّسَالَةِ، أُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ فِي الرَّبِّ" (الآية 22). هناك بعض الأدلة على أن بولس كان مصاباً بمرض العين الشرقية، أي **الرمد**، وأنه التقطه في المناطق السفلى من بمفيلية في رحلته التبشيرية الأولى، والتي جلبت عليه العمى الكامل تقريباً (غلاطية 4:13-15). وبسبب هذا، وجد الرسول أنه من الضروري أن يملي رسائله إلى أمين سرّ أي ناسخ. وكان من سمات لياقة بولس أنه سمح لكاتبه بإدراج تحيّته الشخصية للمسيحيّين في رومية، الذين هاجر بعضٌ منهم من كورنثوس. فلو أملى بولس على ترتيوس تحيته الخاصة لكان يعامله وكأنه مجرّد آلة.

"يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ غَايُسُ مُضَيِّفِي وَمُضَيِّفُ الْكَنِيسَةِ كُلِّهَا. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَرَاسْتُسُ خَازِنُ الْمَدِينَةِ، وَكَوَارْتُسُ الأَخُ" (الآية 23). كان الإنسان يعطى عادة لدى الرومان القدماء ثلاثة أسماء. أولاً، هناك (praenomen) أي الاسم الشخصيّ وهو يقابل الاسم الأول لدينا، ومن ثم هناك (nomen) اللقب، وأخيراً (cognomen) وهو الشهرة أو اسم العائلة. (وفي بعض الأحيان يعطى الشخص (agnomen) أي شهرة إضافية، (وهو اسم يعطى إما لتكريم إنجاز شخصيّ ما أو لإظهار التبني.) وربما كان الاسم الكامل لغايس المذكور هو غايس تيطس يسطس. وبحسب إف إف بروس (F. F. Bruce)، يوحي هذا الاسم بأن غايس كان مواطناً رومانياً، "ربما أحد أفراد العائلات الرومانية التي استقرت في كورنثوس في الوقت الذي جعلها يوليوس قيصر مستعمرة." وربما يكون هو غايس نفسه الذي يذكره بولس في 1 كورنثوس 14:1 كأحد المهتدين الكورنثيّين القلائل الذي عمّدهم بيديه.

كان **أَرَاسْتُسُ** خازن المدينة. وكان هذا المنصب ذا أهمية كبيرة ربما كأمين صندوق المدينة أو مديرها. وعادة ما يُعرّف أَرَاسْتُسُ بأنه أَرَاسْتُسُ الذي كان مع بولس في أفسس وأرسله بولس، مع تيموثاوس،

إلى مكدونية بينما بقي الرسول في آسيا (أعمال 22:19). وكان أَرَاسْتُسُ لا يزال في كورنثوس عندما كتب بولس رسالته الأخيرة (2 تي 20:4)، لذلك قد تكون كورنثوس هي مكان إقامته المعتاد.

كل ما نعرفه عن كَوَارْتُسُ هو أنه كان "أخاً". هذا وصفٌ مقتضبٌ بما فيه الكفاية، ولكن يا لغنى الدفء الذي يحتويه. فكم يصبح الذين تربطنا بهم أواصر النعمة أعزاءَ لنا! إننا في الحقيقة نشترك مع إخوتنا وأخواتنا في المسيح في كثير من الأحيان بأكثر بكثير جداً مما نشترك به مع أنسبائنا بالطبيعة. إذاً ينقل بولس هذه التحيات من قدّيسي الله رابطاً عائلة الإيمان معاً برُبط المحبة المسيحية. وتذكّرنا هذه الأسماء بأصدقاء المحبة الرائعين، وبالرابط المبارك الذي يجمع المؤمنين معاً في عائلة الله.

ثانياً. النعمة الممنوحة من ابن الله (24:16)

يكرّر بولس دعاء الآية 20: "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ" (الآية 24). يتم تعريف نعمة ربنا يسوع المسيح لنا في كورنثوس الثانية 9:8 "فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ". هذا هو "ربّنا يسوع المسيح"! فهو لا يتوقّف عن سكب غنى نعمته الذي لا يوسَع من أعلى السموات علينا. يمكننا أن نرنم حسناً، "هللويا، يا له من مخلّص" وندفأ بنعمته التي يمنحها، فيسوع هو الأروع بين رفقاء المحبة الرائعين جميعاً!

خاتمة

16: 25-27

أولاً. الإعلان عن عمل الله (16:25-26)

ا. في قدرة الله أن يثبّت عمله (16:25أ)

ب.في مقاصد الله أن يثبّت عمله

(16:25ب-26)

1. أُعلِن إلهياً لقدّيسي العهد

الجديد (16:25ب)

2. كُتِم إلهياً عن قديسي العهد

القديم (16:25ج-26)

ثانياً. الإعلان عن حكمة الله

وصل بولس إلى نهاية رسالته. ولم يبقَ عليه إلا أن يختمها بدعائه المعتاد ويسمو بأفكار القديسين للتأمل في الله وطرقه. ويا لها من تسبيحة شكر رائعة يضيف إليها هذه اللمسة الأخيرة، وقد يتناول القلم من يد ترتيوس لكي يكتب كلماته الختامية بيده، ويضيف الآمين الأخيرة. وتلفت تسبيحة الشكر هذه انتباه أهل رومية إلى عمل الله وحكمته.

أولاً. الإعلان عن عمل الله (16:25-26)

الخلاص هو عمل الله من البداية إلى النهاية. وقد أكمل المسيح العمل في الجلجثة ولا يمكن ليدٍ بشرية أن تضيف أي شيء إلى ذلك العمل الإلهي المستوفى.

ا. في قدرة الله أن يثبّت عمله (16:25أ)

يعالج بولس هذه النقطة مباشرة في ما يلي. يقول "وَلِلْقَادِرِ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ". وتعيدنا كلمة " يُثَبِّتكُمْ" إلى بداية الرسالة. إن أحد دوافع بولس وراء تمنيه المجيء إلى رومية هو، "لِكَيْ أَمْنَحَكُمْ هِبَةً رُوحِيَّةً لِتَبَاتِكُمْ" (1:11). إنه يعترف بأن الله وحده قادرٌ على تحقيق ذلك لهم. وتأصيل المؤمنين وترسيخهم في الأمور الإلهية هو في حد ذاته عمل النعمة التي من شأنها جلب الخطاة إلى معرفة الخلاص بيسوع المسيح.

واجه أحد المبشرين المشهورين عالميا تحدياً ذات مرة في عاصمة كبيرة أوروبية كبيرة من قبل أحد مبشّري ذلك البلد. وسأله المبشر الوطني قائلاً، "يا سيد، هل يثبت المهتدون عندكم"؟ وردَّ عليه الآخر، "يا سيّد، هل مهتدوكم يثبتون؟" إنه لفرحٌ عظيم أن نرى النفوس تخلص ولكن ما يفعم القلب بأعمق فرح هو أن نستطيع أن نعود إليهم في السنين اللاحقة ونرى كيف أنهم نموا في الرب ونضجوا.

إن عمل تثبيت القدّيسين هو، بلا ريب، في متناول قوة الله، والقوة في تنفيذ ذلك هي من طبيعته. فلا قوة الهاوية كلّها، ولا مغريات العالم بأجمعها، ولا حيل الشيطان، ولا ضعف الجسد، باستطاعتها أن تعيق الله. قال بولس في الرسالة التي كتبها عندما وصل أخيراً إلى رومية، "وَاثِقًا بِهذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحًا يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (في 1:6).

ب. في مقاصد الله أن يثبّت عمله (16:25ب-26)

هذه أخبار سارة. فقد أعلنت إلهياً في العهد الجديد، في كل من الأناجيل والرسائل على حدٍ سواء؛ وهذه الحقيقة كامنة مكتومة في العهد القديم أيضاً. لاحظ التكرار المثلّث لعبارة، "بحسب" في هذه الآيات.

إن عدم القدرة على إعاقة الله في تميم مقاصده هو أمرٌ (1) **معلنٌ إلهياً في العهد الجديد**. يقول بولس أنّ هذا الأمر "حَسَبَ إِنْجِيلِي" (وذلك يشمل الرسائل) "وَكِرَازَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (وذلك يشمل الأناجيل). فإنجيل بولس كان يخصّه، بمعنى أنه لم يتعلّمْه من إنسان (غل 1:11) ولكنه تسلّمه بإعلانٍ مباشر من الله. ولم يكن مختلفاً أساسياً عن الإنجيل الذي أعلنه الآخرون، لكنه أظهر تطوراً أكمل وأوسع.

كان إنجيل بولس محوره المسيح، وذلك ما تشير إليه بشكل أساسي عبارة " حَسَبَ... الْكِرَازَةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ". فإن هذه الجملة، بمضمونها وجوهرها، كانت إعلاناً عن شخص المسيح وعمله.

هناك أولئك الذين يريدوننا أن نؤمن بأنّ التعليل اللاهوتي البولسي الرائع لشخص المسيح وعمله (Christology) قد فرضه بولس على الكرازة البسيطة للكنيسة الأولى. فهم يريدوننا أن نؤمن بأن رسائل بولس تمثّل ابتعاداً متطرفاً عن الرسالة البسيطة التي أعلنها الرب يسوع نفسه. لكنّ هذه الاتهامات هي باطلة. فعلى سبيل المثال، تبيّن دراسة الأسماء والألقاب المنسوبة إلى الرب يسوع المسيح في العظات الأولى المسجّلة في سفر الأعمال، أنه من البداية، كانت أسمى الأفكار وأرقاها تسعى لتمجيد اسم شخص الرب. ثم إن يسوع نفسه أيضاً أعلن عن ذاته بأنه ابن الله بمعنى الألوهية المطلَقة. وأظهر نفسه على أنه المخلّص الوحيد للإنسان من الخطيئة. وهذا هو ما كرز به بولس أيضاً. وهذه الحقائق التي لا تخلّص فقط، بل "تثبّت" أيضاً. حتى مثل هذا المفهوم، أي كوننا "في المسيح" (الشيء الذي له ارتباط بكنه الأمر بما يتعلق بتثبيت القديسين) الذي تم تطويره بطريقة أو أخرى في كل رسائل بولس، لم يبدأ معه. إن الحقيقة ظهرت أولاً في كرازة المسيح، ثم طوّرها الرب بشكل أكمل؛ كما نراه في تعليمه المتعلّق بالكرمة الحقيقية، على سبيل المثال (يوحنا 15). وهكذا إذًا، فإن الأخبار السارة التي عزم الله بها تثبيت عمله هي معلنة في العهد الجديد، في كل من الرسائل والأناجيل على حدٍ سواء. وهكذا فإن بشارة بولس لها جذورها في إنجيل المسيح.

لا تمكن إعاقة الله في عمله لتكميل مقاصده بشأن الكنيسة، وهذا (2) **قد أخفي إلهياً في العهد القديم**. ويكاد من البديهيّ أن نقول بشأن العهدين أنّ "القديم معلن في الجديد، والجديد مخفيّ في القديم". وهذه العبارة صحيحة إلى حدٍ كبير إلا أن بعض الحقائق المرتبطة بما يسميه بولس "سراً" كانت بالتأكيد إعلاناً من إعلانات العهد الجديد، وإن وجدت في رموز العهد القديم فإنها وُجِدت فقط بأكثر أشكال الغموض والظلالية. ولم يستطع قدّيسو العهد القديم أن يميّزوا هذه الحقائق "السرّية" في أسفارهم. ولكن يمكننا أن نراها، أو نرى بعضاً منها على الأقل، عندما نفكّر فقط في العهد القديم في ضوء الإعلان الأكبر للعهد الجديد.

يقول بولس إنّ قصد الله من تأسيس عمله هو "حَسَبَ إِعْلاَنِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلكِنْ ظَهَرَ الآنَ، وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ بِالْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ حَسَبَ أَمْرِ الإِلهِ الأَزَلِيِّ، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ" (الآيتان 25ب-26).

إن أعظم أسرار العهد الجديد وأهمّها هو سرّ الكنيسة، وانضمام اليهود والأمم في جسد المسيح. "كانت مسألة العلاقة بين اليهودي والأممي من أكثر المسائل المثيرة للهياج في الكنيسة في أيام بولس. فلا يمكن تسوية المسائل الأخرى ما لم تسوَّ هذه المسألة. وكانت هذه المسألة عدوة الاستقرار، وكادت أن تدمّر كنائس غلاطية. لقد أدرك بولس قوة التيارات المزعجة التي تجتاح الكنائس، ولم يكن أهل رومية قادرين، إلا بقوة الله، لكي يثبتوا بارتياح في تعليم متّسق مع هذا السرّ الذي كان يكرهه اليهودي الغيور غير المؤمن، والذي كان يعرف موسى ولكنّه يكره فقط ما يسمّيه بطرس 'الحقّ الحاضِر' (2 بطرس 1:12)"

كان قصد الله أن يثبّت القديسين في هذا السرّ العظيم، السرّ الذي تم تجسيده "في أسفار الأنبياء". ومن الواضح أنّ الأنبياء الذين أطّلعوا عليه ليسوا أنبياء العهد القديم وإنما أنبياء العهد الجديد الذين من عبرهم تم الإعلان عن هذه الحقائق الجديدة، والذين بواسطتهم أنجز تدوينها. فالله يعمل من خلال الكتاب المقدس، وبالأخص العهد الجديد، لتحقيق مخطّطه التام ليكمّل القديسين لكي يأتي بكنيسته إلى حالة الثبات الكامل.

إنه "الإله الأزليّ"، ويتابع أهدافه من عصر إلى عصر. قد يكون المسيحيون ضعفاء واهين، لكنّ الله قويّ. قد تبدو الكنيسة ضعيفة ومنقسمة، ولكنّها جسد المسيح ومرتبطة بقدرته الكلية. أي شيء آخر قد يفشل، ولكن ليس عمل الله.، ولم يبق إلا على بولس أن يختم بكلمة عن حكمة هذا الإله الأزليّ.

ثانياً. الإعلان عن حكمة الله (27:16)

"للهِ الْحَكِيمِ وَحْدَهُ، بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ" وهذا العنوان يجتذب أفكارنا إلى الذي بمشورته الحبية سبق فرأى سقوط الإنسان، وهيّأ له قبل تأسيس العالم، سبق فعرفنا وأحبّنا وأدخلنا إلى ملكوته، وقد رتّب لجميع الأشياء لكي تعمل معاً لخيرنا ولمجده الأبديّ. يحوِّل هذا العنوان أفكارنا أيضاً إلى ابن محبته، مخلصنا المبارك والمجيد، ربنا يسوع المسيح. وبعد أن أشغل بولس أفكارنا وقلوبنا وإرادتنا بالله فإنه يضع قلمه جانباً.